جامعة أم درمان الإسلامية

معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي

الجموع في القرآن الكريم

دراسة صرفية دلالية

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية

تخصص علم اللغة

إعداد الطالب/

ياسر محمد أحمد حسين عالم

إشراف الأستاذ الدكتور/

محمد غالب عبد الرحمن وراق

٢٠١٥م

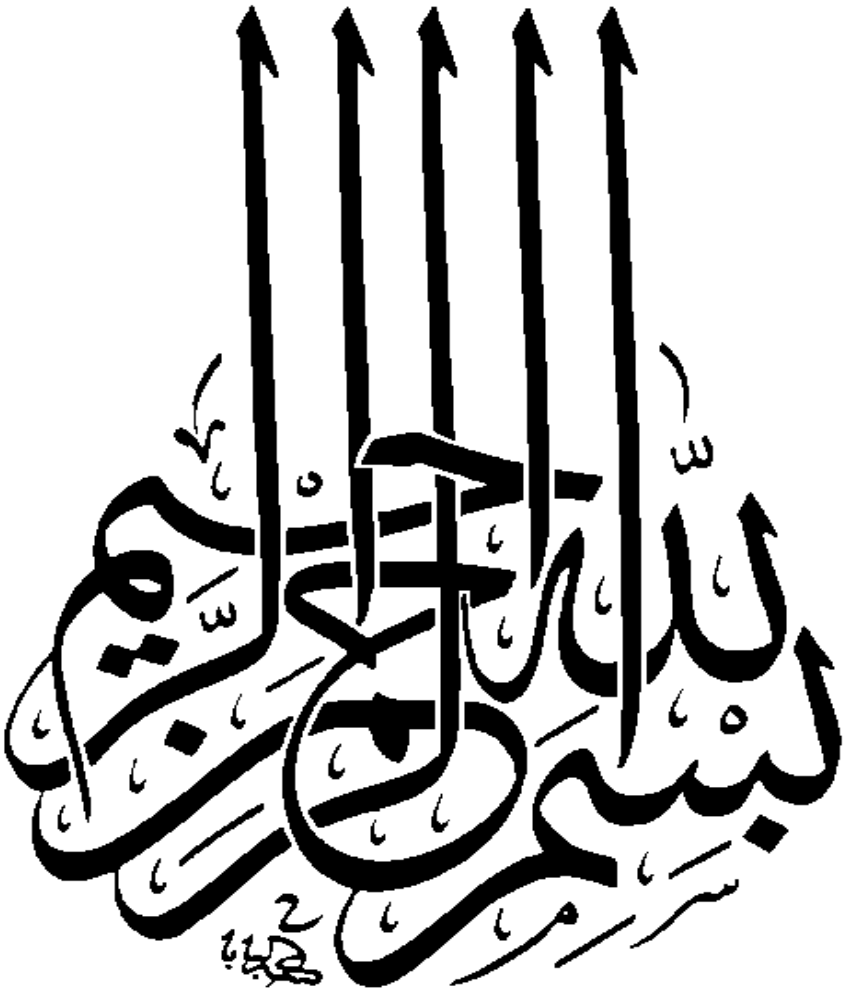
بسم الله الرحمن الرحيم

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ١١٣ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤ ﴾

طه: ١١٣ - ١١٤

إهـداء

إلى روح والدي .....

الذي تمنى لي هذه الدرجة العلمية

قبل وفاته بكثير.

وقد كنت حينها لا أزال في عتبات التعليم الصغرى.

فهاأنذا أكمل تحقيق رغباته

سائلاً المولى عز وجل أن يصب عليه الخير صباً

ويحشره مع سيد الخلق أجمعين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم،

في أعلى عليين.

إنه ولي ذلك والقادر عليه.

شـكـر وعـرفـان

يتقدم الباحث بأسمى آيات الشكر والعرفان لكل من أسهم بجهده وفكره في إخراج هذا البحث بهذه الصورة من الأساتذة الأجلاء والأخوة والزملاء الكرام.

ويخص الباحث بالشكر الأستاذ الدكتور / **محمد غالب عبد الرحمن وراق** الذي أخلص النية في قراءة هذا البحث ومراجعته وما بخل بعلم وفكر للباحث وبذل من الجهد أرفعه في مراجعة هذا البحث وتصحيحه فكان له الفضل بعد المولى عز وجل في إعانتي على إكمال هذا البحث. فله من الشكر أجزله مع صادق الدعوات بأن يجعل الله ذلك في ميزان حسناته وأن يجزل به ثوابه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والشكر أولاً وأخيراً لله سبحانه وتعالى الذي من علينا بالتوفيق في إكمال هذا البحث بهذه الصورة المرضية. اللهم لك الحمد لا نحصي ثناء عليك كما أثنيت أنت على نفسك. اللهم وفقنا لشكر نعمتك يا أرحم الراحمين.

مستخلص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

لقد تناول هذا البحث الذي عنوانه **(الجموع في القرآن الكريم – دراسة صرفية لغوية دلالية)** صيغ الجموع بأنواعها المختلفة؛ الجمع السالم بنوعيه المذكر والمؤنث، وجمع التكسير بنوعيه القلة والكثرة، ثم اسم الجمع واسم الجنس الجمعي بغرض معرفة صيغها المختلفة ومعانيها ودلالاتها خاصة في القرآن الكريم.

وكان تقسيم هذا البحث إلى خمسة فصول يسبقها مدخل إلى البحث يتناول تعريف القرآن الكريم وتعريف الجموع وتعريف الصرف والدلالة في اللغة والاصطلاح.

وتناول الفصل الأول من هذا البحث جمع المذكر السالم وما يلحق به ثم الحديث عن إعراب ودلالات جمع المذكر السالم في القرآن الكريم.

أما الفصل الثاني فقد تعرض لجمع المؤنث السالم وما جمع بألف وتاء من غير جمع المؤنث السالم ثم إعراب ودلالات هذين النوعين التي وردت في القرآن الكريم.

وتناول الفصل الثالث جموع القلة ودلالاتها في القرآن الكريم وإيراد بعض النماذج لجموع قلة وردت في القرآن وقد قصد بها معنى الكثرة.

أما الفصل الرابع فقد خصص لجموع الكثرة ودلالاتها في القرآن الكريم مع إيراد بعض النماذج من القرآن الكريم لجموع كثرة قصد بها القلة.

وخصص الفصل الأخير للحديث عن اسم الجمع واسم الجنس الجمعي في القرآن الكريم ودلالات هذين النوعين.

وختم البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث ثم الحديث عن بعض التوصيات.

والله الموفق

ABSTRACT

Praise be to Allah and peace and blessings be upon the Prophet of Allah and his family and companions and allies. And then

This research titled as (plural forms in the Holly Quran - the study of morphological, linguistic and semantic) has dealt with formats of different kinds of plurals; sound plural forms, both types; masculine and feminine, besides the broken plural forms, both types; for paucity and for multiplicity. Then the collective nouns and genus nouns, in order to learn different formats and their meanings and implications, especially in the Holly Qur'an.

The division of this research was into five chapters preceded by an introduction to research deals with the definition of the Quran, the definition of the plural, the definition of morphology and the significance of language and terminology .

The first chapter of this research discussed the masculine sound plural and then joined with the masculine plural connotations in the Holly Quran and their semantic meanings.

The second chapter of this research discussed the feminine sound plural and then joined with the feminine plural connotations in the Holly Quran and their semantic meanings.

The third chapter of this research discussed the broken plural forms for paucity and their implications and meanings in the Quran, with some examples of the broken plural forms for paucity which came in the Quran and was intended meaning multiplicity .

The fourth chapter was devoted to the broken plural forms for multiplicity and their meanings in the Holly Quran, with some examples of the broken plural forms for multiplicity plurals which came in the Quran and was intended meaning paucity .

The last chapter is devoted to talk about the collective nouns and genus nouns in the Quran and the implications and meanings of these two types .

Finally the research ended with a conclusion included the most important findings of the research and then talk about some of the recommendations .

And Allah blesses

مـــــقـــــدمـــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وبعد:

كثير منا يستطيع التمييز بين صيغ الأبنية العربية المختلفة ولكن قد يصعب عليه أن يميز بين دلالاتها ومعانيها المختلفة. فمثلاً هناك من لا يميز بين صيغ جمع المذكر السالم وجمع التكسير من حيث المعنى الدلالي، فهل الرواسي والراسيات لها الدلالة ذاتها؟ وكذلك هل سنابل تحمل نفس معنى سنبلات؟ وإذا كان الأمر كذلك فلماذا اختلف الاستخدام في لغة القرآن الكريم، فجاءت في آية: ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ ﴾ (١)، بينما جاءت في آية أخرى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖ ﴾ (٢) أي لماذا جاء تمييز العدد (سبع) بالجمع سنابل مرة، وبالجمع سنبلات مرة أخرى؟ مع أن العدد هو العدد (سبع) نفسه.

كذلك بعض الألفاظ يكون إفراده لمعنى خاص وجمعه لدلالة معينة، أو قد يؤثر جمعه على إفراده أو العكس.

فمن ذلك أننا نرى بعض الألفاظ لم يأت في القرآن إلا جمعاً، وعند الاحتياج إلى صيغة المفرد يستعمل مرادفه. ومثال لذلك لفظة (اللب) فإنها لم ترد في القرآن إلا جمعاً كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾(٣)، ولم يرد في القرآن مفرده بل ورد مرادفه (القلب) كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴾ (٤) وكذلك لفظة الكوب لم تأت مفردة وقد ورد جمعها في قوله تعالى: ﴿ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ﴾ (٥).

ومن ذلك الريح ذكرت مجموعة ومفردة، فتذكر مجموعة في سياق الرحمة وتفرد في

١- سورة يوسف، الآية: ٤٣.

٢- سورة البقرة، الآية: ٢٦١.

٣- سورة الزمر، الآية: ٢١.

٤- سورة ق، الآية: ٣٧.

٥- سورة الغاشية، الآية: ١٤.

سياق العذاب، وذكر في حكمة ذلك أن رياح الرحمة مختلفة المنافع والصفات ويقابل بعضها البعض الآخر أحياناً، فكانت في الرحمة رياحاً، وأما في العذاب فإنها تأتي من وجه واحد، ولا معارض لها ولا دافع.

ومن ذلك إفراد القرآن لكلمة النور وجمع الظلمات، وإفراد سبيل الحق وجمع سبل الباطل لأن سبيل الحق واحد، وسبل الباطل متشعبة متعددة، ولهذا وحد القرآن ولي المؤمنين وجمع أولياء الكافرين لتعددهم كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ (١). وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾(٢).

وهكذا يتضح لنا أن للجمع دلالات خاصة تميزه عن المفرد في لغة القرآن، كما يتميز جمع المذكر السالم عن جمع التكسير، ويتميز جمع التكسير لقلة عن جمع التكسير لكثرة وفق القاعدة التي تقول: إذا اختلف المبنى اختلف المعنى.

وعليه يجيء هذا البحث في إطار المحاولات الساعية لسبر غور الفروق الدلالية بين أبنية الجموع المختلفة، ومحاولة كشف طريقة القرآن الكريم في التعامل مع أبنية الجموع وتأثير ذلك على فهمنا للغة وللقرآن الكريم. وقد رأى الباحث أن يقسم هذا البحث إلى خمسة فصول يسبقها مدخل إلى البحث، يضم هذا المدخل أساسيات البحث، والدراسات السابقة، ثم الحديث عن القرآن الكريم لغته وإعجازه، وسيأتي تفصيل ذلك بمشيئة الله.

١- سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

٢- سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

موضوع البحث:

يتناول هذا البحث الجموع في القرآن الكريم دراسة صرفية لغوية دلالية لمعرفة الفروق الدلالية بين أنواع وصيغ الجموع المختلفة.

مشكلة البحث:

إن التمييز بين الاستخدامات الدلالية لصيغ الجمع المختلفة، والفروق بين جمع التصحيح وجمع التكسير، وبين جموع القلة وجموع الكثرة، وبين الجمع واسم الجمع، وغيرها من الصيغ وفهم مدلولاتها من الأمور التي تستعصي على كثير من الدارسين للغة والباحثين فيها فهذا البحث يحاول أن يقدم دراسة في هذا الأمر تعين الدارسين والباحثين في هذا المجال.

أهمية البحث:

تعد الدراسات الدلالية الأساس لجميع الدراسات اللغوية، إذ هي المرتكز والأساس الذي لا معنى للغة بدونه.

وإذا كان القرآن الكريم هو رمز للغة في كمالها، ومفخرة لها في اعتدالها وجلالها، فإن في احتوائه لمفاهيم علم الدلالة المختلفة وتنظيمها واستخدامها في التعبير عن أغراضه تأييداً مؤكداً لدور الدلالة في إعجازه، وبرهان ساطع لسموه وتحديه، الأمر الذي جعل الباحث يتخذه ميداناً يبرز فيه هذه المفاهيم حتى يراها الناظر صافية رائعة.

وتتبع أهمية هذا البحث من كونه إضافة جديدة للبحوث التي تربط بين البحث الصرفي والبحث اللغوي الدلالي، فكل البحوث التي تناولت الجموع تقريباً إما أنها تناولت الأمر من الناحية الصرفية فقط أو من الناحية اللغوية فقط وهذه قليلة جداً فمعظم الدراسات في هذا الموضوع ركزت على الأبنية وتصريفاتها. فهذا البحث يربط بين علمي الصرف والدلالة لمحاولة معرفة دور علم الصرف في الدراسات اللغوية الدلالية.

أهداف البحث:

تتركز أهداف هذا البحث حول النقاط التالية:

١- فتح آفاق جديدة للبحث الدلالي باعتبار أن علم الدلالة من العلوم الحديثة نسبياً مقارنة مع علوم اللغة العربية الأخرى.
٢- توضيح دور علم الدلالة في فهم مدلولات الكلام وإبراز أهميته في محيط الكلام.
٣- السعي إلى تحقيق مبدأ التكامل اللغوي في إبراز غايات اللغة وإثبات عدم إمكانية قيام أي فرع منها منفرداً في تحقيق هذه الغايات استغناءً منه عن الفروع الأخرى.
٤- تسخير مفاهيم علم اللغة الحديث لتأكيد الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم.
٥- الربط بين علمي الصرف وعلم الدلالة في دراسة واحدة تفيد من كليهما وتبين دور علم الصرف في فهم دلالات الكلام.

حدود البحث:

ستضم حدود هذا البحث كل أجزاء القرآن الكريم، ولكن باختيار بعض النماذج من الآيات التي توضح الفروق الدلالية المقصودة بالدراسة بمشيئة الله لتطبق عليها.

أسئلة البحث:

١- ما الجمع وما أنواعه وما الفرق بين هذه الأنواع من حيث الدلالة اللفظية؟
٢- ما أشهر أوزان صيغ جموع التكسير المستخدمة لدلالة القلة وما أشهر الصيغ المستخدمة لدلالة الكثرة؟
٣- ما الفرق بين الجمع السالم بنوعيه وجمع التكسير بنوعيه وبينهما وبين اسم الجنس الجمعي واسم الجمع؟
٤- متى تستعمل أوزان جموع القلة بمعنى الكثرة ومتى تستعمل أوزان جموع الكثرة بمعنى القلة؟ وما دلالة الجمع السالم ومتى يدل على القلة ومتى يدل على الكثرة؟
٥- ما الدلالات اللفظية لصيغ الجمع الواردة في السور التي حددها البحث؟

منهج البحث:

سوف يسلك الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي الذي يعتمد على التحليل، فالتحليل سيكون تطبيقاً عملياً في آيات القرآن الكريم ضمن النماذج المختارة، وذلك يتم عن طريق جمع آراء العلماء الواردة في أمهات كتب علم الصرف وعلم الدلالة وعلم اللغة وتفسير القرآن الكريم وإعراب القرآن الكريم ومعانيه ثم استنباط النتائج والملاحظات.

الدراسات السابقة:

أولاً: دراسة الباحث: **أحمد ضو البيت إدريس**

بعنوان: **الدلالة اللفظية ومجالات تغيرها في أمثلة من القرآن الكريم.**

رسالة ماجستير – جامعة الخرطوم – ١٩٩٨م.

من أهم نتائجها:

١- إن علاقة اللفظ بمدلوله علاقة عرفية وضعية.

٢- اللفظ ودلالته وجهان لشيء واحد لا تفضيل لأحدهما عن الآخر.

٣- الجانب الصوتي والصرفي والنحوي كلها جوانب لها تأثيرها على الألفاظ وإبراز دلالتها.

٤- التغير الدلالي من أهم المحاور التي يقوم عليها الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

ثانياً : دراسة الباحثة: **إنصاف عبد الله محمد صالح** – بعنوان:

أحرف الزيادة ودلالاتها الصرفية – دراسة صوتية صرفية تطبيقية على نماذج من القرآن الكريم.

رسالة ماجستير – جامعة الخرطوم – ٢٠٠٤م.

تشترك مع الدراسة الحالية في:

١- أن مجالها هو القرآن الكريم.

٢- أنها تتناول المجال الصرفي.

٣- أنها تنتهج المنهج الوصفي.

- من أهم نتائجها:

١- الأصل في الألفاظ العربية أنها تبدأ بالمجردات ثم تصاغ منها الأبنية المزيدة.

٢- الأصل في الأبنية الثلاثي المجرد فهو الأساس الذي بنيت عليه قواعد اللغة، واطردت على ذلك، فكل كلام غير ذلك يؤدي إلى فرط قواعد اللغة وانهيار بنائها الذي أسست عليه معاجم اللغة وقواعدها وصرفها.

٣- اتضح من الجانب التطبيقي أن القرآن الكريم قد استخدم الصيغ المزيدة بحرف أكثر من المزيدة بحرفين، والمزيدة بحرفين أكثر من المزيدة بثلاثة أحرف.

- من توصياتها:

١- الاهتمام بالدراسات القرآنية لأنها تحوي جميع العلوم، والقرآن هو المصدر لكل العلوم والمعارف، قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ (١).

٢- الاهتمام بتدريس قواعد النحو والصرف من خلال النصوص القرآنية بدقة وتمعن كما جاء في الحديث الشريف أنه (صلى الله عليه وسلم) قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه).(٢)

ثالثاً : دراسة الباحث: **محمد حمدنا الله رملي حمدنا الله.**

بعنوان: **جموع التكسير في شعر النابغة الذبياني** – دراسة صرفية تطبيقية وصفية تحليلية.

رسالة ماجستير – جامعة أم درمان الإسلامية، ٢٠٠٥م.

اتبع فيها الباحث المنهج التطبيقي الوصفي التحليلي الاستقرائي.

١- سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

٢- أخرجه البخاري، نقلاً عن شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، لأبي زكريا محي الدين بن يحيى النووي، ص، ٣٦١.

- من أهم نتائجها:

٢- جموع التكسير ترد الحروف إلى أصولها.

٣- صيغ جموع التكسير كثيرة تقرب من الخمسين صيغة ولها أوزان متعددة.

قد تجمع الكلمة الواحدة على أكثر من صيغة، نحو: فَرْخٌ تجمع على: أفرُخ وأفرِخَة وفِراخ وفُرُوخ وأفْراخ وفِرخان.

- من أهم توصياتها:

١- الاهتمام بدراسة أشعار العرب لاشتمالها على الكثير من علوم اللغة العربية.

٢- الاستشهاد بأشعار العرب لأنها تأتي في المرتبة الثالثة بعد القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

٣- الاهتمام بتدريس جموع التكسير في المدارس والجامعات بصورة وافية.

٤- التطلع إلى الاكتشاف والابتكار والتجديد في علوم اللغة العربية وخاصة جموع التكسير.

٥- الإتيان برؤى ومفاهيم جديدة تخدم اللغة العربية تكون مبنية على البراهين والحجج والأدلة الواضحة.

٦- تسهيل عرض قواعد اللغة العربية بطريقة سهلة وميسرة تسهل على الدارسين.

رابعاً : دراسة الباحث: **خميس محمد مبايع.**

بعنوان: **جموع التكسير واستعمالاتها في القرآن الكريم**

من فاتحة الكتاب إلى نهاية سورة النساء – دراسة تطبيقية تحليلية.

رسالة دكتوراة – جامعة أم درمان الإسلامية – ٢٠١١م.

من أهم نتائجها:

١- من أكثر الأوزان وروداً في القرآن الكريم وزن (أفْعال).

٢- من أقل الأوزان وروداً في القرآن الكريم وزن (فِعْلَة).

٣- اشتملت سورة البقرة على أكبر قدر من أوزان جموع التكسير.

٤- لقد اشتملت السور التالية على وزن واحد من أوزان جموع التكسير وهي بالتفصيل:

العلق / فعائل، القدر / فعائلة، التكاثر / مفاعل، الهمزة / أفعلة، النصر / أفعال، الفلق / فُعَل، الناس / فعول.

٥- خلت السور التالية من أوزان جموع التكسير وهي:

الشمس، الضحى، الليل، الشرح، التين، العصر، قريش، الماعون، الكوثر، الكافرون، الإخلاص.

من أهم توصياتها:

١- تشجيع الطلاب على ربط بحوثهم بالقرآن الكريم.

٢- أن تهتم المؤسسات التعليمية بأن تكون اللغة العربية الفصحى لغة التخاطب في الجامعات والمعاهد العليا.

٣- إصدار دوريات تعنى باللغة العربية وآدابها وبيعها بأسعار تحفيزية للقراء.

خامساً: دراسة الباحثة: **عفاف محمد سالم البار**

بعنوان: **جموع التكسير في القرآن الكريم**

رسالة ماجستير – كلية اللغة العربية – قسم الدراسات العليا – جامعة أم القرى – مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية.

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي وقامت بإحصاء كل الجموع الواردة في القرآن الكريم .

من أهم نتائجها:

- أن القرآن الكريم قد أهمل صيغتي الجمع (فُعَلَة) و(فُعْلَى) وهما من الصيغ التي وضعها النحويون لجموع التكسير، كما أهمل النحويون صيغاً مثل (فَعِل) و(فِعُل) و(فَيْعَلَة) من

صيغ جموع التكسير مع أنها جاءت صيغاً لجموع وردت في القرآن. كما أن النحويين لم يذكروا صيغة (فَعَالِي) من بين الصيغ التي تلحقها الهاء في آخرها لتأنيث وتأكيد الجمع.

ومن أهم توصياتها:

- تعميم هذا الأسلوب القائم على الإحصاء والجمع في كل قضايا النحو والصرف واللغة المبثوثة في الكتاب العزيز.

سادساً: دراسة الباحث: **خالد محمود عبد الله شحادة**

بعنوان: **جموع التكسير في صحيح البخاري**

دراسة تحليلية دلالية

عمادة البحث والدراسات العليا – الجامعة الهاشمية – الأردن ٢٠٠٨م.

تناولت الدراسة بالتحليل جموع التكسير في صحيح البخاري صرفياً ودلالياً.

من أهم نتائجها:

١- جموع التكسير في صحيح البخاري هو : أربعة آلاف ومائة وثلاثة وعشرون (٤١٢٣) جمعا ، جاء منها ألف وستمائة وسبعة وستون (١٦٦٧) جمعا للقلة ، وألفان وأربعمائة وستة وخمسون جمعا (٢٤٥٦) للكثرة.
٢- أن جموع التكسير في صحيح البخاري القلة والكثرة – القياسي والسماعي منها – لم تخرج عما وضعه النحاة من قواعد.
٣- هناك بعض جموع التّكسير وردت في صحيح البخاري لم ترد قبل ذلك في اللغة ، ولم تستخدم إلا في الحديث الشريف – فيما أعلم – وهي : حواميم ومقاتِلة و مهاجِرة وتصاليب ومياميس.
٤- أن تعدد الجموع للمفردة الواحدة يعود لعِدد من الأسباب أهمها : اختلاف المعنى بين الجمعين من خلال السياق ، وهذا يتضح من خلال الجموع التي جاءت في صحيح

البخاري ومنها إِخوة وإخوان وأعبد وعباد وعبدة وأعين وعيون وحبشة وأحابيش وكبار وكبائر و كبراء .

٥- أن دلالة جموع التكسير على القلة والكثرة ترتبط بالأوزان التي وضعها جمهور النحاة فالأصل في جموع القلة أن تدل على عدد قليل محصور بين ثلاثة إلى عشرة ، والأصل في جموع الكثرة أن تدل على عدد كثير من عشرة إلى مالا نهاية.

هيكل البحث:

يتألف هذا البحث من خمسة فصول، يسبقها تمهيد يكون مدخلاً للبحث على النحو التالي:

التمهيد للبحث: ويشمل الموضوعات الآتية:

- تعريف القرآن لغة واصطلاحاً.
- تعريف الجموع.
- تعريف الصرف لغة واصطلاحاً.
- معنى الدلالة في القرآن الكريم.
- معنى الدلالة في معاجم اللغة العربية.
- تعريف الدلالة عند علماء العرب الأقدمين.
- تعريف الدلالة عند العلماء المحدثين.
- أثر الصرف في الدلالة.
- الإفراد والجمع في لغة القرآن الكريم.

ثم بعد ذلك فصول البحث وتقسيمها كالآتي:

الفصل الأول:

جمع المذكر السالم وما ورد على صيغته في القرآن الكريم.

المبحث الأول: شروط ما يجمع جمع مذكر سالم وطريقة جمعه.

المبحث الثاني: ما يلحق بجمع المذكر السالم.

المبحث الثالث: إعراب جمع المذكر السالم ودلالاته.

الفصل الثاني:

ما جمع بألف وتاء في القرآن الكريم.

المبحث الأول: جمع المؤنث السالم.

المبحث الثاني: ما جاء بألف وتاء من غير جمع المؤنث السالم.

المبحث الثالث: إعرابه ودلالاته.

الفصل الثالث:

جموع القلة في القرآن الكريم.

المبحث الأول: أوزان جموع القلة.

المبحث الثاني: معانيها ودلالاتها.

المبحث الثالث: ما ورد من جموع القلة في القرآن وأريد به الكثرة.

الفصل الرابع:

جموع الكثرة في القرآن الكريم.

المبحث الأول: أوزان جموع الكثرة والقياسي منها والسماعي.

المبحث الثاني: معانيها ودلالاتها.

المبحث الثالث: ما ورد من جموع الكثرة في القرآن وأريد به القلة.

الفصل الخامس:

اسم الجمع واسم الجنس الجمعي في القرآن الكريم.

المبحث الأول: اسم الجمع وما ورد منه في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: اسم الجنس الجمعي وما ورد منه في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: معانيها ودلالاتها.

التمهيد

تمهيد

تعريف القرآن :

أولاً: لُغةً:

القرآن (لُغةً) مأخوذ من (قَرَأَ) بمعنى: تَلا، وهو مصدر مرادف للقراءة، وقد ورد بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ (١) أي قراءته. ومنه قول حسان بن ثابت رضي الله عنه في رثاء عثمان بن عفان رضي الله عنه:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به ... يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً

أي : قراءة (٢).

و(القرآن) على وزن فُعْلان كغُفْران وشُكْران..، وهو مهموز كما في قراءة جمهور القراء، ويقرأ بالتخفيف (قُران) كما في قراءة ابن كثير. وأصله من (القرء) بمعنى الجمع والضم، يقال: قرأت الماء في الحوض، بمعنى جمعته فيه، يقال: ما قرأت الناقة جنيناً، أي لم تضمَّ رحمها على ولد. وسمي القرآن قرآناً لأنه يجمع الآيات والسور ويضم بعضها إلى بعض (٣).

ولقد أصبح (القرآن) علماً شخصياً على كلام الله تعالى، (٤) قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ (٥).

ثانياً: اصطلاحاً:

القرآن اصطلاحاً: "هو كلام الله تعالى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، المجموع بين دفتي المصحف، المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر جيلاً بعد جيل" وحول هذا المعنى تدور تعريفات كثير من الأصوليين، والفقهاء للقرآن الكريم (٦)

يقول الزرقاني: "هو كلام الله تعالى المنزل على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) نبي آخر الزمان، المعجز بلفظه ومعناه، المتحدي بأقصر سورة من سوره، المتعبد بتلاوته، المنقول

١- سورة القيامة، الآيتان: ١٧ – ١٨.

٢- البيت في ديوان حسان بن ثابت، ص، ٢٣٠ ، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه، ٩٠/١، والشمط: في الرجل شيب اللحية، اللسان ، مادة (شمط) :٧ / ٣٣٥-٣٣٦.

٣- راجع لسان العرب مادة (قرأ) :١ / ١٢٨، ومناهل العرفان لعلوم القرآن للزرقاني :١ / ١٤-١٥.

٤- جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، ٨/١.

٥- سورة الإسراء، الآية: ٩ .

٦- راجع تيسير التحرير لأمير بادشاه: ٣ / ٣، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي :١ / ٢٢٨، وكشف الأسرار للنسفي: ١٧/١، وإرشاد الفحول ، ص:٢٩.

إلينا بالتواتر" (١)

يقول الدكتور / محمد عبد الله دراز: "روعي في تسميته قرآنا كونه متلواً بالألسن، كما روعي في تسميته كتابا كونه مدونا بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه، وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعاً. فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب، المنقول إلينا جيلاً بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرة، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر". (٢)

تعريف الجمع:

جَمَعَ الشيءَ عن تَفْرِقة يَجْمَعُه جَمْعاً وجَمَّعَه وأَجْمَعَه فاجتَمع وهي مضارعة، وكذلك تجمَّع واسْتجمع والمجموع الذي جُمع من ههنا وههنا وإن لم يجعل كالشيء الواحد، واسْتجمع السيلُ اجتمع من كل موضع وجمَعْتُ الشيء إذا جئت به من ههنا وههنا وتجمَّع القوم اجتمعوا أَيضاً من ههنا وههنا. وجمعت الشئ المتفرق فاجتمع. والجمع: مصدر قولك جمعت الشئ. وقد يكون اسما لجماعة الناس، ويجمع على جموع. (٣)

وتبرز أهمية الجموع في اللغة العربية في الاستغناء عن التكرار والعطف، فبدلاً من أن نقول جاءَ رجلٌ ورجلٌ ورجلٌ، نقول جاءَ رجالٌ. ويجوز في اللغة أن نستخدم المفرد ونقصد به الجمع، والمثنى ونقصد به الجمع كذلك، كما يمكن أن يقصد بالجمع المثنى أو المفرد. ومن أمثلة ذلك:

أ/ قال تعالى: ﴿ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ (٤). فالفُلْك هنا مفردة والمقصود بها سفينة نوح عليه السلام. كما جاءت في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾ (٥). وكان المراد بها

١- مناهل العرفان لعلوم القرآن، الزرقاني، ١٢/١.

٣- النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، ص، ١٢-١٣.

٤- انظر مادة (جمع) في: تهذيب اللغة (٣٩٧/١)، ولسان العرب (٦٧٨/١)، والصحاح (١١٩٨/٣)، والقاموس المحيط ص ٩١٧-٩١٨.

٥- سورة يس، الآية: ٤١.

٦- سورة النحل، الآية: ١٤.

هنا الجمع بدلالة مواخر والضابط فيها دلالة العبارة.

ب/ قال تعالى: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا ﴾ (١). فالمراد بكلمة قلوبكما قلباكما مثنى وسيأتي تفصيل ذلك.

ج/ قال تعالى: ﴿ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ ﴾ (٢). فالمراد بأخويكم إخوتكم. وقد قرأ الجمهور (بين أخويكم) بالمثنى لأن أقل ما يقع بينهم الشقاق اثنان، فإذا كان الإصلاح لازماً بين اثنين فهو ألزم بين أكثر من اثنين. وقيل المراد بالأخوين الأوس والخزرج. (٣)

د/ قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ ﴾ (٤). المراد بكرتين هنا كرّات لأن انقلاب البصر لا يكون من مرتين بل لابد من تكرار وهنا أراد بالتثنية التكثير.

تعريف الصرف:

لغة:

الصَّرْفُ فَضْلُ الدَّرْهَم في القيمة وجَوْدةُ الفِضَّة وبيع الذَّهَبِ بالفضَّةِ ومنه الصَّيْرَفِيُّ لتَصريفه أحدهما بالآخَر، والتَّصريف اشتِقاق بعضٍ من بعضٍ، وصَيْرفِيّات الأمور مُتصَرفاتُها أي تتقلَّبُ بالناسِ، وتصريف الرِّياحِ تَصَرّفُها من وَجْهٍ الى وَجْهٍ وحال الى حال وكذلك تصريف الخيول والسُّيُول والأمور، وصَرْف الدَّهْرِ حَدَثُه، وصَرْف الكلمة إجراؤها بالتنوين، وقال الحسن الصَّرْفُ التَطَوُّعُ والعَدْل الفريضةُ، والصَّرْفُ أن تَصِرفَ إنساناً على وَجْهٍ يُريده إلى مَصْرفٍ غير ذلك. (٥)

وجاء في لسان العرب في مادة (صَرَفَ): "الصَّرْفُ رَدُّ الشيء عن وجهه صَرَفَه يَصْرِفُه صَرْفاً فانْصَرَفَ وصارَفَ نفْسَه عن الشيء صَرفَها عنه، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ ﴾ (٦) أَي رَجَعوا عن المكان الذي استمعُوا فيه وقيل، انْصَرَفُوا عن العمل بشيء مما سمعوا صَرَفَ اللّه قلوبَهم أَي أَضلَّهُم اللّه مُجازاةً على فعلهم وصَرفْتُ الرجل عني فانْصَرَفَ والمُنْصَرَفُ قد يكون

١- سورة التحريم، الآية: ٤.

٢- سورة الحجرات، الآية: ١٠.

٣- راجع تفسير البحر المحيط، ١١٢/٨.

٤- سورة الملك، الآية: ٤.

٥- كتاب العين للخليل بن أحمد، ١٠٩/٧.

٦- سورة التوبة، الآية: ١٢٧.

مكاناً وقد يكون مصدراً وقوله عز وجل: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ﴾ (١)، أي أَجْعَلُ جَزاءهم الإضْلالَ عن هداية آياتي. وقوله عز وجل: ﴿ فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗا ﴾ (٢)، أي ما يستطيعون أَن يَصْرِفُوا عن أَنفسهم العَذابَ ولا أَن يَنْصُروا أَنفسَهم. قال يونس: الصَّرْفُ الحِيلةُ وصَرَفْتُ الصِّبْيان قَلَبْتُهم وصَرَفَ اللّه عنك الأَذى، واسْتَصْرَفْتُ اللّهَ المَكارِهَ، والصَّريفُ اللَّبَنُ الذي يُنْصَرَفُ به عن الضَّرْعِ حارّاً، والصَّرْفانِ الليلُ والنهارُ، وصَرَّفْنا الآياتِ أَي بيَّنْاها وتَصْريفُ الآيات تَبْيينُها، والصَّرْفُ أَن تَصْرِفَ إنساناً عن وجْهٍ يريده إلى مَصْرِفٍ غير ذلك وصَرَّفَ الشيءَ أَعْمله في غير وجه كأَنه يَصرِفُه عن وجه إلى وجه، وتَصَرَّفَ هو وتَصارِيفُ الأُمورِ تَخالِيفُها ومنه تَصارِيفُ الرِّياحِ والسَّحابِ. وصَرْفُ الدَّهْرِ حِدْثانُه ونَوائبُه والصرْفُ حِدْثان الدهر اسم له لأَنه يَصْرِفُ الأَشياء عن وجُوهها وقول صخر الغَيّ:

عاوَدَني حُبُّها وقد شَحِطَتْ صَرْفُ نَواها فإنَّني كَمِدُ (٣)

أَنَّث الصرف لتَعْلِيقه بالنَّوى وجمعه صُروفٌ. والصَّرْفُ فَضْلُ الدِّرهم على الدّرهم والدّينار على الدِّينار لأَنَّ كلَّ واحد منهما يُصْرَفُ عن قِيمةِ صاحِبه، والصَّرْفُ بيع الذهب بالفضة وهو من ذلك لأَنه يُنْصَرَفُ به عن جَوْهر إلى جَوْهر والتصْريفُ في جميع البِياعاتِ إنْفاق الدَّراهم، والصَّرَّافُ والصَّيْرَفُ والصَّيْرَفيُّ النقّادُ من المُصارفةِ وهو التَّصَرُّفِ والجمع صَيارِفُ وصَيارِفةٌ والهاء للنسبة. وقد جاء في الشعر الصَّيارِفُ فأَما قول الفرزدق:

تَنْفِي يَداها الحَصى في كلِّ هاجِرَةٍ نَفْيَ الدَّراهِمِ تَنْقادُ الصَّيارِيفِ (٤)

فعلى الضرورة لما احتاج إلى تمام الوزن أَشْبع الحركة ضرورةً حتى صارت حرفاً وبعكسه. وقيل الصَّرْفُ التَّطَوُّعُ والعَدْلُ الفَرْضُ وقيل الصَّرْفُ التوبةُ والعدل الفِدْيةُ وقيل الصرفُ الوَزْنُ والعَدْلُ الكَيْلُ وقيل الصَّرْفُ القيمةُ والعَدلُ المِثْلُ وأَصلُه في الفِدية يقال لم يقبلوا منهم صَرفاً ولا عَدلاً أَي لم يأْخذوا منهم دية ولم يقتلوا بقَتيلهم رجلاً واحداً أَي طلبوا منهم أَكثر من ذلك قال كانت العرب تقتل الرجلين والثلاثة بالرجل الواحد فإذا قتلوا رجلاً برجل فذلك العدل فيهم وإذا أَخذوا دية فقد انصرفوا عن الدم إلى غيره فَصَرَفوا ذلك صرْفاً فالقيمة صَرْف لأَن الشيء يُقَوّم بغير صِفته ويُعَدَّل بما كان في صفته قالوا ثم جُعِل بعدُ في كل شيء حتى صار مثلاً فيمن لم يؤخذ منه

١- سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.

٢- سورة الفرقان، الآية: ١٩.

٣- انظر الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ٢٤٦/٢٢.

٤- البيت في ديوان الفرزدق، ص، ٧٩، ونهاية الأرب في فنون الأدب، ٧١/١٠.

الشيء الذي يجب عليه وأُلزِمَ أكثر منه. وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ (١) أَي مَعْدِلاً قال: أَزُهَيْرُ هلْ عن شَيْبةٍ من مَصْرِفِ؟ أَي مَعْدِل وقال ابن الأَعرابي: الصرف المَيْلُ والعَدْلُ الاسْتِقامةُ وقال ثعلب: الصَّرْفُ ما يُتَصَرَّفُ به والعَدْل الميل وقيل الصرف الزِّيادةُ والفضل وليس هذا بشيء وفي الحديث أَن النبي (صلى اللّه عليه وسلم) ذكر المدينة فقال: "من أَحْدثَ فيها حَدَثاً أَو آوَى مُحْدِثاً لا يُقبل منه صَرْفٌ ولا عَدْلٌ". قال مكحول الصَّرفُ التوبةُ والعدْلُ الفِدية قال أَبو عبيد وقيل الصرف النافلة والعدل الفريضة وقال يونس الصرف الحِيلة ومنه قيل فلان يَتَصَرَّفُ أَي يَحْتالُ. (٢)

اصطلاحاً:

أصبح مفهوم الصرف لدى العلماء المتأخرين ذا مجال واسع التطور وخصه بعضهم بالتأليف منفصلاً عن النحو كابن الحاجب الذي يقول: "التصريف علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب" (٣). وأضاف الرضي على هذا التعريف قائلاً: "والمتأخرون على أنّ التصريف علم بأبنية الكلمة، وبما يكون لحروفها من أصالة وزيادة وحذف واعتلال وإدغام وبما يعرض لآخرها مما ليس بإعراب ولا بناء من الوقف وغير ذلك" (٤)

التصريف: "اعلمْ أنَّ التصريفَ "تَفْعيلٌ" مِنَ الصَّرْفِ، وهو أنْ تُصرِّفَ الكلمةَ المُفْرَدَةَ، فَتَتَوَلَّد منها أَلْفَاظ مُخْتَلِفَةٌ، ومعانٍ مُتَفَاوِتَة (٥). ثُمَّ إِنَّه مُشْتَرك بين الأَسْمَاءِ والأَفْعالِ في الصِّحَّةِ والإِعْلالِ، والقَلْبِ، والإِبْدالِ، والوَزْنِ، والتَّمْثِيلِ. وهُوَ أنْ تقَابِلَ حُرُوفَ الكَلِمَةِ الثلاثِيَةِ (٦) بِالفَاءِ، والعَيْنِ، وَاللّامِ، وتُكَرِّرَ اللاَّمَ فِي الرُّبَاعِيِّ مُطْلَقاً(٧) وَكَذَا فِي الاسْمِ الخُمَاسِيِّ، إِذْ لا خُمَاسِيَّ فِي الفِعْلِ لِثَقَلِهِ أَصْلِيًّا (٨)

١- سورة الكهف، الآية: ٥٣.

٢- لسان العرب لابن منظور، ١٨٩/٩، وما بعدها.

٣- شرح شافية ابن الحاجب، ١/١.

٤- المرجع السابق، ٦/١.

٥- قيد بكلمة "المفردة" احترازاً عن المركّب ، لأن "خمسة عشر" مثلاً لا يَتَصرفُ إلى التثنية والجمع.

٦- وإنما قال: الثلاثية، لأنَّ الاسم والفعل لا يكونان أقَلَ من ثلاثة أحرف، حرف يُبدأ به، وحرف يُوقف عليه، وحرف يُفرق به بين الابتداء والوقف . وأما "أب وأخ وَيدٌ ودَمٌ " فقد كان أصلها : أبَو ، وأخَو ، ويَدَيٌ ودَمَي. وانظر ما ذكره ابن جني في باب الاصلي والزائد في المنصف ١ / ١١. وانظر شرح الشافية ١ / ٧ – ٩.

٧- أيْ في الاسم والفعل. انظر المنصف ١ / ٢٤ ، ٢٥.

٨- قيد بالأصلي: فإنَّ المنشعبة في الخماسية تكون على غير الأصلي. وإنما نقصت الأفعال من الأسماء بدرجةٍ لثقلها، وخفة الأسماء. انظر في هذا تعليل المازني وابن جني في المنصف ١ / ٢٨.

وَفي المُنْشَعِبَةِ بِمِثْلِهَا. (١) إلا: اضْطَرَبَ وازْدَجَرَ، فَوَزْنُهُمَا "افْتَعَلَ" بِالتَّاءِ لا بالطَّاءِ والدَّالِ (٢). ويرى رضي الدين الاستراباذي أنّ وزن هذين الفعلين وما يماثلهما "إفْطَعَلَ وَافْدَعَلَ لا افتعل، أي أنه يرى إثبات الحرف المبدل نفسه في الميزان، فَنَقُولُ: ضَرَبَ على وَزْنِ "فَعَلَ " وبنائِهِ وَوِزَانِهِ، ودَحْرَجَ مِثَالُ "فَعْلَلَ"، وسَفَرْجَلٌ "فَعَلَّلٌ" بِتَشْدِيدِ اللاَّمِ الأوْلى، وَأَخْرَجَ مِثَالَ "أَفْعَلَ".

وفي البدَلِ مِنَ الأصْلِ جَازَ فِيْهِ المِثَالاَنِ، فَمِثْلُ كِسَاءٍ: "فِعَالٌ أوْ فِعَاءٌ "، أَصْلُهُ "كِسَاو" قُلِبَتْ الوَاوُ هَمْزَةً لَتَطَرُّفِهَا". (٣)

وقد عَدَّ الفارسي التغيير الذي يلحق ذوات الكلم وأنفسها – يعني التغيّر في أبنية الكلمة أو التصريف – عدَّه من النحو. (٤) وذكر ابن جني أنّ علم التصريف ميزان العربية، وبه تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به (٥). وذكر في موضع لاحق أن التصريف إنما هو أنْ تجيء إلى الكلمة الواحدة فتصرفها على وجوه شتى.(٦)

وذكر ابن الحاجب أن التصريف علم بأصول تُعْرَف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب (٧). وذكر ابن عصفور أنه كان ينبغي أن يقَدَّم علم التصريف على غيره من علوم العربية، إذ هو معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب. (٨)

لفظ "الدلالة" في القرآن الكريم:

لقد أورد القرآن الكريم صيغة "دلّ" بمختلف مشتقاتها في مواضع سبعة تشترك في إبراز الإطار اللغوي المفهومي لهذه الصيغة، وهي تعني الإشارة إلى الشيء أو الذات سواء أكان ذلك تجريداً أم حساً ويترتب على ذلك وجود طرفين: طرف دال وطرف مدلول يقول تعالى في سورة "الأعراف" حكاية عن غواية الشيطان لآدم وزوجه: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ (٩) أي أرشدهما إلى الأكل

١- يعني بالمنشعبة: المزيدة على الأصول الثلاثية أو الرباعية، و"بمثلها": أي نزيد في الميزان "فعل" ما زاد في الكلمة على الأصول وفي ترتيبها وحركاتها.

٢- انظر شرح الشافية ١ / ١٠.

٣- المرجع السابق، ١ / ١٨.

٤- المفتاح في الصرف، ١/٢٦-٢٨.

٥- المصنف ١ / ٢.

٦- المرجع السابق، ١/٣ .

٧- شرح الشافية، ١ / ١.

٨- التصريف الملوكي، ١٨/١٩.

٩- سورة الأعرف، الآية: ٢٢، انظر تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٣/٣٧.

من تلك الشجرة التي نهاهما الله عنها. فإشارة الشيطان دال والمفهوم الذي استقر في ذهن آدم وزوجه وسلكا وفقه هو المدلول أو محتوى الإشارة، فبالرمز ومدلوله تمت العملية الإبلاغية بين الشيطان من جهة، وآدم وزوجه من جهة ثانية، وإلى المعنى ذاته، يشير قوله تعالى حكاية عن قصة موسى عليه السلام: ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ (١). كما ورد قوله تعالى في سورة "طه" حكاية عن إبليس: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ (٢). فهاتان الآيتان تشيران بشكل بارز إلى الفعل الدلالي المرتكز على وجود مرسل يحمل رسالة ذات دلالة. ومتلقٍّ يتلقى الرسالة ويستوعبها وهذا هو جوهر العملية الإبلاغية التي تنشدها اللسانيات الحديثة، فإذا تم الاتصال الإبلاغي فواضح أن القناة التواصلية سليمة بين الباث والمتقبل. وتبرز العلاقة الرمزية بين الدال والمدلول– قطبي الفعل الدلالي– في قوله تعالى من سورة الفرقان: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ (٣)

فلولا الشمس ما عرف الظل، فالشمس تدل على وجود الظل فهي علا قة شبيهة بعلاقة النار بالدخان الذي يورده علماء الدلالة مثالاً للعلاقة الطبيعية التي تربط الدال بمدلوله، ويمكن تمثل هذه العلاقة في أي صيغة أخرى، ولقد دلت الأرضة التي أكلت عصا سليمان عليه السلام حتى خرّ على أنه ميت في قوله تعالى من سورة سبأ: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾(٤) فتعيين طرفي الفعل الدلالي كما تحدده الآية، ضروري لإيضاح المعنى؛ فالدابة وأكلُها العصا دال، وهيئة سليمان وهو ميت مدلول، فلولا وجود "الأرضة" (الدال) لما كان هناك معرفة موت سليمان– عليه السلام– (دال عليه)، ومن السورة السابقة ورد قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (٥)

١– سورة القصص: الآية ١٢، انظر تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ٢١٧/٤.

٢– سورة طه، الآية: ١٢٠، انظر تفسير ابن كثير، ٥٤٢/٤.

٣– سورة الفرقان، الآية: ٤٥، انظر تفسير الكشاف للزمخشري، ١٢٠/٤.

٤– سورة سبأ، الآية: ١٤، انظر تفسير الكشاف للزمخشري، ٦٢/٥.

٥– سورة سبأ، الآية: ٧، انظر تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٢٦٣/١٤.

فهذه الآية تؤكد على ضرورة وجود إطار للفعل الدلالي، عناصره الدال والمدلول والرسالة الدلالية التي تخضع لقواعد معينة، تشرف على حفظ خط التواصل الدلالي بين المتخاطبين، وإلى المفهوم اللغوي ذاته يشير قوله تعالى على لسان أخت موسى عليه السلام: ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ (١)

هذه الآيات التي ورد ذكر لفظ "دلّ" بصيغه المختلفة، تشترك في تعيين الأصل اللغوي لهذا اللفظ، وهو لا يختلف كثيراً عن المصطلح العلمي الحديث ودلالته، فإذا كان معنى اللفظ "دلّ" وما صيغ منه في القرآن الكريم يعني الإعلام والإرشاد والإشارة والرمز، فإن المصطلح العلمي للدلالة الحديثة لا يخرج عن هذه المعاني إلا بقدر ما يضيف من تحليل عميق للفعل الدلالي، كالبحث عن البنية العميقة للتركيب اللغوي بملاحظة بنيته السطحية، أو افتراض وجود قواعد دلالية على مستوى الذهن تكفل التواصل بين أهل اللغة الواحدة، وهو يفسر توليد المتكلم لجمل جديدة لم يكن قد تعلمها من قبل. كما تنص على ذلك القواعد التوليدية التي أشار إليها (تشومسكي) ضمن نظريته التوليدية، فما يمتاز به متكلم اللغة قدرته على إنتاج وفهم جمل لم يسبق له أن أنتجها أو سمعها من قبل".(٢)

لفظ "الدلالة" في معاجم اللغة العربية:

الصورة المعجمية لأي لفظ في اللغة العربية تمثل المرجعية الأولى لهذا اللفظ في القاموس الخطابي، باعتبار دلالته الأولى "فالحالة المعجمية للألفاظ تمثل الصورة الأساسية لمحيطها الدلالي" (٣). وكتاب القرآن الكريم، يمثل ذروة ما وصل إليه الخطاب اللغوي القديم من فصاحة اللغة وجودة التعبير والدلالة، فلو تتبعنا لفظ "دل"، وما صيغ منه، في معاجم اللغة المعروفة، لألفينا دلالته لا تبتعد عن ذلك المجال الذي رسمه القرآن الكريم، فيورد ابن منظور قوله حول معاني لفظ دل: "الدليل ما يستدل به، والدليل الدال. وقد دله على الطريق يدله دلالة (بفتح الدال أو كسرها أو ضمها) والفتح أعلى، وأنشد أبو عبيد: إني امرؤ بالطرق ذو دلالات. والدليل والدليلي الذي يدلك". ويسوق ابن منظور قول سيبويه وعلي- كرم الله وجهه- وقد تضمن قولهما لفظ "دل" يقول سيبويه: "والدليلي علمه بالدلالة ورسوخه فيها".

١- سورة طه، الآية ٤٠، انظر تفسير ابن كثير، ٥٠٦/٤.

٢- اللسانيات واللغة العربية، عبد القاهر غذامي الفهري، ص٣٧٠.

٣- علم الدلالة العربي، فايز الداية، ص٤١.

وفي حديث علي- رضي الله عنه- في صفة الصحابة: "ويخرجون من عنده أدلة" وهو جمع دليل أي بما قد علموا فيدلون عليه الناس يعني: يخرجون من عنده فقهاء، فجعلهم أنفسهم أدلة، مبالغة." (١)

إن ابن منظور- بما جمع من أمثلة- يرسم الإطار المعجمي للفظ "دلّ" محدداً المعنى الحقيقي الذي ينحصر في دلالة الإرشاد أو العلم بالطريق الذي يدل الناس ويهديهم. وهذا التصور للدلالة، لا يختلف عن التصور الحديث مما يعني أن المصطلح العلمي (الدّلالة) يستوحي معناه من تلك الصورة المعجمية التي نجدها في أساليب الخطاب اللغوي القديم.

وإلى المعنى ذاته يشير الفيروز أبادي محدداً الوضع اللغوي للفظ "دلّ" فيقول: " والدالة ما تدل به على حميمك، ودله عليه دلالة ودلولة فاندل: سدّده إليه وقد دلت تدل والدال كالهدي" (٢). وبهذا الشرح الذي قدمه الفيروز أبادي أكد عليه ابن منظور إذ أن الأصل اللغوي للفظ "دل" يعني هدى وسدد وأرشد.

ويترتب على هذا التصور المعجمي توفر عناصر الهدي والإرشاد والتسديد أي توفر: مرشِد ومرشَد ووسيلة إرشاد وأمر مرشَد إليه. وحين يتحقق الإرشاد تحصل الدلالة، وتقابل اللسانيات الحديثة هذا التصور، بتعيين الباث والمستقبل ووسيلة الإبلاغ والتواصل وشروطها، ثم المرجع المفهومي الذي تحيل عليه الرسالة الإبلاغية، وبناء على ذلك فالعمل المعجمي هو عمل دلالي وإن كان (جورج مونان) كما نقل د. فايز الداية ينبه إلى أنه من الضروري عدم الخلط بين علم الدلالة (semantique) والدراسة المعجمية (lexicographie)، هذه التي لا تهتم إلا بوصف فحوى الكلمات كما نراها- في الحالة التقليدية- حين تسجيلها في المعجم". (٣) ولكن إذا كان المعجم لا يفي بالغرض في نقل دلالة اللفظ التي تشعب بها الخطاب اللغوي الحديث، فإن إيراد المعنى المركزي هو الذي يعين على مجموعة الحالات الجزئية التي تتباين وتتغاير بعدد السياقات التي تحل فيها(٤)، وعلى ذلك فإن الدراسات المعجمية- كما قام بها علماء المعجم- لا يمكن إغفالها أو إسقاطها من الجهود الدلالية العربية- ويبقى السياق المحدد الرئيسي لدلالة اللفظ المتجددة، إذ ذهب بعض العلماء إلى التأكيد أن معنى الكلمة هو مجموع استعمالاتها المختلفة في السياقات المتعددة، "وعلى العموم فإن معاني (دلالات) الكلمات هي نتائج لا يتوصل إليها

١- انظر لسان العرب لابن منظور، ٣٩٤/١١-٣٩٥.

٢- القاموس المحيط، ٣٧٧/٣.

٣- علم الدلالة العربي، فايز الداية، ص٢٠٤-٢٠٥.

٤- المرجع نفسه، ص ٢١٧ .

إلا من خلال تفاعل الإمكانيات التفسيرية لكامل الكلام كما يرى إمبسون." (١) هذا التحديد اللغوي للفظ "دل" كما جاء به الفيروز آبادي ينطوي على جملة من المعطيات اللغوية، يفسرها الدرس اللساني والدلالي الحديث ويحدد أبعادها المعرفية.

أما الزبيدي في معجمه فيشرح لفظ "دل" لغوياً فيقول: " وامرأة ذات دل أي شكل تدل به" يقول الأزهري في كتابه "التهذيب" قوله: دللت بهذا الطريق دلالة عرفته ودللت به أدل دلالة، ثم إن المراد بالتسديد إراءة الطريق، دل عليه يدله دلالة ودلولة فاندلّ على الطريق (سدده إليه). وأنشد ابن الأعرابي:

ما لك يا أعور لا تندلُّ ... وكيف يندل امرؤ عِثولُّ (٢)

ومما يستدرك عليه الدليل ما يستدل به، وأيضاً الدال وقيل هو المرشد وما به الإرشاد، الجمع أدلة وأدلاء، قول الشاعر:

شدوا المطي على دليل دائب ... من أهل كاظمة بسيف البحر (٣)

أي على دلالة دليل كأنه قال معتمدين على دليل. قال ابن الأعرابي: دل فلان إذا هدى(٤). وتجمع قواميس اللغة على أن الدلالة، تعني الهدي والإرشاد، فدله على الشيء وعليه أرشده وهداه.

الدلالة في تعريفات علماء العرب القدامى

إن الأسس النظرية التي انبنى عليها المصطلح العلمي القديم نشأت في رحاب الدرس الفقهي، الذي يتوخى فهم كتاب الله واستنباط الأحكام منه، ولذلك نجد مختلف علوم التراث المعرفي العربي تشترك– إلى حد بعيد– في أدوات البحث ومصطلحاته العلمية، ولا أدل على ذلك أن ظهر فرع من علوم العربية أطلق عليه مصطلح "فقه اللغة"(٥) على غرار فقه الشرع، كما استخدم اللغويون القدامى مصطلحات هي من لوازم الفقه الشرعي نذكر منها: مصطلح القياس والسماع والإجماع واستصحاب الحال والاستحسان(٦) وما إلى ذلك، ولم يشذ الدرس الدلالي في التراث العربي عن هذه الأسس النظرية باعتباره كان يدور في فلك العلوم التي كانت

١– علم الدلالة العربي، فايز الداية، ص٢٢٣.

٢– انظر تهذيب اللغة، ١١١/٣.

٣– انظر الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ٦٩١/٢ ، وشرح أدب الكاتب، ١٣٥/١.

٤– انظر تاج العروس للزبيدي، ٣٢٤/٧–٣٢٥.

٥– أول مؤلف حمل عنوان فقه اللغة هو كتاب الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لابن فارس.

٦– فنون التقعيد وعلوم الألسنية، ريمون طحان، دينر بيطار ضحاك، ص٢٦.

تهدف إلى فهم كتاب القرآن، بتذليل معانيه واستنباط دلالاته، واقتباس سننه في الإنشاء والتعبير. (١) ويمكن أن نلمس هذا الاهتمام بالدلالة- لدى المتقدمين من العلماء العرب- في ميادين مختلفة من المعارف والعلوم كالمنطق والفلسفة، وأصول الفقه، والتاريخ، والنقد، وبناء على هذه العلوم سنبين تعريفات للدلالة عند كل من: أبي نصر الفارابي (ت ٣٣٩هـ)، والإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، وعبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، والشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، واختيارنا لهؤلاء الأعلام ارتكز أساساً على عدة اعتبارات كان أهمها وضوح الاهتمام بالتنظير الدلالي الذي يبدو بارزاً في مؤلفات هؤلاء العلماء، وسنقتصر على تقديم ماهية الدلالة عند علماء العرب القدامى تقديماً موجزاً بالقدر الذي يبرز مفاهيمها وتعريفاتها.

علم الدلالة في التراث العربي القديم:

١- الدلالة عند الفارابي:

يرى الفارابي ضرورة الأخذ بعلوم العربية وقوانينها وسننها في التعبير والخطاب، لأنها أدوات أساسية في البحث المنطقي والفلسفي، واهتمام الفارابي بعلوم العربية يستشف من خلال مؤلفاته في المنطق والفلسفة، ولا نكاد نعثر عنده على تنظير للدلالة ومتعلقاتها، إلا بقدر ما له ارتباط بهذين العلمين، ومن جملة المسائل الدلالية التي بحثها الفارابي ما يلي: (٢)

أ- أقسام الألفاظ باعتبار دلالتها.

ب- ما يقوم به مقام اللفظ المفرد من الأدوات الدالة.

ج- الدلالة محتواه في النفس.

٢- الدلالة عند الغزالي:

إن مفهوم الدلالة عند الغزالي ينبغي أن ينظر إليه من زاوية الثقافة الأصولية، ذلك أن الأحكام التي استنبطها من القرآن الكريم- خاصة- استند فيها على أسس نظرية نجدها بشكل واضح في كتابه "المستصفى من علم الأصول". وتعود هذه الأسس أصلاً إلى فهم عميق للدلالة، "وإن كانت وضعت لتطبق في فهم النصوص الشرعية، ولكنها تطبق أيضاً في معاني أي نص غير شرعي ما دام مصوغاً في لغة عربية"(٣) والتفسير الدلالي الذي توصل إليه الغزالي يدل على أن هذا العالم الفيلسوف قد تجاوز البحث عن ماهية الدلالة إلى البحث عن

١- علم الدلالة في التراث العربي، أصوله ومباحثه، ٢٤/١، وما بعدها.

٢- المرجع السابق، ٣٣/١.

٣- التشريع الجنائي الإسلامي، عبد القادر عودة، ١٥٦/١.

جوهر الدلالة وفروعها، فبنظرة مقتضبة إلى بعض نصوصه في كتابه المشار إليه آنفاً، تجده يذكر أصنافاً لمعان قد حددها علماء الدلالة المحدثون كالمعنى الإرشادي أو الإيمائي، والمعنى الاتساعي، والمعنى السياقي، وإن كان الغزالي يسميها بمصطلحات أصولية وهي على الترتيب دلالة الإشارة ودلالة الاقتضاء وفحوى الخطاب، وكل دلالة عند الغزالي قد تنقسم إلى دلالات فرعية يقول معرفاً دلالة الاقتضاء: "هي التي لا يدل عليها اللفظ ولا يكون منطوقاً بها ولكن تكون من ضرورة اللفظ". (١) وكيف تكون دلالة الاقتضاء من ضرورة اللفظ؟ يوضح ذلك الغزالي بقوله: "أما من حيث لا يمكن كون المتكلم صادقاً إلا به، أو من حيث يمتنع وجود الملفوظ شرعاً إلا به أو من حيث يمتنع ثبوته عقلاً إلا به".(٢)

إن إدراك دلالة الاقتضاء تتم إما باعتبار طبيعة حال المتكلم فهي بناء على ذلك طبيعية لا يكون المتكلم عندها إلا صادقاً وإما باعتبار طريق العقل فالدلالة إذن عقلية منطقية.

وعلى هذا الأساس وبحسب تقسيمات الغزالي يتضح أنّ:

أ- الكتابة دال فقط باعتبارها واسطة تمثيل للملفوظ فهي إشارة لإشارة كما يقول (جاك دريدا): "الكتابة جاءت لتملأ فراغاً لتكون امتداداً للملفوظ خاصة إذا وجدت لغات لا يمكن إلا أن تكون مكتوبة ولا نستطيع تجريدها بالمنطق كما هو شأن لغة الجبر في الرياضيات".

ب- اللفظ دال باعتبار ومدلول باعتبار آخر.

ج- المعنى الذي في النفس (الصور الذهنية) مدلول فقط وليست بدال.

د- الموجود في الأعيان (الأمور الخارجية) مدلول فقط وليست بدال. (٣)

٣- الدلالة عند ابن خلدون:

لا نكاد نعثر لابن خلدون عن تعريف بيّن للدلالة، وإنما باستقراء نصوص "مقدمته" نجد دراسات في الدلالة قد تجاوزت- بلا شك- الماهية إلى البحث العميق عن جوهر الدلالة وطرق تأديتها، واضحة من غير لبس يقول موضحاً ذلك وشارحاً: "واعلم بأن الخط بيان عن القول والكلام، كما أن القول والكلام بيان عما في النفس والضمير من المعاني، فلا بد لكل منهما أن يكون واضح الدلالة." (٤)

١- المستصفى من علم الأصول، ص١٨٧.

٢- المرجع السابق، ص١٨٧.

٣- علم الدلالة في التراث العربي، أصوله ومباحثه، ٣٦/١.

٤- المقدمة لابن خلدون، ٥٠٩/٢.

فابن خلدون– على نهج الغزالي– يوضح العلاقة القائمة بين المعاني المحفوظة في النفس، والكتابة والألفاظ ويحصرها في ثلاثة أصناف: (١)

أ– الكتابة الدالة على اللفظ..

ب– اللفظ الدال على المعاني التي في النفس والضمير. (الصورة الذهنية): وهذه المعاني إن لم تكن مجردة فإنها تدل على موجود في الأعيان وعلى هذا الأساس فالصنف الثالث للدلالة:

ج– المعاني الدالة على الأمور الخارجية.

٤– الدلالة عند الشريف الجرجاني:

إن ما يبعث على تقدير جهود الجرجاني حق قدرها في ميدان علم الدلالة، هو عمق تحليله وحسن تصنيفه لأقسام الدلالة، وقد قام عدة باحثين في العصر الحديث على إجراء مقاربة علمية بين ما توصل إليه الجرجاني في تقسيماته للدلالة وما توصل إليه علماء الدلالة في العصر الحديث، ومنهم العالم الأمريكي (بيرس). يعرف الجرجاني الدلالة من منطلق الثقافة الأصولية فيقول: "الدلالة هي كون الشيء بحاله يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص وإشارة النص واقتضاء النص". (٢)

وعلى أساس هذا التعريف للدلالة، فأقسامها عند الجرجاني اثنان:

أ– الدلالة اللفظية: إذا كان الشيء الدال لفظاً.

ب– الدلالة غير اللفظية: إذا كان الشيء الدال غير لفظ. (٣)

الدلالة عند المحدثين:

لقد أعلن بريال ميلاد علم يختص بجانب المعنى في اللغة وهو علم الدلالة الذي أتى ليسد تلك الثغرة في الدراسات اللغوية التي كانت تهتم بشكل الكلمات ومادتها، أما دراسة المعنى فيها فتمثل الجانب الهزيل قال بريال: "إن الدراسة التي ندعو إليها القارئ هي من نوع حديث للغاية بحيث لم تسم بعد، لقد اهتم معظم اللسانين بجسم وشكل الكلمات وما انتبهوا قط إلى القوانين التي تنظم تغيّر المعاني وانتقاء العبارات الجديدة والوقوف على تاريخ ميلادها ووفاتها.

١– علم الدلالة في التراث العربي، أصوله ومباحثه، ١/٤٠.

٢– التعريفات، الشريف الجرجاني، ص٢١٥.

٣– علم الدلالة في التراث العربي، أصوله ومباحثه، ١/٤٥.

وبما أن هذه الدراسة تستحق اسماً خاصاً بها فإننا نطلق عليها اسم (semantique) للدلالة على علم المعاني. " فعلم الدلالة– عند العالم بريال– يعني بتلك القوانين التي تشرف على تغير المعاني، ويُعاين الجانب التطوري للألفاظ اللغوية ودلالاتها، ويكون بريال بذلك أول من وجه الاهتمام إلى دراسة المعاني ذاتها، لكن أهمية التفاتة بريال إلى جوهر الكلمات لم تقدر حق قدرها قبل محاولة الانجليزيين أوجدن (C.K.Orgdon) وريتشاردز (I.A.Richards) اللذين أحدثا ضجة في الدراسة اللغوية بإصدار كتابهما عام ١٩٢٣ تحت اسم "معنى المعنى" وفيه تساءل العالمان عن ماهية المعنى من حيث هو عمل ناتج عن اتحاد وجهي الدلالة أي الدال والمدلول(١).

وأضحى علم الدلالة ابتداء من ذلك يهتم بالصورة المفهومية، باعتبار أنه لا علاقة مباشرة بين الاسم ومسماه، إنما العلاقة المباشرة تربط الدال بالمحتوى الفكري الذي في الذهن يقول مازن الوعر في هذا الصدد في تقديمه لكتاب "علم الدلالة" لبيار جيرو: "إذا كانت الصوتيات واللغويات تدرسان البنى التعبيرية وإمكانية حدوثها في اللغة، فإن الدلاليات تدرس المعاني التي يمكن أن يعبر عنها من خلال البنى الصوتية والتركيبية" (٢).

ويوضح سالم شاكر أكثر فيقول: "إن علم الدلالة يعني بظواهر مجردة هي الصورة المفهومية"(٣). ونزع علم الدلالة في العصر الحديث إلى تمثل المنهج الوصفي في بعض مراحل الدراسة خاصة فيما يتعلق برصد تطور الدلالة وتغيرها وبناء الحقول الدلالية يقول ميشال زكريا: "أما علم الدلالات فهو مستوى من مستويات الوصف اللغوي، ويتناول كل ما يتعلق بالدلالة أو بالمعنى فيبحث مثلاً في تطور معنى الكلمة ويقارن بين الحقول الدلالية المختلفة".(٤)

إن المجال الواسع الذي حظيت به الدراسات الدلالية الحديثة، يرجع إلى تلك الأطر المميزة التي رسمها العالمان أوجدن وريشاردز وبعدهما بريال، ومع تقدم الدراسة بدأت البحوث الدلالية تشهد عقبات تكمن صعوبتها في استحالة حصرها وتحديدها؛ من ذلك أن عكف الدرس الدلالي الحديث على البحث في ماهية الصورة المفهومية، بحيث استحال معها الإحاطة بكل

١- مدخل إلى علم الدلالة الألسني، موريس أبو ناضر، مجلة الفكر المعاصر، العدد ١٩/١٨، السنة ١٩٨٢، ص٣٢.

٢- علم الدلالة، بيار جيرو، ترجمة منذر عياشي، ص٧٢.

٣- مدخل إلى علم الدلالة، سالم شاكر، ترجمة محمد جباتين، ص٤.

٤- الألسنية: علم اللغة الحديث، ميشال زكريا، ص٢١١.

ما يشكل عالم المتكلم حتى يمكن فهم وإدراك المحتوى الفكري المجرد. يقول (كولردج) محدداً مجال البحث الجديد لعلم الدلالة: "ولا يتضمن معنى اللفظة في رأيي مجرد الموضوع الذي يقابلها، بل يشمل أيضاً جميع الارتباطات التي تبعثها اللفظة في أذهاننا فطبيعة اللغة لا تمكنها من نقل الموضوع فحسب، وإنما تجعلها أيضاً تنقل شخصية المتكلم الذي يعرض الموضوع ونواياه".(١) إن الحديث عن البنى العميقة التي تتحكم في إنتاج الدلالة من وجهة نظر مجردة، يبقى بعيد المرام، ولذلك فإن جل علماء الدلالة والسيمياء المحدثين يركزون أبحاثهم أكثر، على ما يحيط عملية تأدية الدلالة من ظواهر منطقية نفسية. يقول بيار جيرو موضحاً ذلك: "ويبقى علم الدلالة بالنسبة لبريال وأتباعه متجهاً نحو السمات المنطقية، النفسية والتاريخية للظواهر أكثر من اتجاهه نحو عللها اللسانية".(٢)

لقد خطا العالمان كاتر وفودر بالبحث الدلالي خطوة بعيدة إذ تناولاه من ناحية تفاعل مركبات الحدث الكلامي، بل إنهما طرحا إشكالية أساسية تتمحور حول تخصيص العلاقة التي يمكن إقامتها بين صورة الجملة ودلالتها في لغة معينة في غياب النحو، إذ قد تصل العملية التواصلية التي تضطلع بأمر نقل الدلالة إلى مستوى من التعقيد لا يمكن للنحو أن يشرح فيه ذلك، لأن السيمانتيك من وجهة نظر هذين العالمين يتناول قدرة المتكلم على إرسال وفهم الجمل الجديدة في ميدان يعجز عن شرحها النحو. إن الأبعاد التي اتخذها البحث الدلالي الحديث عبر دراسات معمقة، أخرجت النظريات الدلالية والفرضيات العلمية اللسانية من مجال التخمين والتقدير إلى ميدان التحقيق والتطبيق، رسمت إطاراً مفتوحاً على المستقبل لمشروع دلالي أوسع يلج من خلال الدرس السيمائي إلى كل مجال من مجالات المعرفة والبحث العلمي، ويكفي أن نتأمل كتب (أ.ج. غريماس) مثل كتاب "علم الدلالة البنيوي" ١٩٦٦، "السيميوتيكا والعلوم الاجتماعية" ١٩٧٦، "في المعنى" ١٩٧٠، لندرك المصاف الذي بلغه علم الدلالة بعد ما كان علماً يفتقد إلى المنهج والموضوع معاً، إذ كان منشأه في إطار علم الألسنية العام.

على الرغم من تباين آراء علماء الدلالة حول جوهر العملية الدلالية، فإن البحث الدلالي أخذ مسارات جديدة بعد وقوع التأكيد على أن اللغة هي نظام تتضافر فيه جملة من الأنظمة الفرعية كنظام البنى التركيبية، ونظام البنى المعجمية، والبنى الصوتية، والبنى الدلالية، ضمن

١- علم الدلالة في التراث العربي، أصوله ومباحثه، ص٩٧.

٢- علم الدلالة، بيار جيرو، ترجمة منذر عياشي، ص١٣٣.

نسق محكم أطلق عليه العلماء مصطلح النحو الكلي (Universal Grammar)، واتجه الباحثون إلى الكشف عن هذا النسق وتحديد معالمه وسماته، وهذه مرحلة مهمة ارتقى إليها البحث الدلالي. حيث يلاحظ تشومسكي "أن ما طبع البحث اللغوي في السنوات الأخيرة– هو تحول من العناية باللغة إلى العناية بالنحو، وهو تحول من تجميع العينات وتنظيمها أو دراسة لغة خاصة أو الخصائص العامة لكثير من اللغات أو كل اللغات إلى دراسة الأنساق التي توجد فعلاً في الدماغ وتساهم في تفسير الظواهر الملاحظة" (١).

أهمية الدلالة:

إنه لمن أمهات الأمور أن نتحدث عن أهمية الدلالة في اللغة، ويكفي أن نسلم بأنه لا لغة بدونها البتة. وإن كان ثمة دراسات تجري في اللغات حول العالم فإنها جميعاً لا تستهدف سوى إدراك ما ترمي إليه هذه اللغات من إدراك لمعطيات الحياة ومتطلباتها، وعلى حد ذلك يكون الكشف عن الدلالات ومعرفتها هو الغاية القصوى من دراسة اللغات والاهتمام بها.

الدلالة اللفظية:

الدلالة في اللغة الإرشاد والتعريف، وهي الوسيلة الموصلة لمعرفة كنه الشيء والخارجة به من حيز الإبهام والغموض إلى ميدان التعريف والإدراك.

والدليل هو الهادي إلى شيء حسي أو معنوي، فالدليل: ما يسترشد به، يقول ابن منظور: "هو الدال، وقد دله على الطريق يدله أي أرشده" (٢)

يقول الله تعالى في أمر عدم تبين الجن موت سليمان عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ (٣). ويرى الأصوليون أن لحركة حرف الدال في كلمة الدلالة دور أثر في توظيفها، فالدَّلالة بفتح الدال في المعقولات وبكسرها في المحسوسات.

وإذا كانت الدلالة وسيلة للخروج بكنه الشيء من حيز الإبهام والغموض إلى حيز التعرف والإدراك، فإنها بهذا المفهوم تتجه اتجاهين، فهي إما أن تكون دلالة لفظية أو تكون دلالة غير لفظية، فاللفظية كدلالة الألفاظ على ما وضعت له، وأما غير اللفظية فهي كدلالة الألوان والإشارات والرموز على ما تعارف عليه الناس واصطلحوا عليه.

١- الفهم في اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفاسي، ص٤٥.

٢- لسان العرب، مادة دلل، ٢٤٧/١١.

٣- سورة سبأ، الآية: ١٤.

أثر الصرف في الدلالة:

الدلالة الصرفية هي تلك التي تستمد من الصيغ الصرفية للكلمات، وفي ذلك يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: "إنه يكثر ورود بعض الأوزان في اللغة العربية أو يطرد ورودها فيها للدلالة على معان خاصة، فمن ذلك أوزان أفعال الماضي والمضارع والأمر، وأوزان اسم الفاعل وصيغ المبالغة والصفة المشبهة واسم المفعول، وأفعل التعجب والتفضيل، واسم الزمان والمكان واسم الآلة وجموع التكسير" (١)

والدلالة الصرفية لا تظهر إلا عند نقل الكلمة من وزن إلى وزن آخر يزيد من حروفه الأصلية، لذا فإن الزيادة الطارئة على اللفظ بمقتضى الوزن الجديد المنقول إليه تكون سبباً في ظهور الدلالة الجديدة للفظ فيكون هذا المعنى الجديد زائداً عن المعنى الأول. يقول صاحب المثل السائر: "إن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه فلا بد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه الأول لأن الألفاظ أدلة على المعاني وأمثلة للإبانة عنها، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعنى" (٢)

الإفراد والجمع في لغة القرآن:

بعض ألفاظ القرآن يكون إفراده لمعنى خاص، وجمعه لإشارة معينة، أو يؤثر جمعه على إفراده أو العكس.

فمن ذلك أننا نرى بعض الألفاظ لم يأت في القرآن إلا مجموعاً، وعند الاحتياج إلى صيغة المفرد يستخدم مرادفه. ومثال ذلك لفظة (اللُّبُّ) فإنها لم ترد في القرآن إلا جمعاً كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٣)، ولم يرد مفردها في القرآن بل جاء مكانه (القَلْب) كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (٤)

١- فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، ص ٢٠٧.

٢- المثل السائر، ابن الأثير، ٥٦/٢.

٣- سورة الزمر، الآية: ٢١.

٤- سورة ق، الآية: ٣٧.

ولفظة (الكُوب) لم ترد في القرآن مفردة بل وردت جمعاً في قوله تعالى: ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ (١).

وعكس هذا النوع ألفاظ لم تأت إلا مفردة في كل موضع من مواضع القرآن ولما أريد جمعها جمعت في صورة من الروعة ليس لها مثال، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ (٢)، ولم يقل سبع أرضين لما في ذلك من الخشونة واختلال النظم.

ومن ذلك لفظة (السماء) ذكرت تارة بصيغة الجمع وتارة بصيغة الإفراد، ولكل مناسبة فحيث أريد العدد أتي بصيغة الجمع الدالة على سعة العظمة والكثرة كقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (٣)، وحيث أريد الجهة أتي بصيغة الإفراد كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ (٤).

ومن ذلك (الرّيح) ذكرت مجموعة ومفردة، فتذكر مجموعة في سياق الرحمة وتفرد في سياق العذاب، وذكر في حكمة ذلك أن رياح الرحمة مختلفة المنافع والصفات ويقابل بعضها البعض الآخر أحياناً فتنفع النبات والحيوان. فكانت في الرحمة رياحاً، وأما في العذاب فإنها تأتي من وجه واحد، ولا معارض لها ولا رافع، وقد أخرج ابن أبي حاتم وغيره عن أبي بن كعب قال: (كل شيء في القرآن من الرياح فهو رحمة، وكل شيء من الريح فهو عذاب) (٥). ولهذا ورد في الحديث الشريف قوله (صلى الله عليه وسلم):

(اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً)(٦).

١- سورة الغاشية، الآية: ١٤.

٢- سورة الطلاق، الآية: ١٢.

٣- سورة الحشر، الآية: ١.

٤- سورة الملك، الآية: ١٦.

٥- انظر الاتقان في علوم القرآن، ٣٥٦/٢، وتفسير الماوردي، ٣١٩/٤.

٦- الحديث في مسند الشافعي، كتاب العيدين، ٨١/١ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي، ١٩/٦.

ونتوقف هنا عند إفراد الريح في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا ﴾ (١). "والإفراد هنا للريح رغم دلالتها على الرحمة من وجهين: الأول لفظي وهو المقابلة في قوله تعالى في نفس الآية: ﴿ جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾(٢) والآخر معنوي وهو أن تمام الرحمة هنا إنما يحصل بوحدة الريح لا باختلافها، فإن السفينة لا تسير إلا بريح واحدة من وجه واحد وإلا تعرضت للهلاك".(٣) وما عرج عن ذلك فهو لمناسبة أخرى.

ومن ذلك إفراد النور وجمع الظلمات، وإفراد سبيل الحق وجمع سبل الباطل لأن طريق الحق واحدة وطرق الباطل متعددة، ولهذا وحد ولي المؤمنين وجمع أولياء الكافرين لتعددهم كما في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ (٥).

ويكثر استخدام الجمع بدلالة المفرد، والمفرد بدلالة الجمع في القرآن وفي لغة العرب من غير القرآن. فقد ورد في القرآن الطفل بمعنى الأطفال في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ (٦) وفي هذه الآية الكريمة سؤال معروف: وهو أن يقال: ما وجه الإفراد في قوله {ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً} مع أن المعنى نخرجكم أطفالاً. وللعلماء عن هذا السؤال أجوبة. "منها ما ذكره ابن جرير الطبري قال: ووحد الطفل وهو صفة للجمع، لأنه مصدر مثل عدل وزور وتبعه غيره في ذلك.

١- سورة يونس، الآية: ٢٢.

٢- سورة يونس، الآية: ٢٢.

٣- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٢٠٥ وما بعدها.

٤- سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

٥- سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

٦- سورة الحج، الآية: ٥.

ومنها قول من قال (ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً) أي نخرج كل واحد منكم طفلاً، ولا يخفى عدم اتجاه هذين الجوابين. قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: الذي يظهر لي من استقراء اللغة العربية التي نزل بها القرآن، هو أن من أساليبها أن المفرد إذا كان اسم جنس يكثر إطلاقه مراداً به الجمع مع تنكيره كما في هذه الآية، وتعريفه بالألف واللام، وبالإضافة فمن أمثلته في القرآن مع التنكير قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾ (١)، أي وأنهار بدليل قوله تعالى: ﴿ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ (٢)، وقوله ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (٣)، أي أئمة وقوله تعالى: ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ (٤)، أي أنفساً وقوله تعالى: ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴾ (٥)، أي سامرين وقوله تعالى: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ (٦)، أي بينهم وقوله تعالى: ﴿ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٧)، أي رفقاء وقوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ﴾ (٨)، أي جنبين أو أجناباً وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ (٩)، أي مظاهرون" (١٠). ومن أمثلة ذلك مع التنكير في كلام العرب قول عقيل بن علفة المري:

وكان بنو فزارة شرَّ عم وكنتُ لهم كشر بني الأَخينا (١١)

يعني شر أَعمام: وقول قعنب ابن أم صاحب:

ما بالُ قومٍ صديقٍ ثمّ ليسَ لهم دينٌ وليسَ لهم عقلٌ إذا ائتُمِنُوا (١٢)

يعني ما بالُ قوم أصدقاء.

١- سورة القمر، الآية: ٥٤.

٢- سورة محمد، الآية: ١٥.

٣- سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

٤- سورة النساء، الآية: ٤.

٥- سورة المؤمنون، الآية: ٦٧.

٦- سورة آل عمران، الآية: ٨٤.

٧- سورة النساء، الآية: ٦٩.

٨- سورة المائدة، الآية: ٦.

٩- سورة التحريم، الآية: ٤.

١٠- أضواء البيان، ٢٧٢/٤ وما بعدها.

١١- انظر البيان والتبيين، ١٠٨/١.

١٢- انظر الصداقة والصديق، ١٤٩، ومختارات شعراء العرب، ٣/١.

وقول جرير:

نصبن الهوى ثم ارتمين قلوبنا ... بأعين أعداء وهن صديق (١)

يعني صديقات: وقول الآخر:

لعمري لئن كنتم على النأي والنوى ... بكم مثل ما بي إنكم لصديق (٢)

ومن أمثلته في القرآن واللفظ مضاف قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ (٣)، أي أصدقائكم: وقوله ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ (٤)، أي أوامره: وقوله ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ (٥)، أي نعم الله: وقوله ﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى﴾ (٦) أي أضيافي".(٧)

ونظير ذلك من كلام العرب قول علقمة بن عبدة التميمي:

بها جيف الحسرى فأما عظامها ... فبيض وأما جلدها فصليب (٨)

أي وأما جلودها فصليبة:

وقول الآخر:

كلوا في بعض بطنكم تعفوا ... فإن زمانكم زمن خميص (٩)

أي بطونكم. وهذا البيت والذي قبله أنشدهما سيبويه في كتابه مستشهداً بهما لما ذكرنا.

ومن أمثلة ذلك قول الأعشى التغلبي:

فتستيقنا أنّا أخوكمْ، وأنّنا إذا نُتِجَتْ شَهْبَاءُ يَخْشَوْن فالَهَا (١٠)

أي إنا إخوانكم: وقول جرير:

إذا آباؤنا وأبوك عدوا ... أبان المقرفات من العراب (١١)

١- ديوان جرير، ٤١١/١، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ٢٠٨/٩.

٢- البيت منسوب للصمة بن عبد الله، انظر الأغاني للأصفهاني، ٦/٦، والتذكرة الحمدونية، ١٦٤/٢.

٣- سورة النور، الآية: ٦١.

٤- سورة النور، الآية: ٦٣.

٥- سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

٦- سورة الحجر، الآية: ٦٨.

٧- أضواء البيان، ٢٧٢/٤ وما بعدها.

٨- انظر ديوان علقمة الفحل، ٢/١، ومنتهى الطلب من أشعار العرب، ١٣/١.

٩- البيت بدون نسبة في التمام في تفسير أشعار هذيل، ١٩/١، والجليس الصالح والأنيس الناصح، ٢٣٩/١.

١٠- انظر ديوان الأعشى، ص ٤٤.

١١- ديوان جرير، ٢٥/١، ومنتهى الطلب من أشعار العرب، ٢٠٠/١.

أي إذا آباؤنا وآباؤك عدواً، وهذا البيت، والذي قبله يحتمل أن يراد بهما جمع التصحيح للأب وللأخ، فيكون الأصل: أبون وأخون فحذفت النون للإضافة، فصار كلفظ المفرد.

ومن أمثلته جمع التصحيح في جمع الأخ بيت عقيل بن علفة المذكور آنفاً، حيث قال فيه: كشر بني الأخينا. ومن أمثلة تصحيح جمع الأب قول الآخر:

فلما تبين أصواتنا ... بكين وفديننا بالأبينا (١)

ومن أمثلة ذلك في القرآن: "واللفظ معرف بالألف واللام قوله تعالى: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ (٢)، أي بالكتب كلها، بدليل قوله ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ (٣)، الآية. وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ (٤)، أي الغرف بدليل قوله ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ (٥)، وقوله ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ (٦)، وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (٧). أي الملائكة بدليل قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ (٨)، وقوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ (٩). أي الأدبار بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ (١٠). وقوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ (١١)، أي الأطفال: وقوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ (١٢)، أي الأعداء.

١- البيت بدون نسبة في شرح ديوان المتنبي للواحدي، ٤٩٨/١، وفرحة الأديب، ٥١/١.

٢- سورة آل عمران، الآية: ١١٩.

٣- سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

٤- سورة الفرقان، الآية: ٧٥.

٥- سورة الزمر، الآية: ٢٠.

٦- سورة سبأ، الآية: ٣٧.

٧- سورة الفجر، الآية: ٢٢.

٨- سورة البقرة، الآية: ٢١٠ .

٩- سورة القمر، الآية: ٤٥.

١٠- سورة الأنفال، الآية: ١٥.

١١- سورة النور، الآية: ٣١.

١٢- سورة المنافقون، الآية: ٤.

ونحو هذا كثير في القرآن، وفي كلام العرب. وهو في النعت بالمصدر مطرد، كما تقدم مراراً".(١)

ومن أمثلة ذلك قول زهير:

مَتى يَشتَجِرْ قوْمٌ تقُلْ سرَواتُهُمْ هُمُ بَيْنَنا فهُمْ رِضًى وَهُمُ عدْلُ (٢)

أي عدول مرضيون.

١- أضواء البيان، ٢٧٢/٤ وما بعدها.

٢- ديوان زهير بن أبي سلمى، ٢٣/١، وأشعار الشعراء الستة الجاهليين، ٩٨/١.

الفصل الأول

جمع المذكر السالم

وما ورد على صيغته

في القرآن الكريم

المبحث الأول: شروط ما يجمع جمع مذكر سالماً.

جمع المذكر السالم هو ما دل على أكثر من اثنين بزيادة واو مضموم ما قبلها ونون، على مفرده، في حالة الرفع، أو ياء مكسور ما قبلها ونون في حالتي النصب، والجر، وسلم بناء مفرده عند الجمع. نحو : سافر المحمدون، وفاز المجتهدون (١).

ومنه (مهتدون) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَاۖ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾ (٢)

و(المؤمنون) في قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾(٣)

ونحو: ودعتُ المُسافرينَ. وسلّمتُ علَى الفائزينَ.

ومنه (خاسئين) في قوله تعالى: ﴿فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ (٤)

و(الجاهلين) في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ (٥)

قال عباس حسن: "المراد بالسالم: ما سلم فيه صيغة المفرد، وذلك: بأن يبقى المفرد على حاله بعد الجمع، لا يدخل حروفه تغيير في نوعها، أو عددها، أو حركاتها، إلا عند الإعلال في نحو: المصطفون، القاضون". (٦)

وجاء تعريفه في حاشية الصبان كما يلي: "ويسمى هذا الجمع جمع المذكر السالم لسلامة بناء واحده. ويقال له جمع السلامة لمذكر، والجمع على حد المثنى لأن كلا منهما يعرب بحرف علة بعده نون تسقط للإضافة". (٧)

١- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ١/ ٧٦.

٢- سورة البقرة، الآية:٧٠.

٣- سورة المؤمنون، الآية: ١

٤- سورة البقرة، الآية:٦٥.

٥- سورة البقرة، الآية.٦٧.

٦- النحو الوافي، عباس حسن، ١٣٧/١.

٧- حاشية الصبان، ١١٩/١.

شروط جمعه:

الاسم الذى يُجمعُ جمع المذكر السالم نوعان: أحدهما "الجامد" والآخر: "المشتق".

أولاً الجامد:

إن كان الاسم الجامد علماً فلا بد أن تتحقق فيه الشروط الآتية قبل جمعه:(١)

أ- أن يكون علماً لمذكرٍ، عاقلٍ، خالياً من تاء التأنيث الزائدة، ومن التركيب، ومن علامة تثنية أو جمع. فإن لم يكن علماً لم يجمع هذا الجمع، فلا يقال في رجل: رجلون، ولا في غلام: غلامون.

لكن إذا صُغِّر جاز جمعه بواو ونون، فإذا قيل: رُجَيل، صحَّ أن تجمعه فتقول: رُجيلون، لأنه صار صفة فهو في قوة: رجل صغير. قال الشاعر:

زَعَمَتْ تُمَاضِرُ أَنَّنِي إِمَّا أَمُتْ ** يَسْدُدْ أُبَيْنُوهَا الأَصَاغِرُ خَلَّتِي (٢)

فابن اسم جامد وليس بعلم فلا يجمع بواو ونون، لكن لمّا صُغِّر على أُبين جُمع بواو ونون، فقيل: أبينوها. (٣)

وإن كان علماً لكنه لمؤنثٍ، لم يجمع أيضًا، فلا يقال في زينب: الزينبون، ولا في سعاد: السعادون. والعبرة في التأنيث أو عدمه ليست بلفظ العلم، وإنما بمعناه، وبما يدل عليه وقت الكلام، فكلمة، : سعاد، أو زينب، إن كانت علمًا لمذكرٍ، واشتهرت بذلك عند النطق بها، فإنها تجمع جمع مذكر سالم، وكلمة: حامد، أو حليم، إن كانت علماً معروفًا لمؤنثٍ لم تجمع هذا الجمع.

وإن كان علمًا لمذكرٍ لكنه غير عاقل لم يجمع أيضًا، مثل: "هلال" وهو علم على حصان، و"نسيم" علم على زورق، و"قمر" علم على الكوكب المعروف.

وكذلك إن كان علمًا لمذكرٍ عاقلٍ، ولكنه مشتمل على تاء التأنيث الزائدة مثل: حمزة، وجمعة، وخليفة، ومعاوية، وعطية، فإنّه لا يجمعُ جمعَ مذكرٍ، ولا تصح هنا ملاحظة المعنى، لوجود علامة التأنيث في اللفظ؛ فيقع بينها وبين علامة جمع المذكر التناقض والتعارض بحسب الظاهر، كما لا يصح أن تحذف لأن حذفها يوقع في لَبس؛ إذ لا ندري أكانت الكلمة مؤنثة اللفظ قبل الجمع أم لا؟ لهذا اشترطوا خلو المفرد من تاء التأنيث الزائدة.

١- راجع حاشية الصبان، ١١٩/١ وما بعدها، والمذكرات النحوية، ٤٩/١.

٢- البيت لسلمي بن ربيعة، انظر ديوان الحماسة، ٢١٢/١، أمالي القالي، ٣٨/١.

٣- فتح رب البرية بشرح نظم الآجرومية، ١٤٧/١.

أو: مركبًا تركيب مزج، كخالَويه، وسيبويْهِ، ومَعدِ يكَرِب، أو: تركيب عدد؛ كأحدَ عشرَ، وثلاثةَ عشرَ، وأربعةَ عشرَ. والمشهور في هذين المركبين عدم جمعهما جمعًا مباشرًا، فيستعان بكلمة: "ذو" مجموعة على: "ذَوُو، وذَوِي"؛ فتغني عن جمعهما.

أما المركب الإضافي كعبد الرحمن وعبد العزيز فيجمع صدره المضاف، ويبقى العجز "وهو المضاف إليه" على حاله من الجر في أكثر الحالات، فتقول: اشتهر عبدو الرحمن، وصافحت عبدِي الرحمن، وسلمت على عبدِي الرحمن.

ولا يجمع ما آخره علامة تثنية، أو علامة جمع كذلك؛ مثل: المحمدان أو المحمدَيْن "علمًا على شخص" والمحمدون أو المحمدينَ علمًا كذلك.

فائدة:

أجاز الكوفيون جمع العلم المختوم بتاء التأنيث، كطلحة، وحمزة، ومعاوية، وعبيدة جمع مذكر سالما، بعد حذف التاء التي في مفرده.

فيقولون: جاء الطلحون، ورأيت الحمزين، وسلمت على المعاوين.

لأن هذه التاء في تقدير الانفصال، بدليل سقوطها في جمع المؤنث السالم، كطلحات، وحمزات، ومعاويات، وعبيدات. (١)

وكذلك إنْ كان مركبًا تركيبَ إسنادٍ، "مثل: فَتَحَ اللهُ، رامَ اللهُ، رَزقَ اللهُ؛ فإنه لا يجمع مباشرة باتفاق، وإنما يجمع بطريقة غير مباشرة، بأن تسبقه كلمة: "ذو" مجموعة ويبقى هو على حاله لا يدخله تغيير مطلقًا، في حروفه، وحركاته، مهما تغيرت الأساليب فيقال: "ذَوُو كذا" رفعًا، "وذوِي كذا" نصبًا وجرًّا؛ فتغني "ذوو، وذوي" عن جمعه. (٢)

ويجمع النحويون على جواز جمع العلم المذكر المختوم بألف التأنيث الممدودة، أو المقصورة جمعاً مذكراً سالماً. فلو سمينا رجلا بـ "خضراء"، أو بـ "ذكرى" جاز جمعه جمع مذكر سالما. فنقول: خضراوون، وذكراوون.

ومما هو متعارف عليه أن المختوم بألف التأنيث، أشد تمكنا في التأنيث من المختوم بالتاء،

١- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ٤٠/١، وحاشية الصبان، ١١٩/١.

٢- النحو الوافي، عباس حسن، ١٤١/١.

وإذا جوزنا جمع المختوم بالألف، فجواز المختوم بالتاء أولى.

وكذلك الاسم المنسوب، نحو: مصري، وسعودي، وسوري، وفلسطيني، يجوز جمعه بالواو والنون. نقول: مصريون، وسعوديون، وسوريون، وفلسطينيون. (١)

إذا سمي بجمع المذكر السالم، نحو: عابدون، وحمدون، وخلدون، وزيدون، وهي في الأصل أسماء مفردة، ولحقتها علامة الجمع "الواو والنون" في حالة الرفع، يجوز جمعها لدخولها في العلمية، وانسلاخها عن معنى الجمع، ولكن جمعها مرة أخرى لا يكون بصورة مباشرة، إذ لا يصح أن نزيد على صورتها الحالية علامة جمع المذكر السالم مرة أخرى، فلا يصح أن نقول: عابدونون، وخلدونون، ولكن يجوز الجمع بواسطة. وهو استعمال كلمة "ذوو" في حالة الرفع قبل الجمع السالم المسمى به، والمراد جمعه مرة أخرى، ويقع الإعراب على كلمة "ذوو" في حالة الرفع، و "ذوي" نصبا وجرا. نحو: جاء ذوو عابدين، وصافحت ذوي خلدين، ومررت بذوي زيدين. ويلاحظ أن الجمع المسمى به يعرب مضافا إليه في كل الحالات. (٢)

جاء في الكتاب: "هذا ذوون وهذا ألون لأني لم أضف وإنما ذهبت النون في الإضافة وقال الكميت:

فلا أَعْنِي بذلك أَسْفَلِيكم ** ولكنّي أُريد به الذّوينَا (٣)" (٤)

ثانياً المشتق:

إن كان الاسم صفة "أي: اسمًا مشتقًّا" فلا بد أن تتحقق فيه الشروط الآتية: قبل جمعه، وهي: أن تكون الصفة لمذكرٍ عاقلٍ، خالية من تاء التأنيث، ليست على وزن أَفْعَلَ" الذى مؤنثه فَعْلاء"، ولا على وزن فَعْلان "الذى مؤنثه: فَعْلَى"، ولا على وزن صيغة تستعمل للمذكر والمؤنث والمؤنث. فإن كانت الصفة خاصة بالمؤنث، لم تجمع جمع مذكر سالمًا، منعًا للتناقض بين ما

١- النحو الوافي، عباس حسن، ١٤١/١.
٢- المرجع السابق، ١/ ١٣٧ وما بعدها.
٣- البيت للكميت بن زيد، انظر طبقات الشعراء، ٥٨/١.
٤- كتاب سيبويه، ٢٨٢/٣.

يدل عليه المفرد، وما يدل عليه جمع المذكر، مثل: "مُرضِع" فلا يقال: مرضعون، وكذلك إن كانت لمذكر، ولكنه غير عاقل، مثل: صاهل، صفة "للحصان" أو: ناعق، صفة للغراب، فلا يقال: صاهلون ولا ناعقون، أو: كانت مشتملة على تاء تدل على التأنيث، نحو: قائمة؛ فلا يصح: قائمتون. (١).

فائدة:

من الكلمات التي لا تجمع جمع مذكر سالما بعض الصفات التي يستوي فيها المذكر والمؤنث. مثل صبور، وغيور. وهما صفتان على وزن فعول بمعنى فاعل لذلك يستوي فيهما التذكير والتأنيث. نقول: رجل صبور، وامرأة صبور، بمعنى صابر.

ومنها: قتيل وغريق وجريح، وهن صفات على وزن فعيل بمعنى مفعول، لذلك يستوي فيهن التذكير والتأنيث. نقول: رجل قتيل، وامرأة قتيل، بمعنى مقتول.

فإن كان فعول بمعنى مفعول، نحو: دابة ركوب، أي: مركوبة، أو كان فعيل بمعنى فاعل، نحو: أليم بمعنى مؤلم، فلا يستوي فيهما التذكير والتأنيث. نقول: عذاب أليم، وحادثة أليمة. كما لا يستوي التذكير والتأنيث في صبور ونظائرها إذا لم يذكر الموصوف.

نقول : هذا صبور وصبورة . ورأيت جريحا وجريحة.

وكذلك ما كان على وزن: "أَفْعَلَ" "الذى مؤنثه، فَعْلاء" نحو أخضر، فإن مؤنثه: خضراء، وأبيض، فإن مؤنثه: بيضاء، فلا يقال أخضرون، ولا أبيضون، على الأصحّ. ومثله ما كان على وزن فَعْلان "الذى مؤنثه فَعْلى"، مثل: سكران وسكْرَى. وكذلك ما كان على صيغة تستعمل للمذكر والمؤنث، كصيغة، مِفْعال كمِهْذار، ومِفْعَل؛ كمِغْشَم. وفَعُول، مثل صَبور وشكور، وفَعيل"، مثل كَسِير وقَطِيع، إذا لا يتأتى أن يكون المفرد صالحاً للمذكر والمؤنث معًا وجمعه لا يكون إلا للمذكر، فيقع اللبس والخلط بسبب هذا. (٢)

كما جمعت الصفة التي على وزن "أفعل" ومؤنثها "فعلاء" جمع مذكر سالماً شذوذا.

١- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ٧٦/١، وما بعدها.

٢- شرح الآجرومية، حسن حفظي، ٧٤/١، وما بعدها.

كأسود وسوداء، وأصفر وصفراء.

ومنه قول الكميت بن زيد :

فما وجدت نساء بني تميم حلائل أسودينَ وأحمرينا (١)

الشاهد قوله: أسودين، وأحمرين، حيث جمعهما جمع مذكر سالما شذوذا، لأن مفرد كل منهما: أسود، وأحمر، ومؤنثها: سوداء، وحمراء. والصواب أن يجمعا جمع تكسير، فنقول: سُود، وحُمر.

ملاحظة:

كل ما سبق من أنواع الصفات وصيغها التي لا يصح جمعها جمعًا مذكرًا سالمًا متوقف على أن تكون الصفة باقية على وصفيتها، فإن تركتها وصارت علمًا جاز جمعها جمع مذكر سالم. (٢)

إضافات مهمة:

أ- اشترطوا في العلم أن يكون خاليًا من تاء التأنيث الزائدة – إلا عند الكوفيين- والمراد بها: التي ليست عوضًا عن فاء الكلمة، أو عن لام الكلمة، لأن التي تكون عوضًا عن أحدهما هي عوض عن أصل، فهي كالأصيلة، فالأولى مثل: عدة، أصلها: وعد، حذفت الواو، وعوض عنها تاء التأنيث وكسرت العين، والثانية مثل: مئة. وأصلها: مِئوٌ، حذفت الواو وعوض عنها تاء التأنيث.

فإن كانت عوضًا عن أصل وجعل اللفظ اسمًا لمسمى "أي: صار علمًا" فإنه يجمع قياسًا بعد حذفها. ويكون من الجموع الحقيقية؛ تقول: "عِدُون" لجمع مذكر، ومثلها: مِئُون؛ أما إذا لم يجعل علمًا، فإنه يصح جمعه إن كان محذوف اللام، مثل: الجيش مئون، ولكنه يعد من ملحقات جمع المذكر السالم. (٣)

أما ألف التأنيث المقصورة أوالممدودة فلا يشترط خلوه منها، فلوسمينا رجلا بسَلْمَى، أو:

١- البيت للكميت بن زيد من قصيدة له يهجو فيها أهل اليمن، في ديوانه، ١١٦/٢، والأغاني للأصفهاني، ٢٠/١٧، وروي لحكيم بن عياش، في خزانة الأدب، ١٨٧/١، والدرر، ١٣٢/١.

٢- النحو الوافي، عباس حسن، ١٤٣/١.

٣- المرجع السابق، ١/ ١٤٥ وما بعدها.

صحراء، حذفت فى جمع المذكر السالم الألف المقصورة، وقلبت همزة الممدود واوًا، فيقال: السَّلْمَوْن والصحراوون "أعلام رجال".(١)

ب- لا يجمع المركب الإسنادي جمع مذكر سالمًا إلا بطريقة غير مباشرة – كما سبق- وذلك بأن نأتي قبله بكلمة: "ذوِو" أو: "ذَوِي" "وهما جمع: "ذو" و"ذِي" فنقول: غاب ذوو فتحَ اللهُ، وأكرمْنا ذَوِي فتحَ اللهُ، وسلمنا على ذَوِي فتحَ اللهُ. وهذا باتفاق.

أما المركب المزِجي فأشهر الآراء أنه لا يجمع إلا بالطريقة السابقة غير المباشرة. وهناك رأي آخر يجيز جمعه مباشرة – وكذلك تثنيته- فيقال: جاء خالوَيهُون، وشاهدت خالويهِين، وقصدت إلى خالويهِين. ومثله سيبويه، ومعد يكرب "اسم رجل" وغيرهما من باقي المركبات المزجية، وهذا الرأي أسهل الآراء. وأجدرها بالقبول، لدخوله في الحكم العام لجمع المذكر السالم وبُعده من اللّبس.

وأما المركب التقييدي، وهو: المركب من صفة وموصوف مثل: محمد الفاضل، أو من غيرهما، مما لا يُعَدّ في المركبات السابقة، فالأشهر أن يقال في جمعه: ذوو "محمد الفاضل"، فلا يجمع مباشرة، وإنما يتوصل إلى جمعه بكلمة "ذوو" رفعاً و"ذَوِي" نصبًا وجرًّا.

وقد سبق أن قلنا إن المركب الإضافي يجمع صدره دون عجزه. وهذا صحيح إن كان المضاف وحده هو المتعدد، دون المضاف إليه، كما نقول في "عبد الله" عند الجمع: عبدُو الله. أما إن تعدد أفراد المضاف وأفراد المضاف إليه معا "كعبد السيد" والمضاف والمضاف إليه مصريان مثلا، وعبد السيد والمضاف والمضاف إليه شاميان – مثلاً – وعبد السيد لعراقيين"، فالواجب جمع المضاف والمضاف إليه معًا جمع مذكر سالمًا؛ فنقول: عبدو السيَّدينَ، أو جمع تكسير، فتقول: عبيد السادة. (٢)

ج- سبق أنه يشترط في الاسم الذي يجمع جمع مذكر سالمًا، ما يشترط في الاسم المراد تثنيته، ومن شروطه: أن يكون معربًا فلو كان مبنيًّا لزومًا مثل: هؤلاء، أو: حَذَامِ "على أنها أعلام رجال" لم يجز جمعه مباشرة، وإنما يجمع بطريق الاستعانة بكلمة: "ذَوُو" رفعًا و"ذوِي" نصبًا وجرًّا. (٣)

١- جامع الدروس العربية، ٣٨/١.

٢- راجع شرح الرضى على الكافية، ٣٧٢/٣ وما بعدها.

٣- النحو الوافي، عباس حسن، ١٤٦/١.

طريقة الجمع :

١- يجمع الاسم الصحيح الآخر، أو شبهه جمعاً مذكراً سالماً بزيادة واو ونون، أو ياء ونون على مفرده، دون أن يحدث فيه تغيير. فنقول في جمع معلم: معلمون، ومعلمين/ وفي مذنب: مذنبون، ومذنبين. وفي جمع ظبي علماً لرجلٍ : ظبيون، وظبيين. (١)

٢- يجمع الاسم المقصور، بحذف ألفه، وتبقى الفتحة قبل الواو، والياء دليلاً على الألف المحذوفة من المفرد.

نقول: مصطفى: مصطفَون، الأعلى: الأعلَون، الأدنى: الأدنَون، منتدى: منتدَون. نحو: عامل الأدنَين بالمحبة والرحمة.

ومنه (المصطفون) في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ (٢)

و(الأعلون) في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾(٣)

ولا فرق بين المقصور الثلاثي، أو المزيد عند الجمع. فنقول في جمع "رضا" علم ثلاثي لرجل: رضَون. ونقول في "مرتضى": مرتضَون. (٤)

٣- يجمع المنقوص بحذف يائه، وتبقى الكسرة قبل الياء، ويضم ما قبل الواو للمناسبة، وذلك في حال وجود الياء. نحو: الشادي: الشادُون، الغادي: الغادُون، الداعي: الداعُون، الراعي: الراعُون. فنقول: هذا داعٍ ، وهؤلاء داعُون. وأنت قاضٍ، وهم قاضُون. (٥)

ومنه (الناهون) في قوله تعالى: ﴿ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ (٦)

٤- عند جمع الممدود جمعا مذكرا سالما ينظر إلى همزته، وذلك على النحو التالي:

١- شرح شذور الذهب، ٧٠/١.
٢- سورة ص، الآية: ٤٧.
٣- سورة محمد، الآية: ٣٥.
٤- راجع الأصول في النحو، ٤١٨/٢ وما بعدها.
٥- شرح الرضي على الكافية، ٣٧٠/٣.
٦- سورة التوبة، الآية: ١١٢.

(أ)- إن كانت أصلية بقيت. مثل: رفّاء: رفّاؤون. قرّاء: قراؤون. نكّاء: نكّاؤون. ملاء: ملاؤون.

فنقول: الرفاؤون ماهرون. والقراؤون مجيدون.

(ب)- وإن كانت الهمزة منقلبة عن أصل، وهو الواو، أو الياء، جاز أن تبقى في الجمع، وأن تقلب واواً، وقلبها أفصح. نحو: بنّاء: بنّاؤون، وبناوون. وكسّاء: كسّاؤون، وكساوون. وعدّاء: عدّاؤون، وعدّاوون.

(ج)- وإن سمي المذكر باسم ينتهي بألف التأنيث الممدودة التي تليها الهمزة، قلبت الهمزة واوا عند الجمع. مثل: " ورقاء " علم لمذكر عاقل، نقول : ورقاوون. وزكرياء : زكرياوون. (١)

نون جمع المذكر :

الأصل في نون جمع المذكر السالم الفتح ، وقد أجمع النحويون على ذلك، أما كسرها فضرورة شعرية، وليس لغة. (٢)

كقول سحيم الرياحي:

أكلُّ الدهرِ حلٌّ وارتحالٌ أما يبقي عليَّ ولا يقيني

وماذا يبتغي الشعراء منِّي وقد جاوزت حد الأربعينِ (٣)

ومنه قول جرير بن عطية الخطفي :

عَرَفْنَا جَعْفَراً وَبَنِي أَبِيهِ وَأَنْكَرْنَا زَعَانِفَ آخَرِيْنِ (٤)

الشاهد فيه: قوله: آخرين، حيث كسر نونه شذوذاً مع أنه جمع مذكر سالم، وحق نونه وما الحق به الفتح.

١- شرح الرضى على الكافية، ٣٧٣/١.

٢- راجع المذكرات النحوية، ٤٩/١، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ٨٨/١.

٣- انظر الكامل في اللغة والأدب، ٨١/٢، ومنتهى الطلب من أشعار العرب، ٣٨١/١.

٤- ديوان جرير، ص ٥٧٧. اللغة : [الزعانف] جمع زِعْنِفَه وهي النعل وقالوا زعنفة كل شيء رديئه، ويقال للئام الناس الزعانف، انظر لسان العرب، ١٣٤/٩، وتاج العروس من جواهر القاموس، ٣٨٨/٢٣.

وقول الفرزدق:

ما سدَّ حيٌّ ولا ميت مسدهما إلا الخلائف من بعد النبيينِ (١)

ونون جمع المذكر السالم عوض عن التنوين في الاسم المفرد، لذلك وجب حذفها عند الإضافة. نحو: سافر معلمو المدرسة.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٢)

وقوله تعالى: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ (٣)

ذكر صاحب الألفية أن فتح نون المثنى ككسر نون الجمع في القلة، لكن الأمر ليس كذلك، وإنما ما أجمع عليه النحويون أن فتحها في التثنية لغة، وكسرها في الجمع شاذ، وليس لغة. (٤)

١- ديوان الفرزدق، ص، ٦٢٦ ، والكامل في اللغة والأدب، ٨١/٢.

٢- سورة التوبة، الآية: ٢.

٣- سورة الكهف، الآية: ٥٣.

٤- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ٤١/١.

المبحث الثاني: الملحق بجمع المذكر السالم

أُلْحق النحاة بجمع المذكر في إعرابه أنواعًا أشهرها خمسة، فَقَد كلٌّ نوع منها بعض الشروط، فألحق بهذا الجمع، وليس جمعًا حقيقيًّا، وكل الأنواع الخمسة سماعيّ لا يقاس عليه لشذوذه، وإنما يُذكَر هنا لفهم ما ورد منه في النصوص القديمة.

أولها: كلمات مسموعة تدل على معنى الجمع، وليس لها مفرد من لفظها، ولكن لها مفرد من معناها، مثل كلمة: "أُولُو" في قولنا: "المخترعون أُولو فضل"، أي: أصحاب فضل، فهي مرفوعة بالواو نيابة عن الضمة، لأنها ملحقة بجمع المذكر السالم، إذ لا مفرد لها من لفظها، ولها مفرد من معناها، وهو: صاحب. وهي منصوبة ومجرورة بالياء نيابة عن الفتحة أو الكسرة في قولنا: كان المخترعون "أُولي" فضل. وانتفعت من "أُولِي" الفضل. ومثل هذه الكلمة يسمى: اسم جمع. (١)

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (٢)

ومن الكلمات المسموعة: أيضًا كلمة: "عالَمون". ومفردها: عالَم، وهو ما سوى الله، من كل مجموع متجانس من المخلوقات، كعالَم الحيوان، وعالَم النبات، وعالَم الجماد؛ وعالم المال، وعالم الطائرات... إلخ.

وكلمة "عالَم" تشمل المذكر والمؤنث والعاقل وغيره. في حين أن كلمة: "عالَمون" لا تدل إلا على المذكر العاقل، فهى تدل على معنى خاص بالنسبة لما يندرج تحت كلمة "عالَم"، والخاص لا يكون جمعًا للعام. لهذا كان "عالمون" إما اسم جمع لكلمة: "عالَم" وليس جمعًا له، وإمَّا جمعًا له غير أصيل ولكن بتغليب المذكر العاقل على غيره. وفي هذه الحالة لا تكون جمع مذكر سالمًا حقيقة، لأن اللفظة ليست علمًا ولا صفة، وإنما تلحق به كغيرها مما فقد بعض الشروط. (٣)

ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (٤)

١- شرح شذور الذهب، ٧٠/١، وما بعدها.

٢- سورة آل عمران، الآية: ٧.

٣- معجم القواعد العربية، ١٣٤/٢.

٤- سورة الفاتحة، الآية: ٢

ثانيها: من الكلمات المسموعة، مالا واحد له من لفظه ولا من معناه، وهى: عشرون، وثلاثون، وأربعون، وخمسون، وستون، وسبعون، وثمانون، وتسعون. وهذه الكلمات تسمى: "العقود العددية" وكلها أسماء جموع أيضًا. (١)

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (٢)

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾ (٣)

ثالثها: كلمات مسموعة أيضًا، ولكن لها مفرد من لفظها. وهذا المفرد لا يسلم من التغيير عند جمعه، فلا يبقى على حالته التى كان عليها قبل الجمع ولذلك يسمونها "جموع تكسير" ويلحقونها بجمع المذكر فى إعرابها بالحروف، مثل: بَنون، وأَرَضون، وذَوُو، وسنون وبابه. فكلمة: "بنون" مفردها "بنوٌ"، "وأَرَضون" بفتح الراء لا مفرد لها إلا أَرْض "بسكونها" فتغيرت حركة الراء عند الجمع من سكون إلى فتح. هذا إلى أن المفرد مؤنث، وغير عاقل. و"ذَوو" في الجمع مفتوحة الذال، مع أن مفردها: "ذُو" مضموم الذال. "وسِنون" مكسورة السين فى الجمع، مفتوحتها فى المفرد، وهو: "سَنَة"، فضلا عن أنها لمؤنث غير عاقل أيضًا، – وأصلها "سَنَهٌ" أو"سَنَوٌ"، بدليل جمعهما على "سَنهات" و"سَنَوات" ثم حذفت لام الكلمة، "وهي الحرف الأخير منها"، وعوض عنه تاء التأنيث المربوطة، ولم ترجع الواوعند الجمع.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ (٤)

وقوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾ (٥)

ومن الكلمات الملحقة بهذا الجمع سماعًا، والتى تدخل في باب "سَنَة" كلمة: عِضَة، وجمعها: عِضون "بكسر العين فيهما". وأصل الأولى: "عِضَةٌ، بمعنى: كذب وافتراء، أو: عِضَوٌ، بمعنى: تفريق. يقال فلان كلامه عضةٌ، أى: كذب، وعمله عِضَو بين الأخوان، أى: تفريق وتشتيت، فلام الكلمة هاء، أوواو. ومثلها "عِزَة"، جمعها: عزُون "بالكسر فيهما"، والعزَة: الفرقة من الناس، وأصلها عِزْىٌ؛ يقال: هذه عِزَة تطلب العلم. وأنتم عِزون فى ميدان العلم.

١- شرح الرضي على الكافية، ٣٨١/٣.

٢- سورة المعارج، الآية: ٤.

٣- سورة الحاقة، الآية: ٣٢.

٤- سورة يوسف، الآية: ٤٢.

٥- سورة الصافات، الآية: ١٤٩.

وأيضًا: "ثُبةٌ" بالضم، وجمعها: ثُبُون، بضم أول الجمع أوكسره. والثُّبة "الجماعة"، وأصلها ثبَوٌ، أو: ثُبَىٌ، يقال: الطلاب مختلفون: ثبة مقيمة. وثُبة مسافرة، وهم ثُبون. (١)

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴾ (٢)

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ﴾ (٣)

وعلى ضوء ما سبق نعرف السبب فى تسمية تلك الكلمات المسموعة بجمع التكسير، لأن تعريفه وحده هوالذى ينطبق عليها، دون غيره من جمعى التصحيح، إذ هو"ما تغَيَّر فيه بناء الواحد" وقد تغير بناء واحدها. (٤)

رابعها: كلمات مسموعة لم تستوف بعض الشروط الأخرى الخاصة بجمع المذكر فألحقوها به، ولم يعتبروها جمعًا حقيقيًّا. ومن هذه الكلمات، "أهل". فقد قالوا فيها: أهلون. (٥)

ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ (٦)

وقول الشاعر:

وما المالُ والأهلونَ إلا ودائعُ ... ولا بد يومًا أن ترَد الودائعُ (٧)

خامسها: كلمات من هذا الجمع المستوفى للشروط، أومما ألحق به، ولكن سمي بالكلمة قديمًا أو حديثًا وهي مجموعة، وصارت علمًا على مفرد بها، وصارت أعلامًا. فمن أمثلة الأولى المستوفي للشروط "حَمْدون"، "وعَبْدون"، و"خَلْدون"، و"زيدون" أعلام أشخاص معروفة قديمًا وحديثًا.

ومثال الثاني: "عِلِّيُّون". المفرد: عِلِّيَ. بمعنى المكان العالي، أو عِلِّية، بمعنى: الغرفة العالية. وهو ملحق بالجمع؛ لأن مفرده غير عاقل. (٨)

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (٩)

١- شرح الرضى على الكافية، ٢٩٦/٣.

٢- سورة المعارج، الآية: ٣٧.

٣- سورة الحجر، الآية: ٩١.

٤- شرح شذور الذهب، ٧٠/١ وما بعدها.

٥- شرح الآجرومية، حسن حفظي، ٦٨/١.

٦- سورة التحريم، الآية: ٦.

٧- البيت للبيد بن ربيعة العامري في ديوانه ٤٥/١، ونهاية الأرب في فنون الأدب، ٨٩/٧.

٨- شرح قطر الندى وبل الصدى، ٢٠/١.

٩- سورة المطففين، الآية: ١٨ ــ ١٩

سادسها: كل اسم من غير الأنواع السابقة يكون لفظه كلفظ الجمع في اشتمال آخره على واو ونون، أو ياء ونون، لا فرق في هذا بين أن يكون نكرة مثل: "يا سَمين" و"زيتون" أو علَمًا مثل: "صِفِّينَ" و"فِلَسْطينَ".(١)

تنبيه:

نشير هنا إلى أن التسمية بجمع المذكر السالم معروفة قديمًا وحديثًا، كالتسمية بغيره من أنواع المفردات، والمثنيات، والجموع. فقياسيته أنسب فإذا سُمِّيَ به ففيه عدة إعرابات، يرتبها النحاة بحسب، شهرتها وقوتها، الترتيب التالِيَ:

١- أن يعرب بالحروف كجمع المذكر السالم، مع أنه علم على واحد، فيبقى حاله بعد التسمية به كحاله قبلها. تقول في رجل اسمه سعدون: جاء سعدونَ. وأكرمت سَعْدِينَ، وأصغيت إلى سعدِينَ. وفي هذه الحالة لا تدخله "أل" التي للتعريف لأنه معرفة بالعلمية.

وإذا جاء بعده ما يقتضي المطابقة – كالنعت، والخبر، وجب أن يطابق في الإفراد، مراعاة لمعناه ومدلوله. ولا يصح حذف نونه عند إضافته، لأنها ليست نون جمع ولأن حروف العلم لا يصح زيادتها أو نقصها. واحتمال اللبس في هذا الوجه قوي. لإبهامه أنه جمع، ولأن حروفه تتغير بتغير إعرابه، مع أنه علم لمعين.

٢- أن يلزم آخره الياء والنون رفعًا، ونصبًا، وجرًّا، ويعرب بحركات ظاهرة على النون مع تنوينها – غالباً- تقول في رجل اسمه محمدِين: هذا محمدِينٌ، ورأيت محمدِينًا، وقصدت إلى محمدينٍ، فكلمة: "مُحمدِين": إما مرفوعة بالضمة الظاهرة، أو: منصوبة بالفتحة الظاهرة، أو: مجرورة بالكسرة الظاهرة، مع التنوين "غالبًا في كل حالة كما يقول النحاة. (٢)

١- حاشية الصبان، ٣٢١/١.

٢- النحو الوافي، عباس حسن، الجزء الأول – ص ١٥٣ وما بعدها.

المبحث الثالث: أعراب جمع المذكر السالم ودلالاته

أولاً: أعراب جمع المذكر السالم:

يعرب جمع المذكر السالم بالحروف فتكون علامة رفعه الواو وعلامة نصبه وجره الياء. جاء في شرح الأشموني: "(وارفع بواو) نيابة عن الضمة، (وانصب واجرر بياء) نيابة عن الفتحة والكسرة، (سالم جمع عامرو) جمع (مذنب) وهما عامرون ومذنبون، ويسمى هذا الجمع جمع المذكر السالم، لسلامة بناء واحده، ويقال له: جمع السلامة المذكر، والجمع على حد المثنى؛ لأن كلاً منهما يعرب بحرف علة بعده نون تسقط عند الإضافة". (١)

جوز النحويون فيما سمي به من جمع المذكر السالم أن يعرب إعرابه.

نحو: جاء زيدون. وكافأت حمدين. وأثنيت على عابدين.

كما يجوز أن تلزم مثل هذه الأسماء الياء والنون، وتعرب بالحركات الثلاثة مع التنوين. نحو: جاء زيدينٌ. وإن عابدينًا مجتهدٌ. وذهبت إلى حمدينٍ.

ويجوز أن تلازمها الياء والنون بدون تنوين، وتعرب إعراب الممنوع من الصرف تشبيها لها بـ "هارون"، فتجري مجراه ، وتمنع من الصرف للعلمية والعجمة. (٢)

نحو: فاز عابدينُ. وصافحت زيدينَ. وسافرت مع حمدينَ.

بعض العرب يعرب كلمة "سنين" بالحركات الظاهرة على النون شريطة أن تلازمها الياء، ويجرونها مجرى "حين"، ويعتبرون تلك النون الزائدة كأنها من أصل الكلمة، كما هي أصلية في كلمة "مسكين"، فيثبتون النون مع الإضافة.

كقول الصمة بن عبد الله :

دعاني من نجد فإنّ سنينَه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا (٣)

١- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ٣٤/١.
٢- شرح الآجرومية، حسن حفظي، ٧٤/١، وما بعدها.
٣- انظر التعليقات والنوادر، ٢٢/١، ومجالس ثعلب، ٥٧/١.

الشاهد قوله "سنينه"، حيث نصبه بالفتحة الظاهرة على آخره لأنه اسم إنّ، وهو مضاف، والضمير المتصل في محل جر مضاف إليه، ولو أن "سنين" ملحقة بجمع المذكر السالم لوجب حذف نونها عند الإضافة، وهذا الإعراب غير مطرد، وهو مقصور على السماع، ومنه قول الرسول: (صلى الله عليه وسلم) في إحدى الروايتين: "اللهم اجعلها علينا سنينًا كسنينَ يوسف".(١)

والرواية الثانية " اللهم اجعلها سنينَ ـ بلا تنوين ـ كسني يوسف" بحذف النون للإضافة . ففي الرواية الأولى أعربت "سنين" بالحركات الظاهرة على النون، وفي الرواية الثانية أعربت إعراب جمع المذكر السالم. (٢)

كما جاء قول جرير:

أرى مر السنينِ أخذنَ منّي ** كما أخذَ السرارُ من الهلال (٣)

ومن العرب من يلزم هذا الباب الواو، ويفتح النون في كل أحواله، فيكون إعرابه بحركات مقدرة على الواو منع من ظهورها الثقل، ومنهم من يلزمه الواو ويجعل الإعراب بحركات على النون كإعراب زيتون ونحوه، ومنهم من يجري الإعراب الذي ذكرناه أولا في جميع أنواع جمع المذكر وما ألحق به، إجراء له مجرى المفرد. (٤)

ومن هذه اللغة قول ذي الأصبع العدواني:

إني أبيٌّ أبيٌّ ذو محافظةٍ ** وابنُ أبيٍّ أبيٍّ من أبييّنِ (٥)

١- الحديث في سنن الدارقطني، ٣٦٨/٢. ونصه: «اللَّهُمَّ أَنْجِ عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِينَ يُوسُفَ»

٢- حاشية الصبان، ١٢٩/١.

٣- ديوان جرير، ص ٤٤٩، و الكامل في اللغة والأدب، ١٠٥/٢.

٤- شرح ابن عقيل، ٦٥/١.

٥- انظر المفضليات، ٢٤/١، ومجالس ثعلب، ٣٩/١.

نماذج من الإعراب

نورد هنا بعض النماذج الإعرابية التي توضح كيفية إعراب جمع المذكر السالم وما ألحق بالحروف في كل الحالات الإعرابية الرفع والنصب والجر:

١- قال تعالى : ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾ (١)

وإنا : الواو استئنافية وإنا حرف توكيد ونصب والضمير المتصل في محل نصب اسمها . إن : حرف شرط جازم .

شاء : فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط .

الله : فاعل مرفوع بالضمة ، والمفعول به محذوف . وجواب الشرط محذوف لدلالة خبر إن عليه . وإن الشرطية وما في حيزها جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب . لمهتدون : اللام هي المزحلقة ، ومهتدون خبر إن مرفوع بالواو لأنه جمع مذكر سالم والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. وجملة إنا لمهتدون معطوف على جملة إن البقر، لذلك فهي متضمنة للتعليل أو هي مستأنفة، ولا محل لها من الإعراب في الحالتين. (٢)

٢- قال تعالى : ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾(٣)

إنّها: إنّ حرف توكيد ونصب والضمير ها: اسم إنّ في محل نصب.

بقرة: خبر إنّ مرفوع بالضمة.

صفراء: صفة لبقرة مرفوعة بالضمة.

فاقع : صفة ثانية مرفوعة لبقرة .

١- سورة البقرة، الآية: ٧٠.
٢- إعراب القرآن، ٢٣٦/١.
٣- سورة البقرة، الآية: ٦٩.

لونها : فاعل للصفة المشبهة فاقع لأنها صفة ثابتة ، وليست متجددة ، لذلك لا يمكن اعتبارها اسم فاعل، ولون مضاف، والضمير المتصل في محل جر مضاف إليه .

ويجوز أن يكون فاقع خبراً مقدماً ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هو، ولونها مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل رفع صفة ثانية لبقرة .

تسر : فعل مضارع مرفوع بالضمة وفاعله ضمير مستتر جوازاً تقديره هي .

الناظرين : مفعول به منصوب بالياء لأنه جمع مذكر سالم .

والجملة الفعلية تسر الناظرين في محل رفع صفة ثالثة لبقرة .

هذا ويجوز أن يكون لونها مبتدأ وجملة تسر الناظرين في محل رفع خبر . (١)

٣- قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (٢)

فلولا : الفاء حرف عطف، لولا حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط .

فضل : مبتدأ حذف خبره وتقديره موجود، وفضل مضاف، الله : لفظ الجلالة مضاف إليه . عليكم : جار ومجرور متعلقان بفضل .

ورحمته : الواو حرف عطف، ورحمة معطوف على ما قبله وهو مضاف والضمير المتصل في محل جر بالإضافة . لكنتم : اللام واقعة في جواب لولا وكان واسمها.

من الخاسرين : جار ومجرور وعلامة جره الياء، وشبه الجملة متعلق بمحذوف في محل نصب خبر كنتم. وجملة كنتم لا محل لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير جازم . وجملة لولا وما في حيزها معطوفة على ما قبلها . (٣)

١- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب، للعكبري، ٤٢/١.

٢- سورة البقرة، الآية: ٦٤.

٣- المجتبى من مشكل إعراب القرآن، ٢٦/١

٤- قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ (١)

وإنهم : الواو للاستئناف، إنّ: حرف توكيد ونصب، والضمير هم: اسمها في محل نصب.

عندنا : عند ظرف مكان منصوب بالفتحة وهو مضاف، والضمير المتصل في محل جر مضاف إليه .

لمن المصطفين : اللام هي المزحلقة، ومن حرف جر، والمصطفين مجرور بمن وعلامة جره الياء وشبه الجملة متعلق بمحذوف في محل رفع خبر إن.

الأخيار : صفة مجرورة للمصطفين. (٢)

٥- قال تعالى : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (٣)

في يوم : جار ومجرور متعلقان بمحذوف دل عليه واقع ، أي يقع العذاب بهم في يوم القيامة . كان : فعل ماض ناقص . مقداره : اسم كان مرفوع بالضمة، والضمير المتصل في محل جر بالإضافة .

خمسين : خبر كان منصوب بالياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم .

ألف : تمييز منصوب بالفتحة وألف مضاف.

سنة: مجرور بالإضافة . (٤)

٦- قال تعالى : ﴿ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا ﴾ (٥)

شغلتنا : شغل فعل ماض مبني على الفتح، والتاء للتأنيث الساكنة لا محل لها من الإعراب،

١- سورة ص، الآية: ٤٧.
٢- المجتبى من مشكل إعراب القرآن، ٤٩/١.
٣- سورة المعارج، الآية: ٤.
٤- إعراب القرآن، ٢٨/٥.
٥- سورة الفتح، الآية: ١١.

ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به.

أموالنا : فاعل مرفوع بالضمة وهو مضاف، والضمير المتصل في محل جر مضاف إليه .

وأهلونا: الواو حرف عطف، وأهلونا معطوف على ما قبله مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والضمير المتصل في محل جر بالإضافة. (١)

٧- قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٢)

إنما : كافة ومكفوفة . يتذكر : فعل مضارع مرفوع بالضمة .

أولو : فاعل مرفوع بالواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وهو مضاف.

الألباب : مضاف إليه مجرور بالكسرة . (٣)

٨- قال تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٤)

الحمد: مبتدأ مرفوع بالضمة. لله : جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر. ويجوز في قراءة من نصب الحمد أنه مفعول مطلق منصوب للفعل حمد ودخلت عليها الألف واللام في المصدر تخصيصاً لها. (٥) .

رب : صفة مجرورة لله أو بدل مجرور منه، ورب مضاف.

العالمين : مضاف إليه مجرور بالياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم .

١- المجتبى من مشكل إعراب القرآن، ١٦٧/١.
٢- سورة الرعد، الآية: ١٩.
٣- إعراب القرآن، ٧/٤.
٤- سورة الفاتحة، الآية:٢.
٥- إعراب ثلاثين سورة من القرآن، لابن خالويه، ص١٩.

٩- قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴾ (١)

وما : الواو حرف عطف، وما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ.

أدراك : أدرى فعل ماض مبني على الفتح المقدر للتعذر، والضمير المتصل في محل نصب مفعول به، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ.
ما: اسم استفهام للتفخيم والتعظيم في محل رفع مبتدأ.

عليون: خبر مرفوع بالواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والجملة المعلقة بالاستفهام الثاني سدت مسد مفعول أدراك الثاني وجملة الاستفهام الأول معطوفة على ما قبلها . (٢)

١٠- قال تعالى : ﴿ فِي بِضۡعِ سِنِينَ ﴾ (٣)

في بضع : جار ومجرور متعلقان بقوله سيغلبون في الآية السابقة، وبضع مضاف .

سنين : مجرور بالإضافة وعلامة جره الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم. (٤)

١١- قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ﴾ (٥)

الذين : اسم موصول مبني على الفتح في محل جر صفة للمقتسمين.

جعلوا : فعل وفاعل، والجملة لا محل لها من الإعراب صلة الموصول.

القرآن : مفعول به أول منصوب بالفتحة .

عضين : مفعول به ثان منصوب بالياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم . (٦)

١- سورة المطففين، الآية:١٩.
٢- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب، ٢٨٣/٢.
٣- سورة الروم، الآية: ٤.
٤- إعراب القرآن، ٢٦١/٣.
٥- سورة الحجر، الآية: ٩١.
٦- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب، ٧٧/٢.

١٢- قال تعالى : ﴿ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴾ (١)

عن اليمين: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب حال بالاسم الموصول في الآية السابقة، وقيل إنه متعلق بمهطعين. وعن الشمال: معطوفة على ما قبلها.

عزين: حال منصوبة من الاسم الموصول أيضاً أو من الضمير في مهطعين، وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم . وجعل أبو البقاء العكبري عن اليمين وعن الشمال متعلقين بعزين . وأعرب بعض المعربين عزين صفة لمهطعين . (٢)

١٣- قال تعالى : ﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ (٣)

المال: مبتدأ مرفوع بالضمة. والبنون : الواو حرف عطف ، والبنون معطوفة على المال مرفوع بالواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم. زينة: خبر مرفوع وهو مضاف.

الحياة : مضاف إليه مجرورة بالكسرة . الدنيا : صفة مجرورة بالكسرة المقدرة على الألف . (٤)

١٤- قال تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (٥)

واعلموا : الواو حرف عطف ، اعلموا فعل أمر مبني على حذف النون ، والواو في محل رفع

فاعل . أنكم : أن واسمها . غير : خبر أن ، وغير مضاف. معجزي : مضاف إليه.

ومعجزي مضاف . الله: مضاف إليه، وحذفت نون معجزي للإضافة.

وجملة أنكم وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا. (٦)

١- سورة المعارج، الآية: ٣٧.

٢- إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيي الدين درويش، ١٠/ ٢١٨.

٣- سورة الكهف، الآية: ٤٦.

٤- قواعد اللغة العربية المبسطة، ص ١٣.

٥- سورة التوبة، الآية: ٢.

٦- المجتبى من مشكل إعراب القرآن، ٣٣٦/١.

ثانياً: دلالات جمع المذكر السالم وما ألحق به

من دلالات جمع المذكر السالم العموم أي شمول أجناس مختلفة كما في كلمة عالَمين في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (١) فهي تدل على شمول اللفظ لكل ما يسمى بالعالَم وهي مما ألحق بجمع المذكر السالم، يقول الزمخشري: "العالَم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل: كل ما عَلِمَ به الخالق من الأجسام والأعراض فإن قلت: لم جُمع قلت: ليشمل كل جنس مما سمي به فإن قلت هو اسم غير صفة وإنما تجمع بالواو والنون صفات العقلاء أو ما في حكمها من الأعلام قلت ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم". (٢)

وأضاف عباس حسن في ذلك قوله: "فدلالتها داخلة فيما يسمى: "العموم الشمولي" مع أن دلالة كلمة: "عالم" داخلة فيما يسمى: "العموم البدلي" الذي هو دلالة الكلمة المفردة على معنى عام، فإذا جمعت جمع مذكر سالم دلت على معنى خاص بالنسبة لمعناها قبل جمعها. فكلمة: "عالم" تدل على المخلوقات العاقلة وغير العاقلة، فإذا جمعت جمع مذكر سالم فقيل فيها "عالمون" صارت مقصورة الدلالة على العاقلين وحدهم". (٣)

ومن دلالات جمع المذكر السالم تأكيد ثبوت الوصف إذا كان جمعاً لاسم الفاعل لما يعقل كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ (٤) فاسم الفاعل من هذا النوع يدل على تأكيد ثبوت الصفة في المستقبل وهو ما لا يدل عليه الفعل المضارع، فقولنا (نحن مسافرون) مثلاً أقوى في التأكيد من قولنا: (نحن سنسافر) وهكذا. جاء في الكشاف في تفسير هذه الآية: "هدى للمتقين، فإن قلت فهلا قيل هدى للضالين قلت لأن الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم ان مصيرهم إلى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة فبقى ان يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين إلى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام بإجرائه على الطريقة التى ذكرنا فقيل هدى للمتقين وأيضا فقد جعل ذلك سلما إلى تصدير السورة التي هي أولى الزهراوين وسنام القرآن وأول المثاني بذكر أولياء الله والمرتضين من عباده والمتقي في اللغة اسم فاعل

١- سورة الفاتحة، الآية: ٢.

٢- الكشاف للزمخشري، الجزء الأول، ص ٥٤.

٣- النحو الوافي، عباس حسن، الجزء الأول، ص ١٤٩.

٤- سورة البقرة، الآية: ٢.

من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها إذا أصابه ضلع من غلظ الأرض ورقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه أدنى شيء يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك واختلف في الصغائر وقيل الصحيح أنه لا يتناولها لأنها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر". (١)

وما قيل عن المتقين يصدق على المفلحين، في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ (٢) قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: "الدلالة على أن المتقين هم الناس الذين عنهم بلغك أنهم يفلحون في الآخرة كما إذا بلغك أن إنسانا قد تاب من أهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب أي هو الذي أخبرت بتوبته أو على أنهم الذين إن حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الأسد وما جبل عليه من فرط الإقدام إن زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى وهي ذكر اسم الإشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بأمرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك أخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق إلا عن خبرة كما لا يجوز إطلاق العدل إلا على المختبر". (٣) ويقول الراغب الأصفهاني: "فقوله: هدى للمتقين: تنبيه على حصول الهدى لهم، وإن كان القصد لهم ولغيرهم". (٤)

وجاء في تفسير التحرير والتنوير في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧﴾ (٥) قوله:

١- الكشاف للزمخشري- الجزء الأول، ص ٧٨.

٢- سورة البقرة، الآية: ٥.

٣- الكشاف للزمخشري- الجزء الأول، ص٨٦.

٤- تفسير الراغب الأصفهاني، الجزء الأول، ص ٧٧.

٥- سورة البقرة، الآية: ٦٧.

"وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ (١): وصيغة {أن أكون من الجاهلين} أبلغ في انتفاء الجهالة من أن لو قال أعوذ بالله أن أجهل كما في سورة الأنعام عند قوله تعالى: {وما أنا من المهتدين}. فقد أتي بالخبر بالجار والمجرور فقيل: {من المهتدين} ولم يقل: وما أنا مهتد، لأنّ المقصود نفي الجملة التي خبرها {من المهتدين}، فإنّ التعريف في {المهتدين} تعريف الجنس، فإخبار المتكلم عن نفسه بأنّه من المهتدين يفيد أنَّه واحد من الفئة التي تُعرف عند الناس بفئة المهتدين، فيفيد أنَّه مهتد إفادة بطريقة تشبه طريقة الاستدلال. فهو من قبيل الكناية التي هي إثبات الشيء بإثبات ملزومه. وهي أبلغ من التصريح. قال في «الكشاف» في قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ﴾ (٢) قولك فلان من العلماء أبلغ من قولك : فلان عالم، لأنَّك تشهد له بكونه معدوداً في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم. وقال عند قوله تعالى:﴿قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ﴾ (٣). فإن قلت لوقيل: أوعظت أو لم تعظ، كان أخصر، والمعنى واحد. قلت : ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لأنّ المراد سواء علينا أفعلتَ هذا الفعل الذي هو الوعظ أم لم تكن أصلاً من أهله ومباشرته، فهو أبلغ في قلَّة الاعتداد بوعظه من قوله: أم لم تعظ . وقال الخفاجي إنّ أصل هذا لابن جنّي .

ولهذا كان نفي هذا الخبر مفيداً نفي هذه النسبة الكنائية فكانت أبلغيَّتُه في النفي كأبلغيَّته في الإثبات، لأنّ المفاد الكنائي هُو هُو. ولذلك فسّره في الكشاف بقوله: «وما أنا من الهدى في شيء». ولم يتفطَّن لهذه النكتة بعض الناظرين نقله عنه الطيبي فقال: إنَّه لمَّا كان قولك: هو من المهتدين، مفيداً في الإثبات أنّ للمخبر عنه حظوظاً عظيمة في الهدى فهو في النفي يُوجِب أن تنفى عنه الحظوظ الكثيرة، وذلك يصدق بأن يبقى له حظّ قليل. وهذا سفسطة خفيت عن قائلها لأنَّه إنَّما تصحّ إفادة النفي ذلك لو كانت دلالة المثبَت بواسطة القيود اللفظية، فأمَّا وهي بطريق التكنية فهي ملازمة للفظ إثباتاً ونفياً لأنَّها دلالة عقلية لا لفظية. ولذا قال التفتزاني: «هو من قبيل تأكيد النفي لا نفي التأكيد» فهو يفيد أنّه قد انسلخ عن هذه الزمرة التي كان معدوداً منها وهو أشدّ من مطلق الاتّصاف بعدم الهدى لأنّ مفارقة المرء فئته بعد أن كان منها

١- سورة الأنعام، الآية: ٥٦.

٢- سورة الشعراء، الآية: ١٦٨.

٣- سورة الشعراء، الآية: ١٣٦.

أشدّ عليه من اتِّصافه بما يخالف صفاتهم قبل الاتِّصال بهم". (١)

وفي هذا تاكيد لما سبق في قولنا أن جمع المذكر السالم أبلغ في إثبات الصفة من فعل المضارع المسند إلى واو الجماعة.

ومن دلالات جمع المذكر السالم إجراء حكم العقلاء على غير العاقل إذا وصف بما هو خاص بالعقلاء كما في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (٢) قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: "فإن قلت: فلم أجريت مجرى العقلاء في رأيتهم لي ساجدين؟ قلت: لأنه لما وصفها بماهو خاص بالعقلاء وهو السجود. أجرى عليها حكمهم، كأنها عاقلة، وهذا كثير شائع في كلامهم، أن يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه، فيعطى حكماً من أحكامه إظهاراً لأثر الملابسة والمقاربة" (٣).

ويضيف أبو جعفر الغرناطي في كتابه ملاك التأويل، في تفسير هذه الآية قوله: "وجمع التكسير يشمل أولى العلم وغيرهم وجمع السلامة يختص فى أصل الوضع بأولى العلم وإن وجد فى غيرهم فبحكم الالحاق والتشبيه) كقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ وما يلحق بهذا". (٤)

كما يقول أبو جعفر أيضاً في تفسير الآيتين: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (٥) – ﴿وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾(٦). واللتان وردت فيهما صيغتان مختلفتان لكلمة (نبيّ)، مرة جمع سلامة مذكر، ومرة جمع تكسير: "إن جمع المذكر السالم فيه شرف للفظ المجموع، وإن ورد جمع آخر للفظ غير المذكر السالم فلمناسبة أخرى: "ورود جمع السلامة فى قوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ مناسب من جهتين: إحداهما شرف الجمع لشرف المجموع والثانية مناسبة زيادة المد لزيادة أداة التعريف فى لفظ الحق، وأما الآية الأخرى من سورة آل عمران فمثل الأولى فى مناسبة الشرف ومناسبة زيادة المد للزيادة فى الفعل". (٧)

١- التحرير والتنوير، ٥/ ٣٤.

٢- سورة يوسف، الآية: ٤.

٣- الكشاف للزمخشري – الجزء الثاني، ص٤١٨.

٤- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، أبو جعفر الغرناطي، ١/ ٤٢.

٥- سورة البقرة، الآية: ٦١.

٦- سورة آل عمران، الآية: ١١٢.

٧- ملاك التأويل، المرجع نفسه، ج/١، ص ٤٢.

بينما يرى أبو حيان الأندلسي أن ورود كلمة (نبيّ) في القرآن بصيغتي جمع مختلفتين مرة جمع سلامة مذكر، ومرة جمع تكسير، إنما مرده لتساوي دلالة الجمعين إذا دخلت عليهما ال التعريفية بخلاف كونهما نكرتين، فحينها يدل جمع السلامة على القلة بينما يدل جمع التكسير على الكثرة، وبخاصة إذا كانت صيغته من صيغ جموع الكثرة، يقول في تفسيره البحر المحيط: "ولا فرق في الدلالة بين النبيين والأنبياء، لأن الجمعين إذا دخلت عليهما أل تساويا بخلاف حالهما إذا كانا نكرتين، لأن جمع السلامة إذ ذاك ظاهر في القلة، وجمع التكسير على أفعلاء ظاهر في الكثرة". (١)

ومن دلالات جمع المذكر السالم كذلك، إثبات الوحدانية ونفي الكثرات، نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ (٢) جاء في تفسير الراغب الأصفهاني في هذه الآية: "إن قيل: لم قال: (وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) ولو قال: ما لهم من ناصر كان ذلك عامًّا لكونه نكرة منفية؟ قيل: لما كان القصد بهذه الآيات تثبيت الوحدانية ونفي الكثرات، نبّه بلفظ الجمع على أن ناصر الناس واحد، فكأنه قال: ما للناس ناصرون، بل لهم ناصر واحدٌ، فيجب أن يُطلب مرضاته ويُتحرى مرسوماته". (٣)
وذلك نحو قوله: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾(٤) وقوله تعالى: ﴿مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۖ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ﴾ (٥) وما أشبه ذلك من الآيات.

ومن دلالات جمع المذكر السالم تغليب الذكور على الإناث في الصفة، وذلك عندما تشمل الصفة الذكور والإناث معاً، أي أن هذه الصفة يختص بها الرجال أكثر من النساء، وهذا كثير في مجال العبادات إذ التكليف بها للرجال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴾ (٦)

١- تفسير البحر المحيط، ١/ ٢١٦.
٢- سورة آل عمران، الآية: ٢٢.
٣- تفسير الراغب الأصفهاني، ٢/ ٤٨٠.
٤- سورة فاطر، الآية: ٣.
٥- سورة القصص، الآية: ٧١.
٦- سورة التحريم، الآية: ١٢.

قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: "فإن قلت : لم قيل(مِنَ الْقَانِتِينَ) على التذكير؟ قلت: لأنّ القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين، فغلب ذكوره على إناثه" (١).

ومن ذلك اقتداء المرأة بالرجل كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ (٢) فقد جاء في تفسير النيسابوري في تفسير هذه الآية: "وأن يراد بقوله: {واسجدي واركعي} استعمال كل منهما في وقته اللائق به، والواو تفيد التشريك لا الترتيب، أو المراد انظمي نفسك في جملة المصلين وكوني في عدادهم لا في عداد غيرهم. وإنما لم يقل مع الراكعات إما للتغليب وإما لأن الاقتداء بالرجل حال الاختفاء من الرجال أفضل من الاقتداء بالنساء. روي أن مريم بعد ذلك قامت في الصلاة حتى ورمت قدماها وسال الدم والقيح منهما".(٣)

وأضاف الألوسي في ذلك: "لان هذا الجمع أعم إذ يشمل الرجال والنساء على سبيل التغلب ولان الاقتداء بالرجال أفضل إن قلنا : إنها مأمورة بصلاة الجماعة". (٤)

ومنه أيضاً أن الحكم خاص بالذكور وإن اشتركت فيه الإناث، فقد جاء في شأن امرأة لوط عليه السلام أنها من الغابرين، وهو جمع مذكر سالم وكان الأولى أن يقال من الغابرات لأنها أنثى، ولكن القرآن قال من الغابرين لأنها تحشر مع الكفرة من الرجال، وأنها عصت مع من عصى من الرجال، قال تعالى: ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴾ (٥) وقال عز من قائل: ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴾ (٦) وقال جل شأنه: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٢ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٣﴾ (٧) جاء في تفسير الكشاف في تفسير قوله تعالى:

١- الكشاف للزمخشري، ٤/ ٤٧٧.

٢- سورة آل عمران، الآية: ٤٣.

٣- النيسابوري، ٢/ ٢٥٧.

٤- تفسير الألوسي، ٣/ ١٥٦.

٥- سورة الأعراف، الآية: ٨٣.

٦- سورة النمل، الآية: ٥٧.

٧- سورة العنكبوت، الآيتان: ٣٢، ٣٣.

من الغابرين: "مِنَ الْغَابِرِينَ، من الذين غبروا في ديارهم، أي بقوا فهلكوا. والتذكير لتغليب الذكور على الإناث". (١)

على أن هناك دلالات أخرى كثيرة وخاصة لجمع المذكر السالم، تميزها عن دلالات جمع التكسير بشقيه، وهذه الدلالات لا علاقة لها بالقلة أو الكثرة وإنما هي دلالات خاصة تختلف باختلاف الألفاظ، إذ نجد حينها معنى ودلالة الكلمة عندما تجمع جمع مذكر سالماً يختلف عن معناها ودلالتها إذا جمعت جمع مؤنث سالماً أو جمع تكسير، ونورد هنا بعض النماذج لذلك:

١- **الموتى والأموات والميتون**:، فالقرآن قد خصّ لفظ (الموتى) بمن مات حقيقةً وقد وردت في القرآن الكريم سبع عشرة مرة بهذا المعنى. (٢) منه قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣) وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ (٤) وقوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْىِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (٥)

وذكر الأموات للموت الحقيقي والموت المعنوي(في القلب) منه قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٦) وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٧) موت غير حقيقي عقدي.

١- الكشاف للزمخشري، ٢/ ١١٩.
٢- معاني الأبنية في العربية، السامرائي، ص ١١٥.
٣- سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.
٤- سورة الأنعام، الآية: ١١١.
٥- سورة القيامة، الآية: ٤٠.
٦- سورة البقرة، الآية: ٢٨.
٧- سورة النحل، الآيتان: ٢٠، ٢١.

كما جاءت كلمة (الميّتون) في القرآن للذين لم يموتوا بعد، نجدها في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (٣) وغيرها من الآيات.

٢- **القاعدون و القعود:** فالقاعدون وردت في القرآن الكريم جمعاً للقاعد عن الجهاد، (٤) نجدها في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ (٥) وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (٦) وقوله تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٧)

أمّا القعود: فهو جمع للذي يقعد على الارض حقيقةً، نجدها في قوله تعالى: ﴿ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ ﴾ (٨) وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ ﴾ (٩) وغيرها من الآيات.

٣- **قائمون و قيام:** أمّا القيام فقد وردت جمعاً للقائم بمعنى القيام الحقيقي (١٠)، نجدها في قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (١١) بينما جاءت (قائمون) في لغة القرآن الكريم جمعاً لكلمة قائم

١- سورة المؤمنون، الآيتان: ١٥، ١٦.
٢- سورة الزمر، الآية: ٣٠.
٣- سورة الصافات، الآيتان: ٥٨، ٥٩.
٤- معاني الأبنية في العربية، السامرائي، ص ١٢٣.
٥- سورة المائدة، الآية: ٢٤.
٦- سورة التوبة، الآية: ٤٦.
٧- سورة النساء، الآية: ٩٥.
٨- سورة البروج، الآيتان: ٥، ٦.
٩- سورة النساء، الآية: ١٠٣.
١٠- معاني الأبنية في العربية، السامرائي، ص ١٢٤.
١١- سورة الزمر، الآية: ٦٨.

بمعنى القائم بالأمر وقليلا يعني القيام الحقيقي، نجدها في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ﴾ (١)

وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ (٢) وغيرها.

وليس بعيداً عن ذلك كلمتي (حافظون وحفظة) فكلمة الحفظة نجدها في استخدام القرآن لعموم الملائكة الموكلين بالحفظ دون تخصيص، نجدها في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (٣) أما الحافظون فقد قصد بها القرآن الملائكة الموكلين بأمر كتابة الأعمال من حسنات وسيئات، نجدها في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢﴾ (٤) ونجد القرآن هنا عطف عليها (كاتبين)، بجمع المذكر السالم لتوافق الجمع السالم في (حافظين) ثم لتوضيح دلالة القلة في اللفظين، إذ الحافظون أو الحافظين قسم وجزء من الحفظة، فهنا دلالة القلة واضحة في جمع المذكر السالم مقابل دلالة الكثرة في جمع الكثرة (حفظة). جاء في تفسير الرازي مفاتيح الغيب: "وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن مع كل إنسان ملكين أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره فإذا تكلم الإنسان بحسنة كتبها من على اليمين وإذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انتظره لعله يتوب منها فإن لم يتب كتب عليه، وقوله تعالى (وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً) يفيد حفظة الكل من غير تخصيص.

وظاهر هذه الآيات يدل على أن اطلاع هؤلاء الحفظة على الأقوال والأفعال أما على صفات القلوب وهي العلم والجهل فليس في هذه الآيات ما يدل على اطلاعهم عليها، وأما في الأعمال فلقوله تعالى: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَاماً كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) فأما الإيمان والكفر والإخلاص والإشراك فلم يدل الدليل على اطلاع الملائكة عليها". (٥)

عطفاً على ما سبق فالغالب أن جمع المذكر السالم من الممكن أن يستخدم في لغة القرآن لدلالة القلة إذا كان اللفظ ليس له جمع على وزن من أوزان القلة، ويستخدم مقابله وزن

١- سورة المعارج، الآية: ٣٣.

٢- سورة الحج، الآية: ٢٦.

٣- سورة الأنعام، الآية: ٦١.

٤- سورة الانفطار، الآيات: ١٠- ١٢.

٥- تفسير الرازي، مفاتيح الغيب، ١٣/١٣.

من أوزان الكثرة لذات اللفظ كما رأينا في كلمتي (حافظون وحفظة) فالمعروف أن كلمة حافظ لم يرد لها جمع قلة من لفظها في اللغة العربية، فاستعاض القرآن عنه بجمع المذكر السالم. نجد ذلك أيضاً في جمع كلمة (رَسُول) فهذه الكلمة لم يرد لها جمع قلة في اللغة العربية، كما لم يرد لها جمع مذكر سالم فجمعت في القرآن على (مُرسَلُون)، ولا غرابة في ذلك فكلمة (رَسُول) بزنة فَعُول بمعنى مَفْعُول، فهي إذن اسم مفعول فالرسول هو الذي أُرسل بالبناء للمجهول، فنجد القرآن يورد الجمع (مُرسَلُون) للقلة إذا اقتضى السياق القلة نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٣ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤ ﴾ (١)، فمن الآية واضح أن كلمة (مُرسَلُون) مراد بها القلة بدليل أنهم كانوا ثلاثة فقط، فقد كانوا اثنين وبعد التكذيب عزز الله بثالث، فإن قال قائل لم قال (مُرسَلُون) في الآية الأولى وهم اثنين، فالراجح أن المراد أن مجموع من جاء القرية، وقد يكون ذلك لمناسبة الفاصلة. بينما ورد الجمع (رُسُل) لدلالة الكثرة في أكثر من موضع منها قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ﴾ (٣).

ونقول بعد كل هذا أن جمع السلامة بشقيه قد يفيد الكثرة متى ما اقتضى السياق ذلك فجمع السلامة بنوعيه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ (٤)، لا يمكن أن

١- سورة يس، الآيتان: ١٣- ١٤.

٢- سورة آل عمران، الآية: ١٧٩.

٣- سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

٤- سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

يؤول على القلة بدلالتها المعروفة، وإن كان المؤمنون أقل من غيرهم بدلالة قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ (٢)، إلا أن الكلمات التي وردت مجموعة جمعاً سالماً في آية الأحزاب لا تدل على القلة بمعنى من ثلاثة إلى عشرة وإنما المؤمنون والمسلمون والقانتون والصائمون كلهم كثر، لذا فالسياق هنا يقتضي دلالة الكثرة، هذا والله تعالى أعلم.

١- سورة يوسف، الآية: ١٠٣.

٢- سورة الرعد، الآية: ١.

الفصل الثاني

جمع المؤنث السالم
وما ورد على صيغته

في القرآن الكريم

المبحث الأول: جمع المؤنث السالم

جمع المؤنث السالم:

عرفه حسين بن أحمد بن عبد الله آل علي بقوله: "جمع المؤنث السالم، هو: ما دل على أكثر من اثنتين بزيادة ألف وتاء في آخره، مع سلامة بناء مفرده". (١)

بعض العلماء، ومنهم ابن مالك، وابن هشام يسمون هذا الجمع (ما جُمع بألف وتاء زائدتين) ويرون أن تسميته (جمع المؤنث السالم) غير صحيحة؛ والسبب في ذلك أنّ منه ما لم يسلم مفرده من التغيير، فهو إذن ليس بسالم، نحو: سَجَدَات جمع سَجْدَة، فالمفرد تغيّرت حركة عينه (السكون) إلى فتحة في الجمع، ونحو: حُبْلَيَات جمع حُبْلى، قُلبت الألف في المفرد ياء في الجمع، ونحو: صحراوات جمع صحراء، قلبت الهمزة في المفرد واواً في الجمع؛ ولأنّ منه ما هو لمذكر، نحو: مطار: مطارات، ورِجَال: رِجَالات.

قال ابن هشام: "سمى بعض العلماء جمع المؤنث السالم الجمع بألف وتاء مزيدتين وهذه التسمية هي الأولى ليشمل المؤنث وغير المؤنث وما سلم وما لم يسلم لأنه يجمع عليه ما ليس مؤنثا نحو حمامٌ وجمعه حمَامات ويجمع عليه ما لم يسلم نحو صحراء وجمعه صحراوات. ولكن من سماه بجمع المؤنث السالم لا نخطئه لأنها بحسب الأكثر". (٢)

وقد عرفه السعيد بقوله: "جمعُ المؤنّثِ السَّالمُ هو جمعٌ يدلُّ على أكثرِ من اثنتين، ويتمُّ بزيادةِ ألفٍ وتاءٍ على آخرِ الاسمِ المُفردِ دونَ أن يلحقَهُ أيُّ تغييرٍ، مثال: فاطمةُ – فاطمات".(٣)

ولكل ما سبق ذكره يفضل كثير من النحاة الأقدمين تسميته: "الجمع بألف وتاء مزيدتين"، (٤) دون تسميته بجمع المؤنث السالم، وبالرغم من ذلك كله لا مانع من التسمية الثانية، لأنها تنطبق على أغلب الحالات، واشتهرت بين النحاة وغيرهم حتى صارت، "اصطلاحا" معروفا، وخاصة الآن.

ومنه الحَسَناتُ في قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾(٥)

١- شرح ألفية ابن مالك، ٣٥/١.
٢- شرح قطر الندى وبل الصدى، ص ٧٠.
٣- قواعد اللغة العربية المبسطة، ص ١٣.
٤- النحو الوافي، عباس حسن، ١/ ١٦٢.
٥- سورة هود، الآية: ١١٤.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّآئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ (١)

شروط جمعه:

يشترط في ما جمع بألف وتاء أن يكون مفرده أحد الكلمات الآتية:

١ – العلم المؤنث تأنيثا معنويا، نحو: مريم: مريمات، هند: هندات، سعاد: سعادات، زينب: زينبات. (٢)

٢– ما ختم بتاء التأنيث الزائدة علماً كان، أو غير علم. فالعلم، نحو: عائشة: عائشات، فاطمة: فاطمات، طلحة: طلحات. وغير العلم، نحو: شجرة: شجرات، كراسة: كراسات، حديقة: حديقات. (٣)

٣– ما ختم بتاء العِوض، أو تاء المبالغة. مثال ما كانت التاء فيه تاء عوض: ثُبة: ثُبات، عِدة: عِدات. فالتاء في " ثُبة " عوض عن الواو المحذوفة. فالأصل: ثُبَوٌ. وفي عِدة عِوض عن الواو المحذوفة من أول الكلمة، فالأصل: وعد. ومثال ما كانت فيه التاء للمبالغة: قتَّالة: قتَّالات، وعلاَّمة: علاَّمات، وفهَّامة: فهَّامات. فالتاء في قتّالة، وعلّامة، وفهّامة للمبالغة.(٤)

٤– ما كان صفة لمؤنث. نحو: مُرضِع: مُرضِعات، عانِس: عانِسات، نقول: هؤلاء مُرضِعاتٌ.

٥– ما كان صفة لمذكرٍ غيرِ عاقلٍ. نحو: شاهِق: شاهِقات، شامِخ: شامِخات، مَعدود: مَعدودات. نقولُ: جبالٌ شامِخاتٌ. (٥)

١– سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.
٢– أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ٩٠/١.
٣– النحو الوافي، عباس حسن، ١٦٨/١.
٤– شرح قطر الندى وبل الصدى، ص ١٨.
٥– شرح شذور الذهب، ٥٠/١.

٦- ما كان مصغراً لمذكر غير عاقل. نحو: دُرَيهِم: دُرَيْهِمات، نُهَيْر : نُهَيْرات، جُبَيْل: جُبَيْلات. نقول: معي دُرَيْهِماتٌ قليلةٌ. (١)

٧- ما صُدِّر بـ " ابن، أو ذي" من الأسماء غير العاقلة، حيث تجمع صدورها. نحو: ابن آوى: بنات آوى، وذو القرون: ذوات القرون. (٢)

٨- كل خماسي لم يسمع له عن العرب جمع تكسير. نحو: سرادق: سرادقات، حمّام: حمّامات، إصطبل: إصطبلات. وكذلك الأسماء الأعجمية التي لم تجمع على غير جمع المؤنث السالم. نحو: تلفون: تلفونات، تلفزيون: تلفزيونات، تلغراف: تلغرافات. (٣)

٩- ما كان مختوما بألف التأنيث المقصورة، علماً، أو غير علم مؤنثاً، ومذكراً. فمثال الأعلام المؤنثة : ليلى: ليليات، سُعدَى: سُعديات. ومثال الصفات: ذكرى: ذكريات، نعمى: نعميات. ومثال الأعلام المذكرة: رضوى: رضويات. (٤)

١٠- ما كان مختوما بألف التأنيث الممدودة، علما، أو غير علم، مؤنثاً ومذكراً. فمثال الأعلام المؤنثة: صحراء: صحراوات، بيداء: بيداوات، سناء: سناءات. ومثال الصفات: حمراء: حمراوات، حسناء: حسناوات، شقراء: شقراوات. ومثال الأعلام الذكور: مضاء: مضاءات. (٥)

كيفية الجمع أو طريقته :

يسلم في هذا الجمع ما سلم في التثنية؛ فتقول في جمع هند: "هندات" كما تقول في تثنيتها: "هندان" إلا ما ختم بتاء التأنيث؛ فإن تاءه تحذف في الجمع، وتسلم في التثنية، تقول في جمع مسلمة: "مسلمات" وفي تثنيتها: "مسلمتان" ويتغير فيه ما تغير في التثنية، تقول: "حبليات" بالياء، و"صحراوات" بالواو، كما تقول في تثنيتهما: "حبليان" و"صحراوان" وإذا كان ما قبل التاء حرف علة، أجريت عليه بعد حذف التاء ما يستحقه، لو كان آخرا في أصل الوضع؛ فتقول في نحو: ظبية وغزوة: "ظَبْيَات" و"غَزْوَات" بسلامة الياء والواو، وفي نحو: مصطفاة

١- النحو الوافي، عباس حسن، ١٦٩/١.
٢- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ٩٠/١.النحو الوافي، ١٦٩/١.
٣- النحو الوافي، ١٦٨/١.
٤- شرح ابن عقيل، ١٠٩/٤.
٥- المرجع السابق، ١٠٩/٤.

وفتاة: "مصطفيات" و"فتيات" بقلب الألف ياء.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (١) والشاهد في الآية قوله فتيات جمعاً لكلمة (فتاة) وفي نحو قناة: "قنوات" بالواو، وفي نحو: نباءة "نباءات" و"نباوات" وفي نحو قراءة: "قراءات" بالهمز لا غير. (٢) وتفصيل ذلك فيما يلي:

أولاً: جمع الاسم الصحيح :

١- إذا كان المفرد مختوما بالتاء، وجب حذفها عند الجمع، ثم تلحقه الألف والتاء الزائدتين، للدلالة على الجمع. نحو: فاطمة: فاطمات، ومعلمة: معلمات.

ومنه صالحات وقانتات وحافظات جمع صالحة وقانتة وحافظة في قوله تعالى: ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ (٣)

٢- إذا كان الاسم المفرد صحيح الآخر، فلا يحدث في أخره تغيير. نحو: زينب: زينبات، ومريم: مريمات.

٣- إذا كان الاسم مؤنثاً لفظياً حذفت تاؤه أيضا. نحو: طلحة: طلحات، معاوية: معاويات، عبيدة: عبيدات.

٤- إذا كان الاسم ثلاثيا ساكن العين صحيحها، غير مضعف، مختوماً، أو غير مختوم بتاء زائدة يراعى في جمعه جمعاً مؤنثاً سالما الآتي:

أ/ إذا كان مفتوح الفاء وجب في جمعه فتح عينه إتباعا لفائه. نحو: تَمْرة : تَمَرات، ودَعْدُ: دَعَدات، وجَمْرة: جَمَرات، صَخْرة: صَخَرات.

ومنه حسرات في قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ﴾ (٤)

١- سورة النور، الآية: ٣٣.

٢- حاشية الصبان على شرح الأشموني، ٩٣/١ وما بعدها.

٣- سورة النساء، الآية: ٣٤.

٤- سورة البقرة، الآية: ١٦٧.

ب/ إذا كان مضموم الفاء جاز في جمعه ضم العين، وفتحها، وإسكانها. نحو: غُرْفة: غُرُفات،غُرَفات، غُرْفات. وحُجْرة : حُجُرات، حُجَرات، حُجْرات. وذلك بضم العين على الإتباع للفاء، أو الفتح، أو الإسكان.

ومنه غُرُفات قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ (١)

وحُجُرات في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٢)

وحُرُمات في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ (٣)

ج / وإذا كان المفرد مكسور الفاء جاز في عينه عند الجمع الكسر على الإتباع، أو الفتح، أو الإسكان. نحو: هند: هِنِدات بكسر العين، وهِنَدات بفتحها، وهِنْدات بإسكانها. وسِدرة: سِدِرات، سِدَرات، سِدْرات. (٤)

٥- وإذا كان المفرد ثلاثياً مفتوح الفاء، ومفتوح أو مضموم أو مكسور العين صحيحها، يبقى في الجمع على حاله. نحو: شَجَرة: شَجَرات. وبَقَرة: بَقَرات. وثَمَرة: ثَمَرات. بفتح العين. (٥)

ومنه بقرات في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ (٦)

ونحو: نَمِرة : نَمِرات . بكسر العين. وسَمُرة: سَمُرات بضم العين (٧) ومنه قول امرئ القيس:

كأنّي غداةَ البينِ يوم ترحّلُوا لدَى سَمُراتِ الحيّ ناقفُ حنظلِ (٨)

١- سورة سبأ، الآية: ٣٧.

٢- سورة الحجرات، الآية: ٤.

٣- سورة الحج، الآية: ٣٠

٤- النحو الوافي، عباس حسن، ١٧٠/١.

٥- أوضح المسالك، ٣٠٢/٤، وما بعدها.

٦- سورة يوسف، الآية: ٤٣.

٧- السُمر: نوع من أنواع الطلح، انظر المعجم الوسيط، ٦٦٩/٢.

٨- انظر ديوان امرئ القيس، ص ٢٩، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٥٢١/٥.

٦- إذا كان الاسم الثلاثي معتل العين، بقى الإسكان في الجمع. نحو: تارة: تارات. دولة: دولات. بيضة: بيضات.

٧- أما إذا كان الاسم مضعف العين فلا تتغير حركته عند الجمع. نحو: جنّة: جنّات. حبّة: حبات. حيّة: حيّات، خطّة: خطّات.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ﴾ (١)

٨- وإذا كان المفرد صفة ساكنة العين، سواء أكان مفتوح الفاء، أم مضمومها، أم مكسورها، فليس في جمعه إلا تسكين العين. نحو: ضَخْمة: ضَخْمات، حُلْوة: حُلْوات، جِلْفة: جِلْفات. (٢)

ما جمع بألف وتاء من غير الجمع:

هناك بعض الكلمات المنتهية بالألف والتاء، ولكنها في حقيقتها ليست جمعا مؤنثا سالما، إما لكون الألف فيها أصلية. نحو: قضاة، وغزاة. أو لأن التاء فيها أصلية. نحو: أقوات وأبيات. وهذه الكلمات عبارة عن جموع تكسير، ترفع بالضمة، وتنصب بالفتحة، وتجر بالكسرة. نقول: جاء القضاةُ. إن القضاةَ عادلون. وسلمت على القضاةِ. ونقول: هذه أبيات شعرية جميلة. وقرأت أبياتا شعرية جميلة. (٣)

ومنه أموات في قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ﴾ (٤)

"فأمواتاً" خبر كان منصوب بالفتحة، لأنّها جمع تكسير والتاء فيها أصلية، وليست جمع مؤنث سالماً.

١- سورة الأنعام، الآية: ١٤١.

٢- أوضح المسالك، ٣٠٢/٤، وما بعدها.

٣- انظر الأصول في النحو، ٤٢٣/٢، وما بعدها.

٤- سورة البقرة، الآية: ٢٨.

إعراب جمع المؤنث السالم:

جاء في شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: "يجوز في الأسماء المسماة بجمع المؤنث السالم، والتي ذكرناها في موضعها، ثلاثة أنواع من الإعراب:

أ/ النوع الأول وهو أصحها: أن يعرب الاسم كما كان عليه قبل التسمية، فيرفع بالضمة مع التنوين، لأن التنوين للمقابلة. نحو: هذه عناياتٌ. وينصب ويجر بالكسرة مع التنوين، نحو: رأيت عناياتٍ، ومررت بعناياتٍ.

فمنه مؤمناتٌ بالضمتين في حالة الرفع في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (١)

ومنه مسلماتٍ ومؤمناتٍ وقانتاتٍ وتائباتٍ وعابداتٍ وسائحاتٍ وثيباتٍ بالكسرتين في حالة النصب في قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ (٢)

ب/ النوع الثاني: أن يعرب الاسم رفعاً بالضمة، ونصباً وجراً بالكسرة بدون تنوين. نحو: هذه عرفاتُ. وزرت عرفاتِ. ووقفت في عرفاتِ.

ج/ النوع الثالث: أن يعرب الاسم إعراب الممنوع من الصرف، فيرفع بالضمة بدون تنوين، وينصب ويجر بالفتحة. نحو: هذه أذرعاتُ. وسكنت أذرعاتَ. ورحلت إلى أذرعاتَ.

وأرى أن هذا النوع من الإعراب حسن أيضاً، إلى اعتبار استعمال هذه الأسماء مفردة مؤنثة".

١- سورة الفتح، الآية: ٢٥.

٢- سورة التحريم، الآية: ٥.

٣- شرح ابن عقيل، ٧٦/١ وما بعدها.

ثانيا: جمع الاسم المقصور:

لجمع الاسم المقصور جمعاً مؤنثاً سالماً حالتان:

١- إذا كانت ألف المقصور ثالثة ردت إلى أصلها (الواو، أو الياء). فمثال ما أصله واو: عصا: عصوات. رضا: رضوات. شذا: شذوات. ومثال ما أصله ياء: هدى: هديات. مدى: مديات.

٢- إذا كانت ألفه رابعة فأكثر قلبت ياء. نحو: ذكرى: ذكريات. منتدى: منتديات. مستشفى: مستشفيات. (١)

ثالثا: جمع الممدود :

عند جمع الاسم الممدود جمعاً مؤنثاً سالماً يراعى نوع الهمزة في آخره على النحو التالي:

١- إذا كانت الهمزة أصلية بقيت في الجمع على حالها. نحو: إنشاء: إنشاءات.

٢- إذا كانت زائدة للتأنيث وجب قلبها واوا. نحو: صحراء: صحراوات. حمراء: حمراوات.

٣- إذا كانت مبدلة من حرف أصلي " واو، أو ياء " جاز بقاؤها، أو إبدالها واوا. نحو: سماء: سماءات وسماوات. دعاء: دعاءات ودعاوات. زكرياء: زكرياءات وزكرياوات. وفاء: وفاءات ووفاوات. (٢)

فائدة:

لا يصح جمع ما كان من الأسماء على وزن " فَعْلاء " مؤنث " أفعل " جمع مؤنث سالماً، وإنما تجمع جمع تكسير. فنقول في جمع حمراء مؤنث أحمر: حُمْر، ولا نقول: حمراوات. وفي خضراء مؤنث أخضر: خُضْر، ولا نقول: خضراوات. (٣)

١- أوضح المسالك، ٩١/١.

٢- راجع، النحو الوافي، عباس حسن، ٦١٤/٤ ومابعدها.

٣- شرح ابن عقيل، ٧٦/١.

رابعا: جمع المنقوص:

إذا جمع الاسم المنقوص جمعاً مؤنثاً سالماً فلا يتغير فيه شيء عند الجمع إذا كانت ياؤه موجودة. نحو: الساعية: الساعيات. الرابية: الرابيات. الداعية: الداعيات. وإذا كانت ياؤه محذوفة ردت إليه عند الجمع. نحو: قاض: قاضيات. ساع: ساعيات: راس: راسيات.

ومنه راسيات في قوله تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ (١)

القياس في الجمع بالألف والتاء:

ويقول الصبان في شروط ما يجمع بألف وتاء: "واعلم أن الجمع بالألف والتاء يطرد في خمسة أنواع: ما فيه تاء التأنيث مطلقًا، وما فيه ألف التأنيث مطلقًا، ومصغر مذكر ما لا يعقل كدريهم، وعلم مؤنث لا علامة فيه كزينب، ووصف مذكر عاقل كأيام معدودات، ونظمها الشاطبي فقال:

وقسه في ذي التاء ونحو ذكرى ... ودرهم مصغر وصحرا

وزينب ووصف غير العاقل ... وغير ذا مسلم للناقل

فيقتصر فيما عدا الخمسة على السماع كسماوات وأرضات وسجلات وحمامات وثيبات وشمالات وأمهات. ويستثنى من الأول خمسة ألفاظ لا تجمع بالألف والتاء: امرأةٌ وأَمَةٌ وشَاةٌ وشَفَةٌ وقُلّةٌ، وزاد الروداني وأُمَّةٌ بالضم والتشديد ومِلّةٌ وقيل تجمع شَفَة على شَفَهات أو شَفَوات وأَمَة على أَمَوات أو أَمَيات.

ومن الثاني فَعْلاء أَفْعَل وفَعْلَى فَعْلان غير منقولين إلى العلمية لما لم يجمع مذكرهما بالواو والنون لم يجمع مؤنثهما بالألف والتاء واختلف في فعلاء الذي لا أفعل له كعجزاء ورتقاء.

ويستثنى من الرابع باب حزام في لغة من بناه، قاله الروداني وغيره. قوله: "بتا" بالتنوين لأنه مقصور للضرورة ، والمقصور إذا لم تدخل عليه ال ولم يضف ولم يوقف عليه ينوّن فإعرابه مقدر على الألف المحذوفة لا على الهمزة المحذوفة لأن حذف الألف لعلة تصريفية والمحذوف لعلة تصريفية كالثابت بخلاف الهمزة، فهي أحق من الهمزة بجعلها حرف الإعراب ويجوز ترك تنوينه للوصل بنية الوقف". (٢)

١- سورة سبأ، الآية: ١٣.

٢- حاشية الصبان، ١/١٣٦.

المبحث الثاني

ماجمع بألف وتاء من غير جمع المؤنث السالم

والملحق بجمع المؤنث السالم: ماكان على صورة جمع المؤنث السالم ولا مفرد له من لفظه وهو نوعان:

الأول: مايدل على الجمع ولا مفرد له من لفظه نحو: "أولات" بمعنى صاحبات، فهذا يجرى مجرى جمع المؤنث السالم في أنه يرفع بالضمة، ويجر بالكسرة، وينصب بالكسرة نيابة عن الفتحة، نحو: جاءت أُولاتُ الأحمالِ.

والثاني: ما سمي به من ذلك كأَذرعات، فإنه على صورة جمع المؤنث السالم وهو مفرد لأنه موضع بالشام ففي هذا ثلاثة أوجه من الإعراب، الوجه الأول: أن يلحق بجمع المؤنث السالم في إعرابه فيرفع بالضمة، وينصب بالكسرة نيابة عن الفتحة، ويجر بالكسرة نحو: هذه أذرعاتٌ، ورأيت أذرعاتٍ، ومررت بأَذرعاتٍ، بتنوين التاء، هذا هو المذهب الصحيح. الوجه الثاني: كالأول إلا أن التاء غير منونة. الوجه الثالث: أن يعرب إعراب مالا ينصرف للعلمية والتأنيث المعنوي كسعاد، وزينب. (١)

وتفصيلها كما يلي: يلحق بجمع المؤنث السالم نوعين من الأسماء الشبيهة بجمعه، وليس في الأصل جمعاً مؤنثاً سالماً، وهي:

١- الكلمات التي لها معنى الجمع، ولكن لا مفرد لها من لفظها. نحو: أولات: فهي تدل على جماعة الإناث، ولكن مفردها "ذات" بمعنى صاحبة. نقول: المعلمات أولات فضل. (٢)

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ (٣)

ونحو: بنات، وأخوات: هاتان الكلمتان من الكلمات التي لم يسلم فيها بناء المفرد من التغيير عند جمعها جمعا مؤنثا سالما، وهذا مخالف لقاعدة جمع السلامة، إذ يجب عدم تغيير صورة

١- المذكرات النحوية، ١/ ٥٥.

٢- أولات: إضافتها لا تكون إلا لاسم جنس ظاهر "مثل: علم، فضل، أدب ...، أما غير الظاهر فلا تضاف إليه، كالضمير الذي يعود على اسم جنس، فلا يصح الفضل أولاته الأمهات".

٣- سورة الطلاق، الآية: ٤.

المفرد عند الجمع السالم، لذلك ألحقت الكلمتان السابقتان، ومثيلاتها به. نقول: هؤلاءِ بناتٌ مهذباتٌ.

وصافحتُ البناتِ والأخواتِ المهذباتِ. وأثنَتِ المعلمةُ على البناتِ والأخواتِ المهذباتِ. (١)

ومنه البنات في قوله تعالى: ﴿ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴾ (٢)

ومنه قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ ﴾ (٣)

٢- بعض الألفاظ التي سمي بها من جمع المؤنث، وصارت أعلاما لمذكر أو لمؤنث بسبب التسمية، ولعل من أهم دواعي التسمية بجمع المؤنث، أو المذكر السالمين، أو غيره من الجموع الأخرى هو المدح، أو الذم، أو التمليح. ومن هذه الألفاظ : أذرعات.

قال الشاعر :

تَنَوّرتُها مِنْ أذْرُعاتٍ وأهلُها بيثرِبَ أدنَى دارها نظرٌ عالِ (٤)

الشاهد فيه: " أذْرُعاتٍ" حيث أعربت إعراب جمع المؤنث السالم فجُرّت بتنوين الكسر، لأن أصلها جمع مؤنث سالم، ثم سمي بها بلد، فهو في اللفظ جمع، وفي المعنى مفرد.

ومنه: سادات، وعنايات، وسعادات، وزينبات، وعرفات، وما شابه ذلك من الأسماء المسمى بها لأسماء مفردة، ولكنها في الأصل جموع مؤنثة، فعوملت معاملة جمع المؤنث السالم في الإعراب.

١- انظر النحو الوافي، عباس حسن، ١٦٥/١ وما بعدها.

٢- سورة الصافات، الآية: ١٥٣.

٣- سورة النساء، الآية: ٢٣

٤- البيت لأمرئ القيس، انظر ديوان امرئ القيس، ص ١٠، وسمط اللآلئ، ١٠١/١، ونهاية الأرب في فنون الأدب، ١٢٤/٧، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه، ١٢٧/١.

المبحث الثالث

إعراب ودلالات جمع المؤنث السالم

أولاً: إعراب جمع المؤنث السالم:

وحكم هذا الجمع أن يرفع بالضمة وينصب ويجر بالكسرة نحو جاءني هنداتٌ، ورأيت هنداتٍ، ومررت بهنداتٍ، فنابت فيه الكسرة عن الفتحة وزعم بعضهم أنه مبني في حالة النصب وهو فاسد إذ لا موجب لبنائه. (١)

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ (٢)

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ﴾ (٣)

وقوله تعالى: ﴿ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ (٤)

كل هذا بشرط أن تكون الألف والتاء زائدتين معًا؛ فإن كانت الألف زائدة والتاء أصلية؛ مثل: بيت وأبيات، وقوت وأقوات، وصوت وأصوات، ووقت وأوقات، لم يكن جمع مؤنث سالم، ولم ينصب بالكسرة؛ وإنما هو جمع تكسير، ينصب بالفتحة. وكذلك إن كانت ألفه أصلية والتاء زائدة، مثل : سُعاة: جمع ساعٍ، ورُماة: جمع رامٍ، ودُعاة: جمع داعٍ، وأشباهها؛ فإنه يدخل فى جموع التكسير التي تنصب بالفتحة. (٥)

"حركة عين الجمع بالنسبة إلى المفرد":

إذا كان المجموع بالألف والتاء اسما ثلاثيا ساكن العين، غير معتلها، ولا مدغمها؛ فإن كانت فاؤه مفتوحة، لزم فتح عينه، نحو: سجدة ودعد، تقول: "سَجَدات" و"دَعَدات"، قال الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (٦)

١- شرح ابن عقيل، ١/ ٧٤.

٢- سورة النساء، الآية: ٣٤

٣- سورة الأنعام، الآية: ١٤١

٤- سورة سبأ، الآية: ٣٧.

٥- النحو الوافي، عباس حسن، ١/ ١٦٢.

٦- سورة البقرة، الآية: ١٦٧.

وقال العرجي:

باللهِ يا ظَبَيَات القاعِ قُلنَ لنا ليلاي منكنّ أم ليلى من البشر (١)

وأما قوله:

وحملت زَفْراتِ الضحى فأطقتها وما لي بزَفْرَات العشي يدان (٢)

فضرورة حسنة؛ لأن العين، قد تسكن للضرورة مع الإفراد والتذكير، كقوله:

(يا عَمْرو يا ابْنَ الأكْرمين نَسْبَا .....) (٣)

وإن كان مضموم الفاء، نحو: خطوة وجمل، أو مكسورها، نحو: كسرة وهند، جاز لك في عينه الفتح والإسكان مطلقا، والإتباع إن لم تكن الفاء مضمومة واللام ياء كدمية وزبية، ولا مكسورة واللام واو كذروة ورشوة. وشذ جروات بالكسر.

ويمتنع التغيير في خمسة أنواع:

الأول نحو: زينبات وسعادات؛ لأنهما رباعيان لا ثلاثيان.

الثاني: نحو: ضخمات وعبلات؛ لأنهما وصفان لا اسمان. وشذ كهلات، بالفتح، ولا ينقاس، خلافا لقطرب.

الثالث: نحو: شجرات، وثمرات ونمرات، لأنهن محركات الوسط، ويجوز الإسكان في نحو: سمرات ونمرات، كما كان جائزا في المفرد. لأن ذلك حكم تجدد حالة الجمع.

الرابع: نحو: جوزات وبيضات، لاعتلال العين، قال الله تعالى {فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ}، وهذيل تحرك نحو ذلك، وعليه قراءة بعضهم: "ثَلاثُ عَوَرَاتٍ لَكُمْ"، ومنه قول الشاعر:

أخو بَيَضاتٍ رائحٌ متأوبٌ

واتفق جميع العرب على الفتح في عيرات، جمع عير، وهي الإبل التي تحمل الميرة، وهو شاذ في القياس؛ لأنه كبيعة وبيعات، فحقه الإسكان.

الخامس: نحو: حجات وحجات وحجات، لإدغام عينه؛ فلو حرك أنفك إدغامه، فكان يثقل فتضيع فائدة الإدغام. (٤)

١- البيت للعرجي، انظر العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ١/١٣١، وخزانة الأدب، ١/٢٩٧.

٢- البيت لعروة بن حزام في ديوانه، ص ١٨، وتزيين الأشواق بأخبار العشاق، ١/٢٠٠.

٣- هذا صدر بيت من الرجز، وعجزه قوله: (قد نحب المجد عليك نحبا) وهو من شواهد: التصريح: ٢/ ٢٩٨، والعيني: ٤/ ٥٢ ، وأوضح المسالك، ٤/٣٠٥.

٤- أوضح المسالك، ٤/ ٣٠٣.

نماذج من الإعراب:

١/ قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾ (١)

إنّ: حرف توكيد ونصب.

الحسنات: اسم إنّ منصوب وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة. يذهبن: فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة.

والنون ضمير متصل في محل رفع فاعل.

السيئات: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة.

وجملة يذهبن في محل رفع خبر إنّ. (٢)

٢/ قال تعالى : ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ ﴾ (٣)

فالصالحات: الفاء حرف استئناف، الصالحات مبتدأ مرفوع بالضمة.

قانتات: خبر أول مرفوع بالضمة. حافظات: خبر ثان مرفوع بالضمة.

للغيب: جار ومجرور متعلقان بحافظات. والجملة لا محل لها من الإعراب استئنافية . (٤)

٣/ قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡ ﴾ (٥)

كذلك: الكاف حرف تشبيه وجر، ذا اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له من الإعراب، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف في

١- سورة هود، الآية: ١١٤.

٢- المجتبى من مشكل إعراب القرآن الكريم، ٤٢٥/١.

٣- سورة النساء، الآية: ٣٤

٤- إعراب القرآن، ٤٥٢/١.

٥- سورة البقرة، الآية: ١٦٧.

محل نصب لمفعول مطلق محذوف عامله الفعل الذي بعده، والتقدير: يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم إراءة مثل تلك الإراءة يريهم: فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة على الياء للثقل، والضمير المتصل في محل نصب مفعول به أول.

الله: لفظ الجلالة فاعل مرفوع بالضمة.

أعمالهم: مفعول به ثان، وهو مضاف، والضمير المتصل في محل جر مضاف إليه.

حسرات: مفعول به ثالث منصوب بالكسرة.

ويجوز في حسرات أن تعرب حالا ، إذا اعتبرنا الرؤية بصرية، والوجه الأول أرجح باعتبار أن الرؤية قلبية فيتعدى الفعل "يرى" لثلاثة مفاعيل. (١)

٤/ قال تعالى ﴿ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ (٢)

وهم: الواو حرف عطف، هم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ.

في الغرفات: جار ومجرور متعلقان بـ " آمنون "، أو في محل نصب حال.

آمنون: خبر مرفوع بالواو. (٣)

٥/ قال تعالى : ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ (٤)

وأولات: الواو حرف عطف وأولات مبتدأ مرفوع بالضمة لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم، وأولات مضاف، والأحمال: مضاف إليه مجرور بالكسرة.
أجلهن: مبتدأ مرفوع بالضمة والضمير المتصل في محل جر بالإضافة.
أنْ: حرف مصدري ناصب.

١- أملاء ما من به الرحمن، ٧٤/١.
٢- سورة سبأ، الآية: ٣٧.
٣- إعراب القرآن، ٣٥٣/٣.
٤- سورة الطلاق، الآية: ٤.

يضعن: فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة في محل نصب والمصدر المؤول في محل رفع خبر المبتدأ أجلهن والتقدير (وَضْعُ حَمْلِهِنَّ) ونون النسوة في محل رفع فاعل يضع.

حملهن: مفعول به منصوب بالفتحة وهو مضاف، والضمير المتصل في محل جر مضاف إليه. وجملة أجلهن في محل رفع خبر المبتدأ أولات. وجملة أولات معطوفة على ما قبلها. (١)

٦/ قال تعالى : ﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴾ (٢)

أصطفى: الهمزة للاستفهام الإنكاري حرف مبني على الفتح لا محل له من الإعراب استغني بها عن همزة الوصل للتوصل للنطق بالساكن، واصطفى فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف منع من ظهورها التعذر، والفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو يعود على الله.

البنات: مفعول به منصوب بالكسرة نيابة عن بالفتحة.

على البنين: جار ومجرور متعلقان باصطفى بعد تضمينه معنى أفضل. (٣)

٧/ قال تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ﴾ (٤)

كيف: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال والعامل فيه الفعل بعده، وصاحبه واو الجماعة.

تكفرون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون واو الجماعة في محل رفع فاعل.

بالله: جار ومجرور متعلق بتكفرون، وجملة كيف تكفرون مستأنفة لا محل لها من الإعراب. وكنتم: الواو للحال، وكان واسمها والجملة في محل نصب حال من واو الجماعة في تكفرون، والرابط الواو والضمير، وقد المقدرة قبل الفعل الماضي الناقص لتقربه من الحال.

١- المجتبى من مشكل إعراب القرآن، ٣٩/١.

٢- سورة الصافات، الآية: ١٥٣.

٣- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب، ٢٠٨/٢.

٤- سورة البقرة، الآية: ٢٨.

أمواتاً: خبر كان منصوب بالفتحة.

فأحياكم: الفاء حرف عطف، وأحيى فعل ماض مبني على الفتح المقدر والفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو يعود على الله، والضمير المتصل في محل نصب مفعول به.

وجملة أحيى معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها. (١)

٨/ قال الشاعر :

تنورتها من أذرعاتٍ وأهلها بيثرب أدنى دارها نظر عالِ (٢)

تنورتها: فعل وفاعل ومفعول به.

من أذرعات: جار ومجرور وعلامة جره الكسرة إذا قرأناه منوناً أو من غير تنوين، أما إذا قرأناه بالفتح فعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه اسم ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث، والجار والمجرور متعلقان بتنور.

وأهلها: الواو للحال وأهل مبتدأ والضمير المتصل في محل جر مضاف إليه.

بيثرب: جار ومجرور وعلامة جره الفتحة لأنه اسم ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث، وشبه الجملة متعلق بمحذوف في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة من المبتدأ وخبره في محل نصب حال.

أدنى: مبتدأ مرفوع بالضمة المقدرة على الألف للتعذر وأدنى مضاف، ودارها: مضاف إليه، ودار مضاف، والضمير المتصل في محل جر مضاف إليه.

نظر: خبر المبتدأ مرفوع. عال: صفة مرفوعة لنظر.

الشاهد في قوله: "أذرعات" فإنّ أصله جمع ثم نقل فصار اسم بلد فهو في اللفظ جمع وفي المعنى مفرد. وفي كلمة "أذرعات" ثلاثة أوجه من الإعراب كما ذكر ابن عقيل في شرحه.

١- إعراب القرآن، ٢٠٦/١.

٢- البيت لآمرئ القيس، انظر ديوان امرئ القيس، ص ١٠، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه، ١٢٧/١،

- الوجه الأول: ينصب بالكسرة كما كان قبل التسمية به، ولا يحذف منه التنوين "من أذرعاتٍ" وهذا هو الوجه الصحيح.

- الوجه الثاني: أنه يرفع بالضمة وينصب ويجر بالكسرة من غير تنوين "من أذرعاتِ".

- الوجه الثالث: أنه يرفع بالضمة وينصب ويجر بالفتحة من غير تنوين باعتباره ممنوعاً من الصرف "من أذرعاتَ".(١)

١- انظر جامع الدروس العربية، ٥٤/٦، وسر صناعة الإعراب، ٤٩٧/٢- ٤٩٨.

ثانياً: دلالات جمع المؤنث السالم

جمع المؤنث السالم من جموع السلامة أو جموع التصحيح، وقد ذهب كثير من العلماء إلى أنّ جمع السلامة يفيد القلة، وبخاصة إذا كان اللفظ يجمع بإحدى صيغ جموع الكثرة، ولذا أعاب النقاد على حسان بن ثابت استخدامه للجمع (جِفْنات) في بيته:

لنا الجِفْناتُ الغرُّ يلمَعْنَ بالضُّحَى وأسيافَنا يقطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَما (١)

ومما ورد في ذلك ما ذكره الرافعي من استدراك الخنساء على حسان بن ثابت في شعر أنشده بعكاظ، قال فيه البيت السابق.

فقالت الخنساء: ضعّفت افتخارك، وأبرزته في ثمانية مواضع، قال: وكيف؟ قالت:قلت"لنا الجفنات" والجفنات مادون العشر، فقللت العدد، ولو قلت " الجفان" لكان أكثر. (٢)

وإن كان آخرون قد رفضوا هذا الرأي فمصطفى الغلاييني يقول: "إذا قُرن جمع القلة بما يصرفه إلى معنى الكثرة انصرف اليها كأن تسبقه "أل" الدالة على تعريف الجنس كقوله تعالى: ﴿ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ ﴾ (٣). أو يضاف إلى ما يدل على الكثرة كقوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ (٤). ومن ذلك قول حسان بن ثابت:

لنا الجِفْناتُ الغرُّ يلمَعْنَ بالضُّحَى وأسيافَنا يقطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَما

فإضافة الأسياف إليهم وهي من جموع القلة صرفتها إلى الكثرة. وأما الجفنات فهي تستعمل للقلة والكثرة لأنها جمع سالم. وهي هنا أيضاً للكثرة على رأي من يقول إن الجمع السالم هنا يفيد الكثرة لاقترانها بلام التعريف الجنسية. وبهذا تعلم أن الاعتراض على حسان – في استعماله "الجفنات" بدل " الجفان" – ساقط وأن القصة المروية في هذا الموضوع التي أبطالها "النابغة وحسان والخنساء والأعشى" مفتعلة لأن هؤلاء أجل من أن يقعوا في مثل هذه الحمأة".(٥)

فجمع المؤنث السالم قد يفيد القلة وقد يفيد الكثرة وفق قرائن الكلام. و إفادته الكثرة قد

١- انظر ديوان حسان بن ثابت، ص ٢٠٥، والمصون في الأدب، ١/١، والكامل في اللغة والأدب، ١٤٣/٢.

٢- عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ١/ ٥٩.

٣- سورة النساء، الآية: ١٢٨.

٤- سورة التحريم، الآية: ٦.

٥- جامع الدروس العربية، ٤٠/ ١.

يقصد بها التعظيم. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ (١). فقد جاء في تفسير التحرير والتنوير في تفسير هذه الآية: "وجمع {ظُلُمَات} لقصد بيان شدة الظلمة كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ (٢). وقول النبيّ صلى الله عليه وسلم: « الظلم ظلمات يوم القيامة » (٣) فإن الكثرة لما كانت في العرف سبب القوة أطلقوها على مطلق القوة وإن لم يكن تعدد ولا كثرة مثل لفظ كثير في قوله تعالى: ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ (٤)، ومنه ذكر ضمير الجمع للتعظيم، للواحد، وضمير المتكلم ومعه غيره للتعظيم، وصيغة الجمع من ذلك القبيل، قيل لم يرد في القرآن ذكر الظلمة مفرداً، ولعل لفظ ظلمات أشهر إطلاقاً في فصيح الكلام. بخلاف قوله تعالى: ﴿فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ (٥). فإن التعدد مقصود بقرينة وصفه بثلاث. ولكن بلاغة القرآن وكلام الرسول عليه السلام لا تسمح باستعمال جمع غير مراد به فائدة زائدة على لفظه المفرد، ويتعين في هذه الآية أن جمع (ظلمات) أشير به إلى أحوال من أحوال المنافقين كل حالة منها تصلح لأن تشبه بالظلمة وتلك هي حالة الكفر، وحالة الكذب، وحالة الاستهزاء بالمؤمنين، وما يتبع تلك الأحوال من آثار النفاق.

وهذا التمثيل تمثيل لحال المنافقين في ترددهم بين مظاهر الإيمان وبواطن الكفر فوجه الشبه هو ظهور أمر نافع ثم انعدامُه قبل الانتفاع به، فإن في إظهارهم الإسلام مع المؤمنين صورة من حسن الإيمان وبشاشته لأن للإسلام نوراً وبركة ثم لا يلبثون أن يرجعوا عند خلوهم بشياطينهم فيزول عنهم ذلك ويرجعوا في ظلمة الكفر أشد مما كانوا عليه لأنهم كانوا في كفر فصاروا في كفر وكَذب وما يتفرع عن النفاق من المذام، فإن الذي يستوقد النار في الظلام يتطلب رؤية الأشياء فإذا انطفأت النار صار أشد حيرة منه في أول الأمر لأن ضوء النار قد عوَّد بصره فيظهر أثر الظلمة في المرة الثانية أقوى ويرسخ الكفر فيهم". (٦)

١- سورة البقرة، الآية: ١٧.

٢- سورة الأنعام، الآية: ٦٣.

٣- الحديث في فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ٣٥٦/٧، والسنن الكبرى للبيهقي، ١٥٤/٦.

٤- سورة الفرقان، الآية: ١٤.

٥- سورة الزمر، الآية: ٦

٦- التحرير والتنوير، ١/ ٢١٨.

وقال القطان في تفسير هذه الآية: "لم يذكر النور في القرآن إلا مفرداً، والظلمة إلا جمعاً. وذلك لأن النور واحد حتى لو تعددت مصادره، فيما تتم الظُلمة بعد حجب النور واعتراضه، ومصادر ذلك كثيرة. وكذلك حال النور المعنوي، فهو شيء واحد فيما الظلمات متعددة. فالحق واحد لا يتعدد، والباطل الذي يقابله كثير. والهدى واحد، والضلال المقابل له كثير. وقُدمت الظلمات في الذكر على النور لأنها سابقة عليه في الوجود، فقد وُجدت مادة الكون وكانت سديما كما يقول علماء الفلك، ثم تكوّنت الشموس والأجرام بما حدث فيها من الاشتعال لشدة الحركة. وإلى هذا يشير حديث عبد الله بن عمرو عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: «إنّ الله خلق الخلق في ظلمة، ثم رشّ عليهم من نوره، فمن أصابه نورُه اهتدى، ومن أخطأهُ ضل»(١)". (٢)

بينما جاء في كشاف الزمخشري في هذا الأمر: "فإن قلت: لم أفرد النور؟ قلت: للقصد إلى الجنس، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَا ﴾ (٣). أو لأن الظلمات كثيرة، لأنه ما من جنس من أجناس الأجرام إلاّ وله ظلّ، وظلّه هو الظلمة، بخلاف النور فإنه من جنس واحد وهو النار".(٤)

ومن دلالات جمع المؤنث السالم إفادة العموم، قال تعالى: ﴿ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (٥). فقد جاء في التحرير والتنوير في تفسير هذه الآية: "والخيرات جمع خير على غير قياس كما قالوا سرادقات وحمامات. والمراد عموم الخيرات كلها فإن المبادرة إلى الخير محمودة ومن ذلك المبادرة بالتوبة خشية هادم اللذات وفجأة الفوات.

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ (٦)

١- الحديث في تحفة الأحوذي، ١٦٦/٧، والعواصم من القواصم، ص ١٩.

٢- تفسير القطان، ١/ ٤٥٣.

٣- سورة الحاقة، الآية: ١٧.

٤- الكشاف للزمخشري، ٢/ ٥.

٥- سورة البقرة، الآية: ١٤٨.

٦- سورة النساء، الآية: ٥٨.

والأمانات من صيغ العموم، فلذلك قال جمهور العلماء فيمن ائتمنه رجل على شيء وكان للأمين حقّ عند المؤتَمَن جحدهُ إيّاه: إنّه لا يجوز له أخذ الأمانة عوض حقّه لأنّ ذلك خيانة، ومنعه مالك في المدوّنة، وعن ابن عبد الحكم: أنه يجوز له أن يجحده بمقدار ما عليه له، وهو قول الشافعي. قال الطبري عن ابن عباس، وزيد بن أسلم، وشَهْر بن حَوشب، ومكحول: أنّ المخاطب ولاة الأمور، أمرهم أن يؤدّوا الأمانات إلى أهلها". (١)

ومما أفادت فيه صيغة الجمع المؤنث السالم العموم، جمع (صلوات) في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴾ (٢). جاء في التحرير والتنوير: "وجيء بالصلوات (٣) بصيغة الجمع للإشارة إلى المحافظة على أعدادها كلها تنصيصاً على العموم.

وإنما ذكر هذا مع ما تقدم من قوله لأن ذكر الصلاة هنالك جاء تبعاً للخشوع فأريد ختم صفات مدحهم بصفة محافظتهم على الصلوات ليكون لهذه الخصلة كمالُ الاستقرار في الذهن لأنها آخر ما قرع السمع من هذه الصفات.

وقد حصل بذلك تكرير ذكر الصلاة تنويهاً بها، ورداً للعجز على الصدر تحسيناً للكلام الذي ذكرت فيه تلك الصفات لتزداد النفس قبولاً لسماعها ووعيها فتتأسى بها.

والقول في إعادة الموصول وتقديم المعمول وإضافة الصلوات إلى ضميرهم مثل القول في نظيره ونظائره". (٤)

وجاء في ذات المرجع ما يفيد العموم حول الجموع (الصافات)، و(الزاجرات)، و(التاليات) في قوله تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ ﴾ (٥). قال: "وتأنيث هذه الصفات باعتبار إجرائها على معنى الطائفة والجماعة ليدل على أن المراد أصناف من الملائكة لا آحاد منهم فقال: "و{وَالصَّافَّاتِ} جمع: صافة، وهي الطائفة المصطف بعضها مع بعض. يقال: صف الأمير الجيش، متعديا إذا جعله صفاً واحداً أو صفوفاً، فاصطفوا. ويقال: فصفوا، أي صاروا مصطفين، فهو قاصر. وهذا من المطاوع الذي جاء على وزن فعله مثل قول العجاج:

(قد جبر الدين الإله فجَبَر)

١- التحرير والتنوير، ٢/ ١١٤.

٢- سورة المؤمنون، الآية: ٩.

٣- قرأ الجمهور {على صلواتهم} بصيغة الجمع، وقرأه حمزة والكسائي وخلف {على صلاتهم} بالإفراد.

٤- التحرير والتنوير، ٩/ ٤١٣.

٥- سورة الصافات، الآيات: ١-٣.

ووصف الملائكة بهذا الوصف يجوز أن يكون على حقيقته فتكون الملائكة في العالم العلوي مصطفة صفوفا، وهي صفوف متقدم بعضها على بعض باعتبار مراتب الملائكة في الفضل والقرب. ويجوز أن يكون كناية عن الاستعداد لامتثال ما يلقى إليهم من أمر الله تعالى قال تعالى، حكاية عنهم في هذه السورة: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾(١)" (٢)

بينما يرى أبو مسلم الأصفهاني رأياً آخر في هذه الكلمات إذ يقول: "لا يجوز حمل هذه الألفاظ على الملائكة لأنها مُشْعِرَةٌ بالتأنيث والملائكة مبرأون عن هذه الصفة، وأجيب بوجهين:

الأول: أن الصافّات جمع الجمع فإنه يقال جماعة صافّة، ثم يجمع على صافّات.

والثاني: أنهم مبرأون عن التأنيث المعنوي وأما التأنيث اللفظي فلا وكيف وهم يسمون بالملائكة مع أن علامة التأنيث حاصلة". (٣)

ومما أفاد العموم كذلك الجمع السالم (الصّافنات) في قوله تعالى: ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴾ (٤). فقد جاء في تفسير روح البيان في تفسير هذه الآية: "{الصَّافِنَاتُ} : مرفوع بعرض جمع صافن لا صافنة، لأنه لذكور الخيل وصفة المذكر الذي لا يعقل يجمع هذا الجمع مطرداً كما عرف في النحو". (٥)

ومما أفاد العموم كذلك جمع كلمة قوت على (أقوات) في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ (٦). فقد جاء في التحرير والتنوير: "وجمع الأقوات مضافاً إلى ضمير الأرض يفيد العموم، أي جميع أقواتها وعمومُه باعتبار تعدد المقتاتين، فللدواب أقوات، وللطير أقوات، وللوحوش أقوات، وللزواحف أقوات، وللحشرات أقوات، وجُعل للإنسان جميع تلك الأقوات مما استطاب منها كما أفاده قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (٧)" (٨)

١- سورة الصافات، الآيتان، ١٦٥- ١٦٦.

٢- التحرير والتنوير، ٢٣/ ٧.

٣- اللباب في علوم الكتاب، ١٦/ ٢٧٣.

٤- سورة ص، الآية: ٣١.

٥- تفسير روح البيان، ٨/٢٠.

٦- سورة فصلت، الآية: ١٠.

٧- سورة البقرة، الآية: ٢٩.

٨- التحرير والتنوير، ١٣/ ٨٣

ومنه أيضاً (النازعات) في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥﴾ (١). جاء في التحرير والتنوير: "فالنازعات: وصف مشتق من النزع ومعاني النزع كثيرة كلها ترجع إلى الإخراج والجذب فمنه حقيقة ومنه مجاز.

فيحتمل أن يكون {النَّازِعَاتِ} جماعة من الملائكة وهو الموكلون بقبض الأرواح، فالنزع هو إخراج الروح من الجسد شبه بنزع الدلو من البئر ومنهم قولهم في المحتضر وهو في النزع. وأجريت صفتهم على صيغة التأنيث بتأويل الجماعة أو الطوائف كقوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّا﴾(٢) انتهى كلامه"" (٣)

ومن ذلك أيضاً الجمع المؤنث السالم (النّفّاثات) في قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ﴾ (٤). فقد جاء في التحرير والتنوير: "فالمراد بـ{النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ}: النساء الساحرات، وإنما جيء بصفة المؤنث لأن الغالب عند العرب أن يتعاطى السحر النساء لأن نساءهم لا شغل لهن بعد تهيئة لوازم الطعام والماء والنظافة، فلذلك يكثر انكبابهن على مثل هذه السفاسف من السحر والتكهن ونحو ذلك، فالأوهام الباطلة تتفشى بينهن، وكان العرب يزعمون أن الغول ساحرة من الجن. وورد في خبر هجرة الحبشة أن عمارة بن الوليد بن المغيرة اتهم بزوجة النجاشي وأن النجاشي دعا له السواحر فنفخن في إحليله فصار مسلوب العقل هائما على وجهه ولحق بالوحوش". (٥)

ومن دلالته على القلة قصد التهوين، قال تعالى: ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (٦). فقد جاء في التحرير والتنوير في تفسير هذه الآية: "والمراد بالأيام من قوله: {أياماً معدودات} شهر رمضان عند جمهور المفسرين، وإنما عبر عن رمضان بأيام وهي جمع قلة ووصف بمعدودات وهي جمع قلة أيضاً؛ تهوينا لأمره على

١- سورة النازعات، الآيات: ١- ٥.

٢- سورة الحجرات، الآية: ١٤.

٣- التحرير والتنوير، ٣٠/ ٥٥.

٤- سورة الفلق، الآية: ٤.

٥- التحرير والتنوير، ٣٠/ ٥٥٠.

٦- سورة البقرة، الآية:١٨٤.

المكلفين، والمعدودات كناية عن القلة؛ لأن الشيء القليل يعد عدّاً؛ ولذلك يقولون: الكثير لا يعد، ولأجل هذا اختير في وصف الجمع مجيئه في التأنيث على طريقة الجمع بألف وتاء وإن كان مجيئه على طريقة الجمع المكسر الذي فيه هاء تأنيث أكثر.

قال أبو حيان عند قوله تعالى الآتي بعده: {من أيام أخر} صفة الجمع الذي لا يعقل تارة تعامل معاملة الواحدة المؤنثة، نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ (١). وتارة تعامل معاملة جمع المؤنث نحو: {أياماً معدودات} فمعدودات جمع لمعدودة، وأنت لا تقول يوم معدودة وكلا الاستعمالين فصيح، ويظهر أنه ترك فيه تحقيقاً وذلك أن الوجه في الوصف الجاري على جمع مذكر إذا أنثوه أن يكون مؤنثاً مفرداً، لأن الجمع قد أول بالجماعة والجماعة كلمة مفردة وهذا هو الغالب، غير أنهم إذا أرادوا التنبيه على كثرة ذلك الجمع أجروا وصفه على صيغة جمع المؤنث ليكون في معنى الجماعات وأن الجمع ينحل إلى جماعات كثيرة، ولذلك فأنا أرى أن معدودات أكثر من معدودة ولأجل هذا قال تعالى: {وقالوا لن تمسسنا النار إلا أياماً معدودة} لأنهم يقللونها غروراً أو تغريراً، وقال هنا {معدودات} لأنها ثلاثون يوماً، وقال في الآية الآتية: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ﴾ (٢). وهذا مثل قوله في جمع جمل {جِمَالات} على أحد التفسيرين وهو أكثر من جِمَال، وعن المازني أنّ الجمع لما لا يعقل يجيء الكثير منه بصيغة الواحدة المؤنثة تقول: الجذوع انكسرت والقليل منه يجيء بصيغة الجمع تقول: الأجذاع انكسرن وهو غير ظاهر". (٣)

وقد يراد بجمع المؤنث السالم مع دلالته على القلة إفادة قلة العدد مع كثرة الكلفة، نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (٤)

فقد جاء في تفسير التحرير والتنوير في هذه الآية: "وهذه عادة القرآن في إجمال ما ليس بمحل الحاجة، ولعل جمع الكلمات جمعَ السلامة يؤذن بأن المراد بها أصول الحنيفية وهي قليلة

١- سورة البقرة، الآية: ٨٠.

٢- سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

٣- التحرير والتنوير، ٢/٢١٦.

٤- سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

العدد كثيرة الكلفة، فلعل منها الأمر بذبح ولده، وأمره بالاختتان، وبالمهاجرة بِهاجَر إلى شقة بعيدة وأعظم ذلك أَمْرُه بذبح ولده إسماعيل بوحي من الله إليه في الرؤيا، وقد سمي ذلك بلاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴾ (١). وقوله: {فأتمّهُنّ} جيء فيه بالفاء للدلالة على الفور في الامتثال وذلك من شدة العزم. والإتمام في الأصل الإتيان بنهاية الفعل أو إكمال آخر أجزاء المصنوع". (٢)

ونقول مثلما قلنا في الفصل الأول إنّ جمع السلامة بنوعيه فيه دلالة المضارعة مع ثبوت وتأكد الصفة باعتباره اسماً لا فعلاً، فهو يجمع بين الاسمية والفعلية، ولكنه يزيد على الفعل بدلالته على ثبوت الصفة حتى في المستقبل أحياناً. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣). فقد جاء في التحرير والتنوير في تفسير هذه الآية: "وإطلاق المحصنات على النساء اللاتي يتزوجهنّ الرجال إطلاق مجازي بعلاقة المآل، أي اللائي يَصِرن محصنات بذلك النكاح إن كنّ أبكاراً، كقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ (٤). أي عنباً آيلاً إلى خمر.

وقد وُصف المحصنات هنا بالمؤمنات، جريا على الغالب، ومُعظم علماء الإسلام على أنّ هذا الوصف خرج للغالب ولعلّ الذي حملهم على ذلك أنّ استطاعة نكاح الحرائر الكتابيات طول، إذْ لم تكن إباحة نكاحهنّ مشروطة بالعجز عن الحرائر المسلمات، وكان نكاح الإماء المسلمات مشروطاً بالعجز عن الحرائر المسلمات، فحصل من ذلك أن يكون مشروطاً بالعجز عن الكتابيات أيضاً بقاعدة قياس المساواة. وعلّة ذلك أنّ نكاح الأمة يُعرّض الأولاد للرقّ،

١- سورة الصافات، الآية: ١٠٦.

٢- التحرير والتنوير، ٢/ ٤٢.

٣- سورة النساء، الآية: ٢٥.

٤- سورة يوسف، الآية: ٣٦.

بخلاف نكاح الكتابية، فتعطيل مفهوم قوله: {المؤمنات} مع {المحصنات} حصل بأدلّة أخرى، فلذلك ألغَوْا الوصف هنا، وأعملوه في قوله: {من فتياتكم المؤمنات}. وشذّ بعض الشافعية، فاعتبروا رخصة نكاح الأمة المسلمة مشروطة بالعجز عن الحرّة المسلمة، ولو مع القدرة على نكاح الكتابية، وكأنَّ فائدة ذكر وصف المؤمنات هنا أنّ الشارع لم يكترث عند التشريع بذكر غير الغالب المعتبر عنده، فصار المؤمنات هنا كاللَّقب في نحو (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين). والفتيات جمع فتاة، وهي في الأصل الشابّة كالفتى، والمراد بها هنا الأمة أطلق عليها الفتاة كما أطلق عليها الجَارية، وعلى العبد الغلام، وهو مجاز بعلاقة اللزوم، لأنّ العبد والأمة يعاملان معاملة الصغير في الخدمة، وقلّة المبالاة. ووصف المؤمنات عقب الفتيات مقصود للتقييد عند كافّة السلف، وجمهور أئمة الفقه، لأنّ الأصل أن يكون له مفهوم، ولا دليل يدلّ على تعطيله، فلا يجوز عندهم نكاح أمة كتابية". (١)

ومن ذلك الجمع (الصالحات) في قوله تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴾ (٢). فقد جاء في التحرير والتنوير: "{فالصالحات} للفصيحة، أي إذا كان الرجال قوّامين على النساء فمن المهمّ تفصيل أحوال الأزواج منهنّ ومعاشرتهنّ أزواجهنّ وهو المقصود، فوصف الله الصالحات منهن وصفا يفيد رضاه تعالى، فهو في معنى التشريع، أي ليَكُنَّ صالحات. والقانتات: المطيعات لله. والقنوت: عبادة الله، وقدّمه هنا وإن لم يكن من سياق الكلام للدلالة على تلازم خوفهنّ الله وحفظ حقّ أزواجهنّ، ولذلك قال: {حافظات للغيب}، أي حافظات أزواجهنّ عند غيبتهم". (٣)

وقد يأتي استخدام صيغة جمع المؤنث السالم لدلالة خاصة أو لمعنى محدد، قال تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ (٤). جاء في التحرير والتنوير: "وجمعت {السماوات} لأنّها عوالم كثيرة، إذ كل كوكب منها عالم مستقلّ عن غيره، ومنها الكواكب السبعة المشهورة المعبّر عنها في القرآن بالسماوات السبع فيما نرى. وأفرد الأرض لأنّها عالم واحد، ولذلك لم يجيء لفظ الأرض في القرآن جمعاً". (٥)

١- التحرير والتنوير، ٣/ ٤٦١.
٢- سورة النساء، الآية: ٢٤.
٣- التحرير والتنوير، ٤/١١٢.
٤- سورة الأنعام، الآية: ١.
٥- التحرير والتنوير، ٦/١١.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ (١)، فقد جاء في تفسير أضواء البيان: "المراد بالظلمات الضلالة، وبالنور الهدى، وهذه الآية يفهم منها أن طرق الضلال متعددة؛ لجمعه الظلمات وأن طريق الحق واحدة؛ لإفراده النور، وهذا المعنى المشار إليه هنا بينه تعالى في مواضع أخر كقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ (٢). قال ابن كثير في تفسير هذه الآية، ما نصه: ولهذا وحد تعالى لفظ النور وجمع الظلمات؛ لأن الحق واحد والكفر أجناس كثيرة وكلها باطلة كما قال: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ} ، وقال تعالى: {وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ}، إلى غير ذلك من الآيات التي في لفظها إشعار بتفرد الحق وانتشار الباطل وتعدده بلفظه". (٣)

ويكثر استخدام صيغة جمع المؤنث السالم لدلالة التعدد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٩ ﴾ (٤). فقد جاء في تفسير التحرير والتنوير في تفسير هذه الآية: "و{قُرُبات} بضم القاف وضم الراء: جمع قربة بسكون الراء وهي تطلق بمعنى المصدر، أي القرب وهو المراد هنا، أي يتخذون ما ينفقون تقرباً عند الله. وجَمْع قربات باعتبار تعدد الإنفاق، فكل إنفاق هو قربة عند الله لأنه يوجب زيادة القرب. قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ (٥). ف {قربات} هنا مجاز مستعمل في رضى الله ورفع الدرجات في الجنة، فلذلك وصفت ب {عند} الدالة على مكان الدنو. و (عند) مجاز في التشريف والعناية، فإن الجنة تشبّه بدار الكرامة عند الله. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ٥٥ ﴾(٦). و {وصلوات الرسول} دعواته. وأصل الصلاة الدعاء. وجمعت هنا لأن كل إنفاق يقدمونه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو لهم بسببه دعوة، فبتكرر الإنفاق تتكرر الصلاة". (٧)

١- سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

٢- سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

٣- أضواء البيان، ١/ ١٥٨.

٤- سورة التوبة، الآية: ٩٩.

٥- سورة الإسراء، الآية: ٥٧.

٦- سورة القمر، الآيتان:٥٤، ٥٥.

٧- التحرير والتنوير، ٦/ ٤٤٦.

ومما أفاد فيه جمع المؤنث السالم التعدد كلمة (بركات) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ (١). فقد جاء في التحرير والتنوير: "والبركات: جمع بركة، والمقصود من الجمع تعددها، باعتبار تعدد أصناف الأشياء المباركة". (٢).

وذكر ابن عادل أيضاً في جمع (بركات) في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ (٣). قوله: "فإن قيل: ما الحكمةُ في إفرادِ الرَّحمةِ وجمع البركات، وكذلك إفراد السَّلام في التشهد وجمع البركات؟

فالجواب: قد تقدَّم في سورة البقرة عند قوله: (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ).

وقال ابن القيِّم – هنا – إنَّ السلام إمَّا مصدرٌ محضٌ، فهو شيءٌ واحدٌ، فلا معنى لجَمْعِهِ، وإمَّا اسمٌ من أسماء الله – تعالى – فيستحيل أيضاً جمعه، وعلى التقديرين لا سبيل لجمعه.

وأمَّا الرَّحمةُ فمصدرٌ كما تقدَّم، وأمَّا البركةُ: فإنها لمَّا كانت تتجدَّدُ شيئاً بعد شيءٍ كان لفظ الجمع أولى بها؛ لدلالتها على المعنى المقصود بها، ولهذا جاءت في القرآن كهذه الآية، وكذلك السَّلام في التشهُّدِ، وهو قوله: السَّلام عليكم أيُّها النبيُّ ورحمة الله وبركاته".(٤)

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ (٥). فقد جاء في تفسير اللباب: "عدل من "سَنَابِلَ" إلى "سُنْبُلاَتٍ"؛ لأجل مجاورته "سَبْعَ بَقَرات"، ولذلك إذا لم توجد المجاورة، ميِّز بجمع التكسير دون جمع السلامة، وإن كان موجوداً نحو: "سَبْعَ طَرَائِق، وسَبْعِ لَيَالٍ" مع جواز: طريقات، وليلات. والحاصل أنَّ الاسم إذا كان له جمعان: جمع تصحيح، وجمع تكسيرٍ، فالتكسير إمَّا للقلة، أو للكثرة، فإن كان للكثرة: فإمَّا من باب مفاعل، أو من غيره، فإن كان من باب مفاعل، أُوثر على التصحيح، تقول: ثلاثة أحَامِدَ، وثَلاَثُ زَيَانِبَ، ويجوز قليلاً: أَحْمَدِينَ وَزَيْنَبَات. وإن كان من غير باب مفاعل: فإمَّا أن يكثر فيه من غير التصحيح، وغير جمع الكثرة، أو يقل.

١- سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

٢- التحرير والتنوير، ٥/ ٤٦٧.

٣- سورة هود، الآية: ٧٣.

٤- اللباب في علوم الكتاب، ١٠/ ٥٢٨.

٥-سورة يوسف، الآية: ٤٣.

فإن كان الأول: فلا يجوز التصحيح، ولا جمع الكثرة إلا قليلاً؛ نحو: ثَلاثَةُ زُيُودٍ، وَثَلاثُ هُنُودٍ، وثَلاَثَةُ أَفْلُسٍ، ولا يجوز: ثلاثةُ زيْدِينَ، ولا ثَلاَثُ هِنْدَات، ولا ثَلاَثَةُ فُلُوسٍ، إلاَّ قليلاً. وإن كان الثاني: أُوثر التصحيح وجمع الكثرة، نحو: ثلاثُ سُعَادَات، وثلاثة شُسُوع، وعلى قلّة يجوز: ثَلاثُ سَعَائد، وثلاثةُ أشْسُع. فإذا تقرَّر هذا، فقوله: "سَبْعَ سَنَابِلَ" جاء على المختار، وأمَّا قوله "سَبْعِ سُنْبُلاَتٍ"؛ فلأجل المجاورة كما تقدَّم.

وقيل: لمَّا كان الكلام – ها هنا – في تضعيف الأجر، ناسبها جمع الكثرة، وفي سورة يوسف ذكرت في سياق الكلام في سني الجدب؛ فناسبها التقليل؛ فجمعت جمع القلة". (١)

وجاء في تفسير (البحر المحيط) في هذه الآية: "فإن قلت: هلا قيل: {سَبْعَ سَنَابِلَ} على حقه من التمييز لجمع القله، كما قال: {وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ}؟

قلت: جعل هذا من باب الاتساع، ووقوع أحد الجمعين موقع الآخر على سبيل المجاز، إذ كان حقه أن يميز بأقل الجمع، لأن السبع من أقل العدد، وهذا الذي قاله الزمخشري ليس على إطلاقه، فنقول جمع السلامة بالواو والنون، أو بالألف والتاء، لا يميز به من ثلاثة إلى عشرة إلّا إذا لم يكن لذلك المفرد جمع غير هذا الجمع، أو جاور ما أهمل فيه هذا الجمع، وإن كان المجاور لم يهمل فيه هذا الجمع.

فمثال الأول: قوله تعالى: {سَبْعَ سَمَاوَاتٍ} فلم يجمع سماء هذه المظلة سوى هذا الجمع وأما قوله: فوق سبع سمائيا، فنصوا على شذوذه، وقوله تعالى: {سَبْعَ بَقَرَاتٍ} {عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ} وخمس صلوات لأن البقرة والآية والصلاة ليس لها سوى هذا الجمع، ولم يجمع على غيره.

ومثال الثاني: قوله تعالى: {وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ} لما عطف على: {سَبْعَ بَقَرَاتٍ} وجاوره حسن فيه جمعه بالألف والتاء، ولو كان لم يعطف ولم يجاور لكان: {سَبْعَ سَنَابِلَ}، كما في هذه الآية، ولذلك إذا عرى عن المجاور جاء على مفاعل في الأكثر، وأَلاوْلى، وإن كان يجمع بالألف والتاء، مثال ذلك قوله تعالى: {سَبْعَ طَرَائقَ} و{سَبْعَ لَيَالٍ} ولم يقل: طريقات، ولا: ليلات، وإن كان جائزاً في جمع طريقة وليلة، وقوله تعالى: {عَشَرَةِ مَسَاكِينَ}، وإن كان جائزاً في جمعه أن يكون جمع سلامة. فتقول: مسكينون ومسكينين، وقد آثروا ما لا يماثل مفاعل من جموع الكثرة على جمع التصحيح، وإن لم يكن هناك مجاور يقصد مشاكلته لقوله تعالى: {ثَمَانِيَ حِجَجٍ} وإن كان جائزاً فيه أن يجمع بالألف والتاء، لأن مفرده حجة، فتقول: حجّات، فعلى هذا الذي تقرر

١- اللباب في علوم الكتاب، ١/ ٨٨٢.

إذا كان للاسم جمعان: جمع تصحيح، وجمع تكسير، فجمع التكسير إما أن يكون للكثرة أو للقلة، فإن كان للكثرة، فإما أن يكون من باب مفاعل، أو من غير باب مفاعل، إن كان من باب مفاعل أوثر على جمع التصحيح، فتقول : جاءني ثلاثة أحامد، وثلاث زيانب ، ويجوز التصحيح على قلة، فتقول: جاءني ثلاثة أحامد وثلاث زينبات، وإن لم يكن من باب مفاعل. فإما أن يكثر فيه غير التصحيح، وغير جمع الكثرة، فلا يجوز التصحيح، ولا جمع الكثرة إلاَّ قليلاً، مثال، ذلك: جاءني ثلاثة زيود، وثلاث هنود، وعندي ثلاثة أفلس، ولا يجوز: ثلاثة زيدين، ولا: ثلاث هندات، ولا: ثلاثة فلوس، إلاَّ قليلاً.

وإن قل فيه غير التصحيح، وغير جمع الكثرة أوثر التصحيح وجمع الكسرة، مثال ذلك: ثلاث سعادات، وثلاثة شسوع، ويجوز على قلة: ثلاث سعائد ، وثلاثة أشسع.

وتحصل من هذا الذي قررناه أن قوله {سَبْعَ سَنَابِلَ} جاء على ما تقرر في العربية من كونه جمعاً متناهياً، وأن قوله: {سَبْعَ سَنَبلاتٍ} إنما جاز لأجل مشاكلة: {سَبْعَ بَقَرَاتٍ} ومجاورته، فليس استعذار الزمخشري بصحيح". (١)

ويضيف أبو جعفر الغرناطي حول هذين الجمعين: (سنابل، وسنبلات): "في الآية السابعة والثلاثون: قوله تعالى: "مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة" وقال تعالى فى سورة يوسف: "وقال الملك إنى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر"، فالمعدود واحد والعدد واحد وقد اختلف المفسر للمعدود فورد فى سورة البقرة "سنابل"، وبنيته فعائل من أبنية جمع الكثرة وفى سورة يوسف "سنبلات"، وباب ما يجمع بالألف والتاء أن يكون للقليل ما لم يقتصر عليه أو يعرض عارضٌ.

فللسائل أن يسأل عن الفرق الموجب لتخصيص كل من الموضعين بما ورد فيه؟

والجواب: أن آية البقرة مبنية على ما أعد الله للمنفق فى سبيله وما يضاعف له من أجر إنفاقه وان ذلك ينتهى إلى سبعمائة ضعف وقوله "والله يضاعف لمن يشاء" قد يفهم الزيادة على ما نص عليه من العدد كما أشارت إليه آيات وأحاديث فبناء هذه الآية على التكثير فناسب ذلك ورود المفسر على ما هو من أبنية الجموع للتكثير لحظا للغاية المقصودة ولم يكن ما وضعه للقليل فى الغالب ليناسب ما تلحظ فيه الغية من التكثير أما آية يوسف فإنما بناؤها على إخبار

١- تفسير البحر المحيط، ٢/ ٣٠١.

الملك عن رؤياه سبع سنبلات فلا طريق هنا للحظ كثرة ولا قلة لأنه إخبار برؤيا فوجهه الاتيان من أبنية الجموع بما يناسب المرئى وهو قليل لأن ما دون العشرة قليل فلحظ فى آية البقرة ما بعده مما يتضاعف إليه هذا العدد وليس فى آية يوسف ما يلحظ فافترق القصدان وجاء كل على ما يجب ويناسب والله أعلم". (١)

وهذا يؤكد ما ذهب إليه كثير من العلماء من أنّ جمع المؤنث السالم يفيد القلة، وبخاصة عند مقارنته بصيغ جموع الكثرة.

ومن المعاني الخاصة لجمع المؤنث السالم ما جاء في التحرير والتنوير في تفسير الاية: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٢)

"وَ {السَّمَاوَاتُ} جمع سماء والسماء إذا أطلقت مفردة فالمراد بها الجو المرتفع فوقنا الذي يبدو كأنه قبة زرقاء وهو الفضاء العظيم الذي تسبح فيه الكواكب وذلك المراد في نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾ (٤).

وإذا جمعت فالمراد بها أجرام عظيمة ذات نظام خاص مثل الأرض وهي السيارات العظيمة المعروفة والتي عرفت من بعد والتي ستعرف: عطارد، والزهرة، والمريخ، والشمس، والمشتري، وزحل، وأرانوس، ونبتون. ولعلها هي السماوات السبع والعرش العظيم، وهذا السر في جمع "السماوات" هنا وإفراد "الأرض" لأن الأرض عالم واحد وأما جمعها في بعض الآيات فهو على معنى طبقاتها أو أقسام سطحها". (٥)

وقد ينوب جمع القلة عن الكثرة في كثير من المواضع، فالجموع في اللغة العربية ينوب كل منها عن الآخر، فقد ينوب جمع القلة عن الكثرة إذا لم يكن للفظ صيغة من صيغ جموع

١- ملاك التاويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، ١/٧٠.

٢- سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

٣- سورة الملك، الآية: ٥.

٤- سورة الصافات، الآية: ٦.

٥- التحرير والتنوير، ٢/ ٧٦.

الكثرة، وبما أن جمع المؤنث السالم قد اتفق الكثير من العلماء على أنه من صيغ القلة فقد ينوب عن الكثرة، وقد راى بعض العلماء غير ذلك كما أسلفنا إذ يرون أنّ الجمع السالم متى لحقته (ال) التعريف انصرف للكثرة، ومن المواضع التي ناب فيها جمع المؤنث السالم عن جمع الكثرة استخدام لفظة (الثمرات) بدلاً عن الثمار، وجنات بدلاً عن جنان، في قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (١)

وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴾ (٢)

فقد ذكر ابن عادل في اللباب: "وجعل الزمخشري "من الثمرات" واقعاً موقع الثمر، أو الثمار، يعني مما ناب فيه جمع قلّة عن جمع الكَثْرة نحو: (جَنَّاتٍ) و(ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ)، ولا حاجة تدعو إلى هذا؛ لأن جمع السَّلامة المحلَّى ب "أل" الَّتي للعموم يقع للكثرة، فلا فَرْقَ إذن بين الثَّمَرَات والثِّمَار". (٣)

ومن ذلك كلمة (البيّنات) في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ (٤)

فقد ذكر ابن عادل أيضاً في اللباب في تفسير هذه الآية: "السُّؤال الثالث: تخصيص عيسى – عليه الصَّلاة والسَّلام – بإيتاء البيِّنات يوهم أنه مخصوص بالبيِّنات دون غيره، وليس الأمر كذلك، فإن موسى – عليه الصَّلاة والسَّلام – أوتي أقوى منها، أو مساوٍ. والجواب: أنَّ المقصود من هذا الكلام: التَّنبيه على قبحِ أفعال اليهود، حيث شاهدوا هذه البيِّنات الواضحة الباهرة، وأعرضوا عنها.

السُّؤال الرابع: "البيِّنات" جمع قلَّة، وذلك لا يليق بهذا المقام.

والجواب: لا نسلِّم أنه جمع قلَّة، لأنَّ جمع السّلامة إنما يكون جمع قلَّة إذا لم يعرَّف بالألف

١- سورة البقرة، الآية: ٢٥.

٢- سورة إبراهيم، الآية: ٣٢.

٣- اللباب في علوم الكتاب، ١/ ٤٢١.

٤- سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

واللام، فأما إذا عرف بهما؛ فإنه يصير للاستغراق، ولا يدلُّ على القلَّة". (١)

وقد ترد الكلمة في القرآن الكريم بصيغتين مختلفتين، إحداهما جمع سلامة والأخرى جمع تكسير، وقد تكون الصيغتان من صيغ جموع التكسير لكن إحداهما للقلة والأخرى للكثرة مثلاً، وقد أشرنا إلى ذلك في حديثنا عن (سنابل- وسنبلات). ومن ذلك أيضاً جمع (خطيئة) فقد جمعت في القرآن على (خطايا) في قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (٢). و(خطيئات) في قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (٣). وقد فصل القول فيها الرازي فقال: "السؤال الرابع: لم قال في البقرة: {نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ} وفي الأعراف: {نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ}، الجواب: الخطايا جمع الكثرة والخطيئات جمع السلامة فهو للقلة، وفي سورة البقرة لما أضاف ذلك القول إلى نفسه فقال: {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَاذِهِ الْقَرْيَةَ} لا جرم قرن به ما يليق جوده وكرمه وهو غفران الذنوب الكثيرة، فذكر بلفظ الجمع الدال على الكثرة، وفي الأعراف لما لم يضف ذلك إلى نفسه بل قال: {وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ} لا جرم ذكر ذلك بجمع القلة، فالحاصل أنه لما ذكر الفاعل ذكر ما يليق بكرمه من غفران الخطايا الكثيرة وفي الأعراف لما لم يسم الفاعل لم يذكر اللفظ الدال على الكثرة.

السؤال الخامس: لم ذكر قوله: {رَغَدًا} في البقرة وحذفه في الأعراف؟

الجواب عن هذا السؤال كالجواب في الخطايا والخطيئات لأنه لما أسند الفعل إلى نفسه لا جرم ذكر معه الإنعام الأعظم وهو أن يأكلوا رغداً، وفي الأعراف لما لم يسند الفعل إلى نفسه لم يذكر الإنعام الأعظم فيه".(٤)

وقد أضاف النيسابوري في ذلك قوله: "ولم قال في «البقرة» {خطاياكم} وفي «الأعراف» {خطيئاتكم}؟ لأن الخطايا جمع الكثرة، والخطيئات جمع السلامة للقلة، وقد أضاف القول ههنا إلى نفسه فكان اللائق بكرمه غفران الذنوب الكثيرة، وهناك لم يذكر الفاعل فلم يكن ذكر اللفظ الدال على الكثرة واجباً". (٥)

١- اللباب في علوم الكتاب، ٤/ ٣٠٦.

٢- سورة البقرة، الآية: ٨٥.

٣- سورة الأعراف، الآية: ١٦١.

٤- تفسير الرازي، ١/ ٤٤٨.

٥- تفسير النيسابوري، ١/ ٢٣٠.

ومن دلالات جمع المؤنث السالم التعظيم، منه قوله تعالى: ﴿ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (١). فقد جاء في التحرير والتنوير في تفسير هذه الآية: "وحقيقة الدرجة أنّها جزء من مكان يكون أعلى من جزء أخرَ متّصل به، بحيث تتخطّى القدَم إليه بارتقاء من المكان الذي كانت عليه بصعود، وذلك مثل درجة العُلَيّة ودرجة السلَّم.

والدرجة هنا مستعارة للعلوّ المعنوي كما في قوله تعالى: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٢). والعلوّ المراد هنا علوّ الفضل ووفرة الأجر.

وجيء ب(درجة) بصيغة الإفراد، وليس إفرادُها للوحدة، لأنّ درجة هنا جنس معنوي لا أفراد له، ولذلك أعيد التعبير عنها في الجملة التي جاءت بعدها تأكيداً لها بصيغة الجمع بقوله: {درَجاتٍ منه} لأنّ الجمع أقوى من المفرد.

وتنوين {درجة} للتعظيم. وهو يساوي مفاد الجمع في قوله الآتي {درجات منه}. وجُمع {درجات} لإفادة تعظيم الدرجة لأنّ الجمع لما فيه من معنى الكثرة تستعار صيغته لمعنى القوّة".(٣)

ويضيف ابن عادل في تفسير هذه الآية أيضاً: "فأن قيل: إنه – تعالى – لِمَ ذَكَرَ أولاً "دَرَجَة" وهَهُنَا "دَرَجَاتٍ"؟ فالجواب من وُجوه:

أحدها: ليس المُراد بالدَّرجة الوَاحِدَةَ بالعَدَدِ، بل الوَاحِدِ بالجِنْسِ، فيدْخُل تحته الكَثير بالنَّوْعِ.

وثانيها: أن المُجَاهِد أفضَل [بالضَّرورُة] من القَاعِد المَضْرُور [بدرجَةٍ] ومن القَاعِدِ الصَّحيح [بدَرَجَات] وهذا على القَوْل بعدم المُسَاواةِ بينَ المُجَاهِدين والأضِرَاءِ.

وثالثها: فضَّلَ المُجَاهِدين في الدُّنَيا بدرجَة واحدة، وهي الغَنِيمَة، وفِي الآخِرة بدرجَات كَثيرة في الجَنَّة.

ورابعها: أن المُراد ب"المُجَاهِدين" في الأولى: المُجَاهِدِين بأمْوَالِهِم وأنفُسِهِم، وههنا المراد ب"المُجَاهِدين": من كان مُجَاهِدَاً على الإطْلاق في كُلِّ الأمُور، وأعنِي: في عمل الظَّاهِرِ؛ كالجهاد بالنفس والمَالِ والحج، وعلى العباداتِ كُلِّها، وفي أعْمَال القلُوب وهو أشرف أنْوَاعِ الجِهَاد؛ لأنه صَرْف القَلْبِ من الالْتِفَات إلى غَيْر الله إلى الاستغَراقِ في طَاعَةِ الله.

١- سورة النساء، الآية: ٩٦.

٢- سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

٣- التحرير والتنوير، ٨٦/٤.

ذكر المفسِّرون معنى "الدرجات":

قال ابن جبير في هذه الآيةِ هي سَبْعُونَ دَرَجَة، ما بَيْن كل دَرَجَتَيْن عَدْو الفَرَسِ الجَوَادِ المضمر سَبْعين خريفاً. وقيل: الدَّرَجَاتِ هي الإسْلام والهِجْرَةِ والجِهَادِ والشَّهَادَة، فاز بها المُجَاهِدون". (١)

ونأخذ أيضاً ما قاله صاحب البحر المحيط في ذات الأمر إذ يقول: "والظاهر أنّ قوله: درجات، لا يراد به عدد مخصوص، بل ذلك على حسب اختلاف المجاهدين. وقال ابن زيد: هي السبع المذكورة في براءة في قوله: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ} الآيات. وقال ابن عطية: درجات الجهاد لو حصرت لكانت أكثر من هذه. وقال ابن مجيريز: الدرجات في الجنة سبعون درجة، كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة، وإلى نحوه ذهب: مقاتل، ورجحه الطبري. وفي الحديث الصحيح: "أن في الجنة مائة درجة أعدها الله تعالى للمجاهدين في سبيله بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض"وذهب بعض العلماء إلى أنّ قوله: وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجات منه، هو على سبيل التوكيد، لا أنّ مدلول درجة مخالف لمدلول درجات في المعنى، بل هما سواء في المعنى". (٢)

ومن دلالات جمع المؤنث السالم إفادة المبالغة، نجد ذلك في لفظة (مُعقَّبات) جمع (مُعقَّبة) في قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾(٣)

فقد جاء في التحرير والتنوير في تفسير هذه الآية: "و(المُعَقَّبات) جمع معَقّبة بفتح العين وتشديد القاف مكسورة اسم فاعل عَقّبه إذا تبعه. وصيغة التفعيل فيه للمبالغة في العقب. يقال: عقبه إذا اتبعه واشتقاقه من العقب يقال فكسر وهو اسم لمؤخّر الرجل فهو فَعِل مشتق من الاسم الجامد لأنّ الّذي يتبع غيره كأنّه يطأ على عقبه، والمراد: ملائكة معقّبات. والواحد معقب. وإنما جمع جمع مؤنث بتأويل الجماعات". (٤)

وقد أضاف ابن عادل في شأن (مُعَقَّبات) أيضاً قوله: "ومُعقِّباتٌ جمع معقب بزنة مفعل، من عقب الرجل إذا جاء على عقب الآخر؛ لأن بعضهم يعقبُ بعضاً، أو لأنَّهم يعقبون ما يتكلَّم به. وقال الزمخشري: "والأصل: معتقبات، فأدغمت التاء في القاف، كقوله: ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ ﴾(٥). فلا يتعيَّن أن يكون أصله "المُتعذِّرُون" وقد تقدَّم توجيهه، وأنه لا يتعيَّن ذلك

١- اللباب في علوم الكتاب، ٦/ ٥٨٦.

٢- تفسير البحر المحيط، ٣/ ٢٧٠.

٣- سورة الرعد، الآية: ١١.

٤- التحرير والتنوير، ٧/ ٤٢٢.

٥- سورة التوبة، الآية: ٩٠.

فيه. وأما قوله: ويجوز "مُعِقِّبات" بكسر العين، فهذا لا يجوز؛ لأنه بناه على أن أصله: معتقبات، فأدغمت التاء في القاف، وقد بيَّنا أن ذلك وهم فاحشٌ وفي "مُعَقِّباتٌ" احتمالان:

أحدهما: أن يكون معقبة بمعنى معقب، والتَّاء للمبالغة، كعلاَّمة، ونسَّابة. أي: ملك معقب، ثم جمع هذا كعلامات، ونسَّابات.

والثاني: أن يكون معقبة صفة لجماعة، ثم جمع هذا الوصف، وذكر ابنُ جريرٍ: أن معقبة جمع معقب، وشبه ذلك ب "رَجُلٍ، ورجالٍ، ورِجَالاتٍ".

قال أبو حيَّان: وليس كما ذكر، إنما ذلك ك "جَمَلٍ، وجِمَالٍ، وجمالاتٍ" ومعقب، ومعقبات إنَّما هو كضارب، وضاربات.

ويمكن أن يجاب عنه: بأنه يمكن أن يريد بذلك أنَّه أطلق من حيث الاستعمال على جمع معقب، وإن كان أصله أن يطلق على مؤنث "معقب"، فصار مثل: "الواردة" للجماعة الذين يريدون، وإن كان أصله للمؤنثة من جهة أنَّ جموع التَّكسير في العقلاء تعامل معاملة المؤنثة في الإخبار، وعود الضَّمير، ومنه قولهم: الرِّجحالُ وأعضادها، العلماء ذاهبةٌ إلى كذا، وتشبيهه ذلك برجل، ورجالات من حيث المعنى لا الصناعة". وقرأ أبي، وإبراهيم، وعبيد الله بن زيادٍ: له معاقيب.

قال الزمخشريُّ: "جمع معقب، أو معقبة، والياء عوضٌ من حذف إحدى القافين في التكسير".

ويوضح هذا ما قاله ابنُ جنِّي؛ فإنه قال: "مَعَاقِيب" تكسير مَعْقِب بسكون العين، وكسر القاف، ك "مُطْعِم، مطاعم" و "مَقْدِم، ومَقَادِيم"، فكأن "مُعْقباً" جمع على معاقبة، ثم جعلت الياء في "معاقيب" عوضاً من الهاء المحذوفة في مُعَاقبةٍ". (١)

ويرى ابن عادل أنّ جمع المؤنث السالم قد يحل محل المثنى مثلما مر علينا آنفاً أنّ الجموع قد يقوم بعضها مقام بعض، ومما وضع فيه جمع السلامة المؤنث موضع التثنية لفظة (سَوْءَات) في قوله تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ (٢). مثلما قد ينوب المثنى عن الجمع كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ (٣). يقول في اللباب: "فمن قرأ بالجمع فيحتمل وجهين:

١- اللباب في علوم الكتاب، ١١/ ٢٦٦.

٢- سورة الأعراف، الآية: ٢٢.

٣- سورة التحريم، الآية: ٤.

أظهرهما: أنَّهُ من باب وَضْعِ الجمع موضع التَّثْنِيَةِ كراهية اجتماع تثنيتين، والجمع أخُو التَّثْنِيَةِ فلذلك ناب منابها كقوله: (صَغَتْ قُلُوبُكُما).

ويحتمل أنْ يكون الجَمْعُ هنا على حقيقته؛ لأنَّ لكل واحد منهما قُبُلاً، ودُبُراً، والسوءات كنايةٌ عن ذلك فهي أربع؛ فلذلك جِيءَ بالجَمْعِ، ويؤيِّدُ الأوَّل قراءةُ الإفراد فإنَّه لا تكون [كذلك] إلّا والموضع موضع تثنية نحو: "مَسَحَ أَذُنَيْهِ ظَاهِرهُمَا وبَاطِنَهُمَا". دلَّت هذه الآيةُ على أنَّ كَشْفَ العوْرَةِ من المُنْكَرَاتِ، وأنَّهُ لم يزل مُسْتَهْجَناً في الطِّبَاع مُسْتَقْبَحاً في العُقُولِ". (١)

ومما دل فيه جمع السلامة المؤنث على القلة الجمع (حُرُمات) في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ (٢). فقد جاء في التحرير والتنوير في تفسير ذلك: "والحُرمات: جمع حُرُمة بضمتين: وهي ما يجب احترامه. والاحترام: اعتبار الشيء ذَا حَرَم، كناية عن عدم الدخول فيه. أي عدم انتهاكه بمخالفة أمر الله في شأنه، والحُرمات يشمل كل ما أوصَى الله بتعظيم أمره فتشمل مناسك الحج كلها.

وعن زيد بن أسلم: الحرمات خمس: المسجد الحرام، والبيت الحرام، والبلد الحرام، والشهر الحرام، والمُحرم ما دام محرماً، فقصَرَه على الذوات دون الأعمال. والذي يظهر أن الحرمات يشمل الهدايا والقلائد والمشعر الحرام وغير ذلك من أعمال الحجّ، كالغسل في مواقعه، والحلق ومواقيته ومناسكه". (٣)

ومما أفاد فيه الجمع السلامة المؤنث القلة جمع حُجْرة على (حُجُرات) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٤). فقد جاء في البحر المديد في تفسير هذه الآية: "هذا ومناداتُهم من وراء الحجرات؛ إما لأنهم أتَوْها حجرةً حجرة، فنادوه صلى الله عليه وسلم من ورائها، أو: بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له صلى الله عليه وسلم، أو: نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها، ولكنها جُمعت إجلالاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم".(٥)

ويعضد ذلك ما جاء في التحرير والتنوير في تفسير ذات الآية: "وقرأ الجمهور

١- اللباب في علوم الكتاب، ٩/ ٥٥.

٢- سورة الحج، الآية: ٣٠.

٣- التحرير والتنوير، ٩/ ٣٤٣.

٤- سورة الحجرات، الآية: ٤.

٥- البحر المديد، ٧/ ٢٢٩.

{الحجرات} بضمتين . وقرأه أبو جعفر بضم الحاء وفتح الجيم.
وكانت الحجرات تِسعاً وهي من جريد النخل". (١)

ومنه أيضاً الجمع (المؤتفكات) في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ﴾ (٢).

فقد جاء في تفسير اللباب أنها خمس قرى: "قال قتادةُ : إنما سُمِّيتْ قرى لوط "مُؤتفِكَات" لأنَّها ائتفكت بهم، أي: انقلبت. وذكر الطبري عن محمد بن كعب القرظيِّ قال: خمس قريات: "صبعة، وصعرة وعمرة، ودوما، وسدوم"، وهي القرية العظمى". (٣)

١- التحرير والتنوير، ١٤/ ٨٣.

٢- سورة الحاقة، الآية: ٩.

٣- اللباب في علوم الكتاب، ١٩/ ٢٣٠.

الفصل الثالث

جموع القلـــــة

في القرآن الكريم

المبحث الأول: أوزان جموع القلة

أولاً: تعريف جمع التكسير

جمع التكسير: "هو مادل على أكثر من اثنين بتغيير ظاهر كرجل ورجال أو مقدر كفلك للمفرد والجمع والضمة التي في المفرد كضمة قفل والضمة التي في الجمع كضمة أسد وهو على قسمين جمع قلة وجمع كثرة فجمع القلة يدل حقيقة على ثلاثة فما فوقها إلى العشرة وجمع الكثرة يدل على ما فوق العشرة إلى غير نهاية ويستعمل كل منهما في موضع الآخر مجازاً".(١)

وقد عرفه محمد بن علي الصبان بقوله: جمع التكسير هو الاسم الدال على أكثر من اثنين بصورة تغيير لصيغة واحده لفظًا أو تقديرًا. وقسم المصنف التغيير الظاهر إلى ستة أقسام؛ لأنه إما بزيادة كصِنْوٌ وصِنْوان، أو بنقص كتُخْمَة وتُخَم، أو تبديل شكل كأَسَد وأُسْد، وأو بزيادة وتبديل شكل كرَجُل ورِجال. (٢)

كما عرفه الشيخ مصطفى الغلاييني بقوله: جمع التكسيرِ ويُسمى الجمعَ المُكسر أيضاً هو ما نابَ عن أكثر من اثنينِ، وتَغيَّرَ بناءُ مفرده عند الجمع؛ مثلُ "كُتُبٍ وعلماءٍ وكتّابٍ وكواتبَ".(٣)

والتّغييرُ، إما أن يكون بزيادة على أصول المفرد كسهامٍ وأقلامٍ وقلوبٍ ومصابيحَ، وإما بنَقْصٍ عن أصوله كتُخمٍ وسدرٍ ورُسُلٍ، وإما باختلاف الحركات، كأُسدٍ. وهي جمعُ "سَهمٍ، وقَلبٍ ومصباحٍ وتُخمَةٍ وسدْرةٍ ورسولٍ وأسَدٍ".

ومنه أحبار في قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (٤)
وأموات في قوله تعالى: ﴿ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ﴾ (٥)

١- شرح ابن عقيل، ٤/١١٤.
٢- حاشية الصبان، ٤/ ١٦٨.
٣- جامع الدروس العربية، ٤٠/ ١
٤- سورة التوبة، الآية:٣١.
٥- سورة المرسلات، الآية:٢٦ .

وقرون في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾(١)

وهو قسمان جمعُ قِلَّةٍ، وجمعُ كثْرةٍ. فجمعُ القلَّةٍ ما وُضعَ للعددِ القليلِ، وهو من الثلاثة إلى العشرة كأحمالٍ. وجمعُ الكثْرةِ ما تجاوزَ الثلاثةَ إلى ما لا نهاية لهُ كحُمولٍ.

وقد فصل محمد محيي الدين عبد الحميد في التغييرات التي تطرأ على المفرد عند جمعه جمع تكسير في كتابه التحفة السنية فقال: "أما جمع التكسير فالمراد به: ما دَلَّ علي أكثر من اثنين أو اثنتين مع تَغَيُّر في صيغة مفردهِ. وأنواع التغير الموجودة في جموع التكسير ستة:

١- تَغَيُّرٌ بالشكل لَيْسَ غَيْرُ، نحو: أَسَدٌ وأُسْدٌ، وَنَمِرٌ ونمُرٌ؛ فإنّ حروف المفرد والجمع في هذين المثالين مُتَّحِدَة، والاِخْتلاَف بين المفرد والجمع إنما هو في شكلها.

٢- تَغَيُّرٌ بالنقص لَيْسَ غَيْرُ، نحو: تُهَمَة وتُهَمٌ، وتُخَمَة و تُخَمٌ، فأنت تجد الجمع قد نقص حرفاً في هذين المثالين، وهو التاء، وباقي الحروف علي حالها في المفرد.

٣- تغير بالزيادة ليس غير، نحو: صِنْوٌ و صِنْوَان، في مثل قوله تعالي ﴿ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾(٢)

٤- تغير في الشكل مع النقص، نحو: سَرِير و سُرُر، وكتَاب و كُتُب، وأحْمَر و حُمْر، وأبْيَض وبيض.

٥- تغير في الشكل مع الزيادة، نحو: سَبَب وَأسْبَاب، وَبَطل وأبطال، وَهِنْد وَهُنُود، وَسَبُع وَسِبَاع، وَذِئْب وَذِئَاب، وشُجَاع و شُجْعَان.

٦- تغير في الشكل مع الزيادة والنقص جميعاً، نحو: كَرِيم و كُرَمَاء، وَرَغِيف وَرُغْفَان، و كاتِب وَ كُتَّاب، وَأمِير و أُمَرَاء.

وهذه الأنواع كلها تكون مرفوعة بالضمة، سواءٌ أكان المراد من لفظ الجمع مذكراً، نحو: رِجَال، وكُتّاب، أم كان المراد منه مؤنثاً، هُنُود، وَزَيَانِب، وسواءٌ أكانت الضمة ظاهرة كما في هذه الأمثلة، أم كانت مقدرة كما في نحو: "سُكَارَى، وَجَرْحَي"، تقول: "قامَ الرِّجالُ والزَّيَانِبُ" فتجدهما مرفوعين بالضمة الظاهرة، وتقول: "حَضَرَ الْجَرْحَى والعَذَارَى" فيكون كل من "الْجَرْحَى" و "العَذَارى" مرفوعاً بضمة مقدرة علي الألف منع من ظهورها التعذر".(٣).

١- سورة طه، الآية: ٥١.

٢- سورة الرعد، الآية: ٤.

٣- التحفة السنية شرح المقدمة الآجرومية، ١٩/١، ٢٠.

ثانياً: جمع القلة:

وجمع التكسير نوعان:

جمع قلة: وهو ما دلَّ على ثلاثة إلى عشرة: جاء في حاشية الصبان: " فمدلول جمع القلة بطريق الحقيقة ثلاثة إلى عشرة" (١) وله أربعة أوزان:

أَفْعِلَة: كأغْذِية، وأدْوِية.

أفْعُل: كأرْجُل، وأنْفُس.

فِعْلَة: كفِتْيَة، وصِبْيَة.

أفْعال: كأنهار، وأبطال.

جمع كثرة : وهو ما دل على ثلاثة إلى غير نهاية.

وقد يستغنى ببعض أبنية القلة عن بناء الكثرة وضعاً، فتضع العرب أحد البناءين صالحاً للقلة والكثرة، وتستغني به عن وضع الأخر، كرِجْل وأرجل، وعنق وأعناق، وفؤاد وأفئدة.(٢)

أولاً: أفْعُل: وهو قياسي في نوعين:

أ/ يقاس لكل اسم مفرد على وزن "فَعْل"، ويشترط فيه أن يكون صحيح العين، سواء أكان صحيح اللام، أم معتلها، وألا تكون فاؤه واواً. فلا يجمع مثل "وهم" إلا على "أفعال". مثل: وهم: أوهام، ووقت: أوقات، ووقف: أوقاف. (٣)

أما ما توفرت فيه الشروط فمثل: بحر: أبحر، ونهر: أنهر، ونجم: أنجم.

ومنه أبحُر في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ﴾ (٤)

وأشهُر في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ﴾ (٥)

١- حاشية الصبان على شرح الأشموني، ١٧٠/٤.
٢- شرح شذور الذهب، ٢/ ٨٥٥.
٣- شرح ابن عقيل، ١١٦/٤.
٤- سورة لقمان، الآية: ٢٧.
٥- سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

وقد خرجت عن القياس بعض الأسماء مما استوفت الشروط في الإفراد، وجاءت في الجمع على غير القاعدة. مثل: سهل: سهول، وثغر: ثغور، ومهر: مهور، ودرب: دروب، وقلب: قلوب. وحرب: حروب، ودهر: دهور، وظهر: ظهور، وقصر: قصور. (١)

منه سُهُول وقُصُور في قوله تعالى: ﴿ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا ﴾ (٢)

وخرج عن القياس أيضا كثير من الأسماء المستوفاة للشروط لجمعها على "أفعُل"، ولكنها جمعت على "أفعال". مثل: صحب: أصحاب، وزند: أزناد، وفرخ: أفراخ، ونهر: أنهار، وحمل: أحمال، وحبر: أحبار. (٣)

ومنه قوله تعالى: ﴿ أَنَّ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ (٤)

وقوله تعالى: ﴿ وَأُوْلَـٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ (٥)

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ ﴾ (٦)

ومنه قول الحطيئة :

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر (٧)

وقول الأعشى :

وجدت إذا اصطلحوا وزندك أثقب أزنادها (٨)

١- انظر شرح شافية ابن الحاجب، ٩٥/٢، وما بعدها.
٢- سورة الأعراف، الآية: ٧٤.
٣- انظر شرح شافية ابن الحاجب، ٩٥/٢، وما بعدها.
٤- سورة البقرة، الآية: ٢٥.
٥- سورة الطلاق، الآية: ٤.
٦- سورة التوبة، الآية: ٣٤.
٧- انظر الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ١٧٨/٢. وجواهر الأدب، ٣٢٤/١.
٨- انظر ديوان الأعشى، ص ٩.

وللنحاة حول هذا الموضوع وقفة متأنية، فقد قال عنه صاحب التصريح "وشذّ في فَعْل" المفتوح الفاء، والصحيح العين، الساكنها، نحو: أحمال جمع حمل، بفتح الحاء، وسكون الميم، وأفراخ جمع فرخ، وأزناد جمع زند، ومما سمع فيه أيضا، شكل: أشكال، وسمع: أسماع، ولفظ: ألفاظ، ولحظ: ألحاظ " (١).

وقد عده ابن يعيش في شرح المفصل شاذا، فقال بعد أن بين الأوزان القياسية من الأسماء التي تجمع على "أفعال"، فأما "فَعْل" فالقياس في تكسيره أن يجيء على "أَفْعُل" ككلب وأكلب،

وكعب، أكعب، وقالوا في المُضَعّف: صك وأصكّ، وضب، وأضبّ، وأما الكثير فبابه أن يجيء على "فِعال"، و "فُعول"، نحو قولك: كلب وكلاب، وفلس وفلوس، وربما تعاقبا على الاسم الواحد فقالوا: فرخ وفراخ وفروخ، وكعب وكعاب وكعوب. (٢)

وقد تعرض له الأشموني في شرح الألفية فقال ما حصيلته أن "أفعال" أكثر من "أفعُل" في "فَعْل" الذي فاؤه واو، كوقت أوقات، ووهم أوهام، ووغد أوغاد، ووصف أوصاف. (٣)

كما خرج عن القياس "عين"، فهي لم تستوف الشروط في المفرد، ومع ذلك جمعت على "أعين". كقوله تعالى : ﴿ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ ﴾ (٤)

وخلاصة القول إن القواعد التي وضعت لضبط جموع التكسير ليس من السهل السيطرة عليها سيطرة تامة، بحيث نقطع القول في قياسيتها مطلقا، ولكن نقول إنها مطردة إلى حد ما ووجودها يخفف على الدارس عبء البحث في معاجم اللغة، أو كتب الصرف والنحو على جموع التكسير دون قواعد أو ضوابط، مع كثرة الجموع السماعية التي لا ضابط لها، ولا قياس، وهذا ما حمل كثيراً من العلماء على القول إن جموع التكسير لا تخضع صيغه للقياس، وإنما تخضع للسماع.

١- في أصول اللغة ٢٨/٢ .
٢- شرح المفصل، ١٥/٥.
٣- انظر شرح الأشموني على الألفية، ١٣٥/٤.
٤- سورة المائدة، الآية: ٨٣.

هذا من جانب، ومن جانب آخر كان على النحاة من باب أولى ألا يطلقوا سمة الشذوذ على الألفاظ التي خرجت عن القواعد الأساس لتلك الجموع بحكم ورودها في القرآن الكريم، وارى أن أحدا لا يقول بأن بعض ما ورد في القرآن الكريم شاذ لخروجه عن القاعدة، ولكن نقول إنه قليل، إذا ما قورن بالقياس.

ويقاس أفْعُل كذلك في كل اسم رباعي مؤنث تأنيثا معنويا بدون علامة تأنيث قبل آخره حرف مد. مثل: ذراع: أذرع، عناق: أعنق، يمين: أيمن. (١)

ثانياً: أفْعِلة:

يقاس لنوعين من الأسماء المفردة:

١- في كل اسم مفرد مذكر رباعي قبل آخره حرف مد.

مثل: فؤاد: أفئدة، طعام: أطعمة، عمود: أعمدة، رغيف أرغفة.

ومنه ألسِنَة في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ (٢)

وأفْئِدَة في قوله تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ (٣)

٢- كل اسم على وزن " فَعال، أو فِعال" بكسر فائه أو فتحها، ويشترط فيه أن تكون عينه ولامه من جنس واحد، أو أن يكون معتل اللام.

نحو: زمام: أزمّة، رداء أردية، قباء: أقبية، وعاء: أوعية، أناء: آنية. (٤)

ومنه آنية في قوله تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴾ (٥)

١- شرح ابن عقيل، ١١٨/٤.
٢- سورة الأحزاب، الآية: ١٩.
٣- سورة الأنعام، الآية: ١١٠.
٤- شرح ابن عقيل، ١١٨/٤، وما بعدها.
٥- سورة الإنسان، الآية: ١٥.

وأوعية في قوله تعالى: ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ﴾ (١)

وقد خالف القاعدة السابقة بعض الأسماء المستوفية للشروط، ولكنها جمعت على غير القياس، ومنها: عمود: عَمَد.

نحو قوله تعالى: ﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ (٢)

وفي المعجم الوسيط جمع عمود على: أعمدة، وعُمُد، وعَمَد. (٣)

ومنه: حمار وتجمع على: حُمُر، وحمير.

نحو قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾ (٤)

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ (٥)

ثالثاً: أفْعَال:

ويجمع عليه كل اسم ثلاثي لا يجمع على "أفْعُل"، ويشمل:

١- الثلاثي المعتل العين، مثل: باب: أبواب، وناب: أنياب، وثوب: أثواب، وسيف: أسياف، وبيت: أبيات.

وأبواب في منه قوله تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾ (٦)

٢- الثلاثي المبدوء بالواو. مثل: وكر: أوكار ، وغد: أوغاد، وقت: أوقات، وهم: أوهام، وصل: أوصال، وقف: أوقاف، وصف: أوصاف.

١- سورة يوسف، الآية: ٧٦.
٢- سورة الهمزة، الآية: ٩.
٣- المعجم الوسيط ، ٦٢٦/٢.
٤- سورة المدثر، الآية: ٥٠.
٥- سورة النحل، الآية: ٨.
٦- سورة القمر، الآية: ١١.

٣- الثلاثي المضعف. مثل: جد أجداد، وعم: أعمام. وخالفه: همّ: هموم، وحد: حدود، ورد: ردود، وسد: سدود.

ومنه حدود في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ (١)

٤- الثلاثي المفتوح الفاء والعين. مثل: بقر: أبقار، وغنم: أغنام، وعلم: أعلام، وصنم: أصنام، وقلم: أقلام، وبصر: أبصار.

ومنه أقلام في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ ﴾ (٢)

وأبصار قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ (٣)

وأصنام في قوله تعالى: ﴿ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ﴾ (٤)

وأعلام في قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴾ (٥)

٥- الثلاثي المفتوح الفاء، المكسور العين. مثل: كَبِد: أكباد، نمر: أنمار، عقب: أعقاب.
٦- الثلاثي المفتوح الفاء، المضموم العين. مثل: عَضُد، أعضاد، عجز: أعجاز.

وأعجاز منه قوله تعالى: ﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ (٦)

٧- الثلاثي المضموم الفاء والعين. مثل: عُنُق: أعناق، وحُلُم: أحلام.

ومنه أعناق في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ (٧)

١- سورة البقرة، الآية: ١٨٧.
٢- سورة لقمان، الآية: ٢٧.
٣- سورة البقرة، الآية: ٢٠.
٤- سورة الأعراف، الآية: ١٣٨.
٥- سورة الرحمن، الآية: ٢٤.
٦- سورة الحاقة، الآية: ٧.
٧- سورة سبأ، الآية: ٣٣.

٨- الثلاثي المضموم الفاء، الساكن العين . مثل: قُفْل: أقفال، حضن: أحضان.

ومنه أقفال في قوله تعالى: ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (١)

٩- الثلاثي المكسور الفاء المفتوح العين. مثل: عِنَب: أعناب، حِقب: أحقاب.

ومنه أعناب في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ ﴾ (٢)

١٠- الثلاثي المكسور الفاء والعين. مثل: إبِل: آبال، إبط: آباط.

١١- الثلاثي المكسور الفاء، الساكن العين. مثل: حِمْل: أحمال، اسم: أسماء

ومنه أسماء في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (٣)

١٢- الثلاثي المضموم الفاء المفتوح العين. مثل: رُطَب: أرطاب، ويخرج إلى: رِطاب. وخرج "صُرَد" إلى: صِردان. (٤)

رابعاً: فِعْلَة :

جمع قياسي يكون في مفردات لا تخضع لصيغة معينة، ومن أشهر هذه المفردات:

١/ ما كان على وزن فَعَل، مفتوح الفاء والعين. مثل: فَتَى: فِتْيَة.

ومنه فتية في قوله تعالى:﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ (٥)

وخرج عن القاعدة "وَلَد" فجمعت على وِلدان، وأولاد .

ومنه ولدان في قوله تعالى: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ (٦)

١- سورة محمد، الآية:٢٤.
٢- سورة يس، الآية: ٣٤.
٣- سورة طه، الآية: ٨.
٤- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ٤٤٥/١، وما بعدها.
٥- سورة الكهف، الآية: ١٣.
٦- سورة الواقعة، الآية: ١٧.

٢/ ما كان على وزن فَعْل، مفتوح الفاء، ساكن العين. مثل: ثَوْر: ثِيْرة.

وقد شذ "قَوْل" فجمع على أقوال، ودَمْع: أدْمُع، ودُمُوع، وأنْف: أُنُوف، وقَوْم: أقْوام، ونَجْم: أنْجُم، ونُجُوم.

ومنه نجوم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾ (١)

٣/ ما كان على وزن "فَعِيْل" مثل صَبِيّ: صِبْية. ويخرج عن القاعدة فنقول: صبيان. كما خرج على القاعدة، غبيّ: أغبياء، ونبيّ: أنبياء.

ومنه أنبياء في قوله تعالى: ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ (٢)

٤/ ما كان على وزن "فَعَال" مفتوح الفاء والعين. مثل: غَزال: غِزلة.

٥/ ما كان على وزن "فُعَال" بضم الفاء، وفتح العين. مثل: غُلام: غِلمة، ويخرج غلام عن القاعدة فنقول: غِلمان، وعُقاب: أعقُب، وعِقبان، وشجاع: شجعان.

ومنه غلمان في قوله تعالى : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ (٣)

ويجب التنبيه إلى أن وزن "فِعْلَة" قد عده علماء النحو سماعياً بيد أن مسعود زياد قد عده قياسياً فقد ورد في ألفية ابن مالك سماعياً:

فُعْلٌ لِنَحْوٍ أَحْمَرٍ وَحَمْرَا وَفِعْلَةٌ جَمْعاً بِنَقْلٍ يُدْرَى

وزن (فِعْلَة) ولا يعرف لهذا الوزن مفرادت لها أوصاف معينة، وإنما سمع عن العرب في جمع مفرادت منها: فتى وفِتْيَة، وغُلام وغِلْمَة، وصَبيّ وصِبْيَة.

وهذا معنى قوله: (وفِعْلَة جمعاً بنقل يُدرى) أي: يُدرى مفرده ويعلم بالنقل الوارد عن العرب. فلا ضابط له ولا قياس. (٤)

١- سورة التكوير، الآية: ٢.

٢- سورة آل عمران، الآية: ١١٢.

٣- سورة الطور، الآية: ٢٤.

٤- دليل السالك إلى الفية ابن مالك، ١٢٣/٢.

شروط جمع التكسير:

يشترط في الأسماء التي تجمع جمعاً مكسراً أنْ تكون ثلاثية، أو رباعية. أما ما زاد على أربعة أحرف فيجمع بحذف حرف، أو حرفين من حروفه. نحو: سَفَرْجَل: سَفَارِج، حذفت اللام. غَضَنْفَر: غَضَافِر، حذفت النون. عَنكبُوت: عَنَاكِب، حذفت الواو والتاء. عَنْدَلِيب: عَنادِل، حذفت الياء والباء.

أما الصّفات بأنواعها، سواء أكانت اسم فاعل، أو اسم مفعول، أو صفة مشبهة، أو اسم تفضيل، فالأصل فيها أن تجمع جمع مذكر سالما، لأنه القياس المطرد فيها، وجمعها جمع تكسير ضعيف وشاذ، هذا ما قاله النحاة. (١)

إعراب جمع القلة:

جمع القلة من جموع التكسير لذا فهو من الأسماء التي تعرب بالحركات الظاهرة رفعاً بالضمة ونصباً بالفتحة وجراً بالكسرة.

نماذج من الإعراب:

١- قال تعالى ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (٢)

اتخذوا: فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، والواو في محل رفع فاعل.

أحبارهم: مفعول به أول منصوب بالفتحة، وأحبار مضاف والضمير المتصل في محل جر مضاف إليه. ورهبانهم: الواو حرف عطف، رهبانهم معطوفة على أحبارهم.

أرباباً: مفعول به ثان منصوب بالفتحة.

من دون الله: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب صفة لأرباب، ودون مضاف، الله ولفظ الجلالة مضاف إليه مجرور بالكسرة. (٣)

١- راجع أوضح المسالك، ٣٠٨/٤، وما بعدها.
٢- سورة التوبة، الآية: ٣١.
٣- المجتبى من مشكل إعراب القرآن، ٣٤٣/١.

٢- قال تعالى : ﴿ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ ﴾ (١)

والبحر: الواو واو الحال، أو عاطفة، والبحر مبتدأ مرفوع بالضمة.

ويجوز في البحر العطف على موضع أنّ ومعموليها، وهو الرفع على الفاعلية، وفي قراءة النصب يكون البحر معطوفا على اسم أنّ.

يمده: فعل مضارع مرفوع بالضمة، والضمير المتصل في محل نصب مفعول به. وجملة يمده في محل رفع خبر.

من بعده: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب حال ، والضمير المتصل في بعده في محل جر مضاف إليه.

سبعة أبحر: سبعة فاعل يمدّ، وهو مضاف، وأبحرٍ مضاف إليه مجرور بالكسرة.

وجملة والبحر وما في حيزها في محل نصب حال، أو عطف على ما قبلها. (٢)

٣- قال تعالى : ﴿ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ (٣)

أنّ لهُم: حرف توكيد ونصب، لهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر أنّ مقدم.

جناتٍ: اسم أنّ مؤخر منصوب بالكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم.

تجري: فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل.

من تحتها: جار ومجرور متعلقان بتجري، والضمير المتصل في محل جر مضاف إليه.
الأنهارُ: فاعل مرفوع بالضمة. (٤)

١- سورة لقمان، الآية: ٢٧.
٢- إعراب القرآن، ٢٨٨/٣.
٣- سورة البقرة، الآية: ٢٥.
٤- المجتبى من مشكل إعراب القرآن، ١٥/١.

٤- قال تعالى : ﴿ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ ﴾ (١)

ترى: فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة على الألف للتعذر، وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

أعينَهم: مفعول به لترى البصرية منصوب بالفتحة، وأعين مضاف والضمير المتصل في محل جر مضاف إليه. وجملة ترى لا محل لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير جازم.

تفيضُ: فعل مضارع مرفوع بالضمة والفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هي يعود على أعين.

من الدمع: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب على التمييز. (٢)

٥- قال تعالى : ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾(٣)

فإذا: الفاء حرف عطف، وإذا ظرف للزمان المستقبل متضمن معنى الشرط.

ذهب: فعل ماض مبني على الفتح، والخوف فاعل مرفوع بالضمة.

وجملة ذهب الخوف في محل جر بإضافة الظرف إليها.

سلقوكم: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة جواب شرط غير جازم لا محل لها من الإعراب.
بألسنةٍ: الباء حرف جر، وألسنة مجرور بالكسرة والجار والمجرور متعلقان بسلقوكم.

حِدادٍ: صفة لألسنة مجرورة بالكسرة. (٤)

١- سورة المائدة، الآية: ٨٣.
٢- المجتبى من مشكل إعراب القرآن، ٢١٦/١.
٣- سورة الأحزاب، الآية: ١٩.
٤- إملاء ما من به الرحمن، ١٩١/٢.

٦- قال تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴾ (١)

ويُطافُ: الواو حرف عطف، يطاف فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع بالضمة.

عليهم: جار ومجرور متعلقان بيُطاف.

بآنيةٍ: الباء حرف جر وآنية مجرور بالكسرة، والجار والمجرور في محل رفع نائب عن المفعول لأنه هو المفعول به في المعنى، ويجوز أن تكون عليهم هي النائبة، وبآنية متعلقان بيطاف.

من فضة: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل جر صفة لآنية. (٢)

١- سورة الإنسان، الآية: ١٥.

٢- إعراب القرآن، ٥/١٠٥.

المبحث الثاني معاني ودلالات جموع القلة

يقول علماء النحو إنّ جمع القلة هو ما دل على عدد من ثلاثة إلى عشرة، ولكن إذا تأملنا تناول القرآن لهذه الجموع نجد أن نظرة النحويين لم تستوعب كل النواحي الدلالية لصيغ جموع القلة. هذا لا يعني خطأ وجهة نظر النحويين، بل يوضح أنهم لم يوفوا الأمر حقه من البحث والتدقيق. فجموع القلة تجدها ترد في القرآن بدلالة العدد الذي لا يتجاوز العشرة، وربما وردت بمعان دلالية أكثر شمولاً، فلغة القرآن فيها من السعة والبلاغة ما الله به عليم.

استخدم القرآن الكريم صيغ جموع القلة بدلالة التعدد، والتعدد أمر يقبل إفادة القلة والكثرة، ومما جاء في القرآن بهذا المعنى الجمع (أزْوَاج) بزنة (أفعال) فقد ورد مثلاً في الآية: ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ﴾ (١). فقد ورد في تفسيرها أنها تفيد التعدد.

جاء في تفسير التحرير والتنوير: "والجمع في {أزواجكم} وفي قوله: {مما تركتم} كالجمع في الأولاد والآباء، مراد به تعدّد أفراد الوارثين من الأمّة، وههنا قد اتّفقت الأمّة عى أنّ الرجل إذا كانت له زوجات أنهنّ يشتركن في الربع أو في الثمن من غير زيادة لهنّ، لأنّ تعدّد الزوجات بيد صاحب المال فكان تعددّهنّ وسيلة لإدخال المضرّة على الورثة الآخرين بخلاف تعدّد البنات والأخوات فإنّه لا خيار فيه لربّ المال. والمعنى: ولكلّ واحد منكم نصف ما تركت كلّ زوجة من أزواجه وكذلك قوله: {فلكم الربع مما تركن}". (٢)

ومن دلالات جمع القلة نجد التهوين في الجمع (أذِلّة) بزنة (أفْعِلة) في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٣). فقد قال في تفسيرها ابن عادل: "(وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ) في محل نصب على الحال من مفعول: (نَصَرَكُمُ) و(أَذِلَّةٌ) جمع ذليل وهو جمع قلة؛ إشعاراً بقلتهم مع هذه الصفة، و "فعيل" الوصف قياس جمعه على فُعَلاء كظريف وظرفاء،

١- سورة النساء، الآية: ١٢.

٢- التحرير والتنوير، ٤٢٥/٣.

٣- سورة آل عمران، الآية: ١٢٣.

وشريف وشرفاء، إلا أنه تُرِك في المضعَّف؛ تخفيفاً ألا ترى إلى ما يؤدي إليه جمع ذليل وخليل على ذُللاء وخُللاء من الثقل؟

فإن قيل: قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

فما معنى قوله: (وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ) ؟ فالجواب من وجوه:

الأول: أنه بمعنى: القلة وضعف الحال، وقلة السلاح والمال، وعدم القدرة على مقاومة العدو، وأنّ نقيضه العِز، وهو القوة والغلبة.

رُوِيَ أن المسلمين كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، ولم يكن فيهم إلا فرس واحد، وأكثرهم رَجَّالة، وربما كان الجمع منهم يركبون جَمَلاً واحداً، والكفار كانوا قريبين من ألف مقاتل، ومعهم مائة فرس، مع الأسلحة الكثيرة، والعُدَّة الكاملة.

قال القرطبيُّ: واسم الذل في هذا الموضع مستعار، ولم يكونوا في أنفسهم إلا أعزَّة، لكن نسبتهم إلى عدوهم، وإلى جميع الكفار في أقطار الأرض، تقتضي عند التأمل ذِلّتَهُمْ، وأنهم يغلبون.

الثاني: لعل المراد: أنهم كانوا أذلة في زَعْم المشركين، واعتقادهم؛ لأجل قلة عددهم، وسلاحهم وهو مثل ما حكى الله – تعالى – عن الكفار قولهم: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ (٢)

الثالث : أن الصحابة كانوا قد شاهدوا الكفار بمكة في قوتهم، وثروتهم، إلى ذلك الوقت، ولم يَبْقَ للصحابة عليهم استيلاء، فكانت هيبتهم باقية في قلوبهم، فلهذا السبب كانوا يهابونهم ويخافونهم". (٣)

ولم يذهب سيد طنطاوي بعيداً عن ذلك إذ قال في تفسير هذه الآية: "وبدر: اسم لماء بين مكة والمدينة، التقى عنده المسلمون والمشركون من قريش فى السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة، وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، وكان عدد المشركين قريبا من ألف رجل، ومع ذلك كان النصر حليفا للمسلمين. والأذلة – كما يقول الزمخشرى: جمع قلة، وجاء بجمع القلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلين. وذلتهم: ما كان بهم من ضعف الحال، وقلة السلاح والمال والمركوب، وذلك أنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد، وما كان معهم إلا فرس واحد. وقلتهم: أنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة

١- سورة المنافقون، الآية: ٨.

٢- سورة المنافقون، الآية: ٨.

٣- اللباب في علوم الكتاب، ٥/ ٥١٤.

عشر، وكان عدوهم فى حال كثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس، ومعهم الشكة والشوكة – أى السلاح والقوة.

وإذن فليس المراد بكونهم أذلة أنهم كانوا أضعاف النفوس. أو كانوا راضين بالهوان. وإنما المراد أنهم كانوا قليلى العدة والعدد، فقراء فى الأموال وفى وسائل القتال.

وفى هذا التذكير لهم بما حدث فى غزوة بدر، تنبيه لهم إلى وجوب تفويض أمورهم إلى خالقهم، وإلى أن القلة المؤمنة التقية الصابرة كثيراً ما تنتصر على الكثرة الفاسقة الظالمة". (١)

وتبعهما في ذلك أبو السعود قائلاً: "(وأنتُم أذِلّة) حال من مفعول نصركم وأذلة جمع ذليل وإنما جمع جمع قلة للإيذان بإتصافهم حينئذ بوصفي القلة والذلة إذ كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان ضعف حالهم في الغاية خرجوا على النواضح يتعقب النفر منهم على البعير الواحد ولم يكن في العسكر إلا فرس واحد وقيل فرسان للمقداد ومرثد وتسعون بعيرا وست أدرع وثمانية سيوف وكان العدو زهاء ألف ومعهم مائة فرس وشكة وشوكة". (٢)

ومما ورد أيضاً بدلالة التحقير الجمع (أنْفُس) بزنة (أفعُل) قياساً، في قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٣). فقد قال ابن عرفة في تفسير هذه الآية: "(أَتَأْمُرُونَ الناس بالبرِّ). الاستفهام معناه التقرير والتوبيخ. وفرّق بعضهم بينهما بأن التقرير لمن أنعمت عليه ولم يحسن إليك. والتوبيخ لمن أحسنت إليه وأساء إليك. وجمع الأنفس جمع قلة تحقيرا لها، لأن الآية خرجت مخرج الذّمّ". (٤)

ولابن عرفة بعض اللطائف في كلمة (أنفُس) في قوله تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (٥).: إذ يقول في تفسير هذه الآية: "فإن قلت: لم ذكر الأنفس والأعين دون الإسماع؟ قلنا: لأن لذة السمع أقرب إلى النفس من البصر، وجمع الأنفس جمع قلة إشارة إلى قلتها بالنسبة إلى كثرة ما أعد الله لها من النعيم، ولم يجمع في القرآن جمع كثرة، إلا في قوله تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ﴾(٦).

١- الوسيط لسيد طنطاوي، ١/ ٧٢٨.

٢- تفسير أبي السعود، ٢/ ٧٩.

٣- سورة البقرة، الآية: ٤٤.

٤- تفسير ابن عرفة، ٢٧٠/١.

٥- سورة الزخرف، الآية: ٧١.

٦- سورة الإسراء، الآية: ٢٥.

إشارة إلى عموم علة، وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ (١). وقوله تعالى: {وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ}، لأنها طريق إلى لذة النفس، لأن النفس لا لذة لها بدون العين بدليل الأعين، ولم يذكر حاسة السمع؛ [لأنّ النسبة إلى غيره]". (٢)

وقد تعرض في ذات الآية تفسير روح المعاني للجمع (أكواب)، فقال: "والأكواب جمع كوب وهو كوز لا عورة له هذا معنى قول مجاهد لا أُذن له، وهو على ما روي عن قتادة دون الإبريق وقال: بلغنا أنه مدور الرأس ولما كانت أواني المأكول أكثر بالنسبة لأواني المشروب عادة جمع الأول جمع كثرة والثاني جمع قلة وقد تظاهرت الأخبار بكثرة الصحاف. وال في الأنفس والأعين للأستغراق على ما قيل ولا فرق بين جمع القلة والكثرة. ولعل من يقول بأن استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع ويفرق بين الجمعين في المبدأ والمنتهى يقول: بأن استغراق جمع القلة أشمل من استغراق جمع الكثرة وقيل: عوض عن المضاف إليه أي ما تشتهيه أنفسهم وتلذ أعينهم وجمع العين الباصرة على أفعل في كلامهم أكثر من جمعهما على غيره بل ليس في القرآن الكريم جمع الباصرة إلا على ذلك وما أنسب هذا الجمع هنا لمكان الإخلاء وحمل ما تشتهيه النفس على المنكح والملبس وما يتصل بهما خلاف الظاهر". (٣)

ومن اللطائف هنا ما قيل : إنه لما كانت أواني المأكولات أكثر بالنسبة لأواني المشروب عادة، جمع الأول جمع كثرة، والثاني جمع قلة {وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ} أي: بمشاهدته: { وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} أي: من الخيرات، والأعمال الصالحات. وقد شبه ما استحقوه بأعمالهم الحسنة، من الجنة ونعيمها الباقي لهم، بما يخلفه المرء لورّاثه من الأملاك، والأرزاق. ويلزمه تشبيه العمل نفسه بالمورث، على صيغة اسم الفاعل، فهو استعارة تبعية، أو تمثيلية". (٤)

وقد يأتي جمع القلة مراداً به التثنية وهذا كثير في لغة القرآن، فلننظر مثلاً لاستخدام القرآن للجمع (أيْدي) وهو جمع قلة بزنة (أفْعُل) فقد ورد في الآية: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٥).

١- سورة التكوير، الآية: ٧.

٢- تفسير ابن عرفة، ٩/٤

٣- روح المعاني، ٢٥/ ٩٨- ٩٩.

٤- محاسن التأويل، الباب ٧١.

٥- سورة المائدة، الآية: ٣٨.

جاء في تفسير التحرير والتنوير: "وقوله: {فاقطعوا أيديهما} ضمير الخطاب لِوُلاة الأمور بقرينة المقام، كقوله: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ (١). وجُمع الأيدي باعتبار أفراد نوع السارق. وثنيّ الضمير باعتبار الصنفين الذكر والأنثى؛ فالجمع هنا مراد منه التّثنية كقوله تعالى: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾(٢) " . (٣)

ومما ورد بدلالة التثنية من جموع القلة في لغة القرآن الجمع (أعيُن) وهو جمع قلة جاء بزنة (أفعُل) مخالفاً للقياس لاعتلال عينه، فقد استخدم بدلالة التثنية في الآية: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ (٤).

جاء في تفسير التحرير والتنوير في شرح هذه الآية: "والأعين استعارة للمراقبة والملاحظة. وصيغة الجمع في {أَعْيُنِنَا} بمعنى المثنى، أي بعينينا، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (٥). والمراد الكناية بالمعنى المجازي عن لازمه وهو الحفظ من الخلل والخطأ في الصنع". (٦)

وقد ذكر ابن عادل في تفسيره (اللباب) روائع في تفسير هذه الآية، قال: "بأعْينِنَا حالٌ من فاعل "اصْنَع" أي: محفُوظاً بأعيننا، وهو مجازٌ عن كلاء الله له بالحفظ. وقيل: المراد بهم الملائكة تشبيهاً لهم بعيون النَّاس، أي: الذين يتفقَّدُونَ الأخبارَ، والجمع حينئذٍ حقيقةٌ. وقرأ طلحةُ بنُ مصرف "بأعْيُنَّا" مدغمة. وأما قوله: "بأعْيُنِنَا" فلا يمكنُ إجراؤه على ظاهره لوجوهٍ:

أحدها: أنه يقتضي أن يكون لله أعين كثيرة، وهذا يناقض قوله تعالى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾(٧). وثانيها: أنَّهُ يقتضي أن يصنع الفلك بتلك الأعين، كقولك: قطعت بالسكين، وكتبت بالقلم، ومعلوم أن ذلك باطل.

١- سورة النور، الآية: ٢.
٢- سورة التحريم، الآية: ٤.
٣- التحرير والتنوير، ٢٦٨/٤.
٤- سورة هود، الآية: ٣٧.
٥- سورة الطور، الآية: ٤٨.
٦- التحرير والتنوير، ٢٥٥/١١.
٧- سورة طه، الآية: ٣٩.

وثالثها: أنَّه – تعالى – مُنَزَّه عن الأعضاء، والأبعاض؛ فوجب المصيرُ إلى التأويل، وهو من وجوه:

الأول: معنى "بِأَعْيُنِنَا" أي: بنزول الملك؛ فيعرفه بخبر السفينة، يقال: فلان عين فلان أي: ناظر عليه.

والثاني: أنَّ من كان عظيمَ العنايةِ بالشيء فإنه يضع عينه عليه؛ فلمَّا كان وضع العين على الشَّيء سبباً لمبالغة الحفظ جعل العين كناية عن الاحتفاظ، فلهذا قال المفسِّرون: معناه: بحفظنا إيَّاك حفظ من يراك، ويملك دفع السُّوء عنك.

وحاصل الكلام أن عمل السَّفينة مشروط بأمرين:

أحدهما: أن لا يمنعه أعداؤه من ذلك العمل.

والثاني: أن يكون عالماً بكيفيَّة تأليف السَّفينة وتركيبها.

وقوله: "وَوَحْيِنَا" إشارة إلى أنَّه تعالى يوحي إليه كيفية عمل السَّفينة".(١)

ومما ورد أيضاً من جموع القلة بدلالة التثنية الجمع (أطْرَاف) وهو جمع قلة قياسي بزنة (أفْعَال) في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ (٢).

جاء في البحر المديد في تفسير هذه الاية: "{أطراف النهار} وهو تكرير لصلاتي الفجر والمغرب؛ إيذانًا باختصاصهما بمزيد مزية. وجمع (أطراف) بحسب اللفظ مع أمن اللبس، أو يراد بأطراف النهار: الفجر والمغرب والظهر؛ لأنها نهاية النصف الأول من النهار وبداية النصف الثاني، أو يريد التطوع في أجزاء النهار". (٣)

وزاد على ذلك تفسير التحرير والتنوير في تفسيرها: "وقيل: المراد طرف سير الشمس في قوس الأفق، وهو بلوغ سيرها وسط الأفق المعبر عنه بالزوال، وهما طرفان طرف النهاية وطرف الزوال، وهو انتهاء النصف الأول وابتداء النصف الثاني من القوس، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾. وعلى هذا التفسير يتجه أن يكون ذكر الطرفين معا لوقت صلاة واحدة أن وقتها ما بين الخروج من أحد الطرفين والدخول في الطرف

١- اللباب في علوم الكتاب، ٤٨١/١٠.

٢- سورة طه، الآية: ١٣٠.

٣- البحر المديد، ٤٧١/٤.

الآخر وتلك حصة دقيقة". (١)

وعلى التفسيرين فللنهار طرفان لا أطراف، كما قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾(٢). فالجمع في قوله: {وَأَطْرَافَ النَّهَارِ} من إطلاق اسم الجمع على المثنى، وهو متسع فيه في العربية عند أمن اللبس، كقوله تعالى: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾(٣). والذي حسنه هنا مشاكلة الجمع للجمع في قوله: {وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ}.

ونقف أيضاً على ما جاء في العذب النمير عن الجمع (أنفُس) في قوله تعالى: ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ (٤). فهو يرى في تفسير هذه الآية: أن الجمع هنا وإن كان للقلة إلا أنه يفيد العموم: "وقولُه: {فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} {أَنْفُسَكُمْ} جمعُ قِلَّةٍ؛ لأن (الأَفْعُل) من صيغِ جموعِ القلةِ. وما يَزْعُمُهُ بعضُ النحويين والمفسرين من أن مثلَ هذه الآيةِ جِيءَ فيه بجمعِ القلةِ موضعَ جمعِ الكثرةِ فهو خلافُ التحقيقِ؛ لأن {أَنْفُسَكُمْ} أُضِيفَ إلى معرفةٍ، واسمُ الجنسِ مُفْرَدًا كان أو جَمْعًا إذا أضيفَ إلى معرفةٍ اكتسبَ العمومَ. والشيءُ الذي يعمُّ جميعَ الأفرادِ لا يُعْقَلُ أن يقالَ فيه: إنه جَمْعُ قِلَّةٍ؛ لأن جمعَ القلةِ لا يتعدى العشرةَ، وهو بعمومِه يشملُ آلافَ الأفرادِ، فالتحقيقُ ما حَرَّرَهُ علماءُ الأصولِ في مبحثِ التخصيصِ من أن جموعَ القلةِ وجموعَ الكثرةِ لا يكونُ الفرقُ بينها ألبتةَ إلا في التنكيرِ، أما في التعريفِ فإنالأَلِفَ واللامَ تفيدُ العمومَ، والإضافةُ إلى المعارفِ تفيدُ العمومَ، وما صار عَامًّا استحالَ أن يقالَ هو جمعُ قِلَّةٍ؛ لأن العمومَ يستغرقُ جميعَ الأفرادِ. هذا هو التحقيقُ. وهذا معنى قولِه: {فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ}". (٥)

وللقرآن أسلوب بديع في المجانسة بين صيغ جمع القلة وصيغ جمع الكثرة، ولنقف على شيء من ذلك نقرأ ما جاء في كتاب (نكت وتنبيهات في تفسير القرآن الكريم) في التاليف البديع بين الجمعين (قلوب) وهو جمع كثرة، والجمع (أقفال) وهو جمع قلة قياسي بزنة (أفعال) في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (٦). قال: " قلوب جمع كثرة،

١- التحرير والتنوير، ١٦/٢٠٥.

٢- سورة هود، الآية: ١١٤.

٣- سورة التحريم، الآية: ٤.

٤- سورة البقرة، الآية: ٥٤.

٥- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، ١/ ٩٦- ٩٧.

٦- سورة محمد، الآية: ٢٤.

وأقفال جمع قلة، والقليلُ إذا وُزِّعَ على الكثير لا يعُمه، والجوابُ من وجهين:

(أ)- أنّ كلّ قلبٍ عليه أقفال.

(ب)- أنّ "أقفال" مصدرٌ لا جمعٌ، بدليل قراءة كسر الهمز من (أسرَارَهُمْ)، قُرِئ بفتح الهمزة وبكسرِها، إمّا جمع "سِرّ"، أو مصدر، وهو أبلغ؛ لأنّ إدراكَ المعنى يستلزمُ إدراك اللفظ". (١)

ومن روائع هذا التاليف البديع أيضاً ما قاله بن عرفة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٢). "قيل لابن عرفة قوله تعالى: (وَأَنْهَارًا) لم جمع الأنهار جمع قلة، والرواسي جمع كثرة، مع أن الأنهار فيما نشاهد أكثر من الرواسي؟ فأجاب: إما لأنها لم يسمع فيها إلا جمع القلة وإما إشارة إلى أن أنهار الدنيا على كثرتها بالنسبة إلى قدرة الله تعالى قليلة تافهة لأنه قادر على خلق أضعاف أضعافها".(٣)

وقد تحس وأنت تقرأ القرآن أن النظم القرآني يستخدم صيغة جمع القلة في مقام الكثرة، وهذا جائز في لغة القرآن، لكن في بعض الأحيان تغيب عنك بعض الحقائق عن سبب استخدام صيغة القلة في موضع الكثرة. فمثلاً الجمع (أنعُم) جمع قلة بزنة أفعل على غير القياس، ورد في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ (٤)

جاء في تفسير اللباب في هذا الأمر: "السؤال الثاني: الأنعم جمع قلَّة، فكان المعنى: أنّ أهْلَ تلك القريةِ كفرت بأنواعٍ قليلة من نعم الله، فعذبها الله، وكان اللائقُ أن يقال: إنهم كفروا بنعم عظيمة لله تعالى، فاستوجبوا العذاب، فما السَّبب في ذكر جمع القلَّة؟

والجواب: أن المقصود التَّنبيه بالأدنى على الأعلى، يعني: أنَّ كفران النِّعم القليلة لمّا أوجب العذاب، فكفران النِّعم الكثيرة أولى بإيجاب العذاب. و "أنْعُم" فيها قولان:

أحدهما: أنها جمع "نِعْمة"؛ نحو: "شِدَّة وأشُدّ" .

قال الزمخشري: "جمع نِعْمَة على ترك الاعتداد بالتاء ؛ كدِرْع وأدْرُع".

وقال قطرب: هي جمع "نُعْم"، والنُّعم: النَّعيم؛ يقال: "هذه أيَّام طُعْمٍ ونُعْمٍ فلا تَصُومُوا".(٥)

١- نكت وتنبيهات في تفسير القرآن الكريم، ٥٣٠/٣.

٢- سورة النحل، الآية: ١٥.

٣- تفسير ابن عرفة، ٤١٥/٢.

٤- سورة النحل، الآية: ١١٢.

٥- اللباب في علوم الكتاب، ١٧٣/١٢.

وقال ابن عادل أيضاً في الجمع (أنعُم) في قوله تعالى: ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١). "فإن قيل: لفظ الأنعم جمع قلَّة، ونعم الله على إبراهيم – صلوات الله وسلامه عليه – كانت كثيرة فلم قال: "شَاكِراً لأنْعُمِهِ"؟

فالجواب: أنه كان شاكراً لجميع نعم الله سبحانه وتعالى القليلة، فكيف الكثيرة؟" (٢)

ومما ورد في القرآن الكريم من صيغ جموع القلة مراداً به العدد القليل الجمع (أشهُر) بزنة (أفعُل) قياساً في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾(٣).

ومعلوم أنها أربعة لذا جمعت بوزن القلة وقد استخدم وزن الكثرة (شهور) لما زاد على العشرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ (٤). قال الشنقيطي: "والأَشْهُر: جمع شهر. و «الأفْعُل» جمع قِلّة؛ لأنها أرْبَعَةٌ. والحُرُم: جَمْع حرام، وهو الصفة المشبهة من حَرُمَ الشيء فهو حَرَام". (٥)

كذلك استخدم الجمع (أشهر) بدلالة القلة في قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾ (٦).

فقد ورد في تفسير التحرير والتنوير: "{الحج أشهر معلومات} أي في أشهر، لقوله بعده: {فمن فرض فيهن الحج} ولك أن تقدر: مدة الحج أشهر، وهو كقول العرب «الرطب شهرا ربيع» .

والمقصود من قوله: {الحج أشهر} يحتمل أن يكون تمهيداً لقوله: {فلا رفث ولا فسوق} تهويناً لمدة ترك الرفث والفسوق والجدال، لصعوبة ترك ذلك على الناس، ولذلك قُللت بجمع القلة، فهو نظير ما روى مالك في «الموطأ»: أن عائشة قالت لعروة بن الزبير يا ابن أختي إنما هي عشر ليال فإن تخلج في نفسك شيء فدعه، تعني أكل لحم الصيد، ويحتمل أن يكون تقريراً لما كانوا عليه في الجاهلية من تعيين أشهر الحج فهو نظير قوله: {إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً} وقيل: المقصود بيان وقت الحج.

١- سورة النحل، الآية: ١٢١.

٢- اللباب في علوم الكتاب،١٢/١٨٤.

٣- سورة التوبة، الآية: ٥.

٤- سورة التوبة، الآية: ٣٦.

٥- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، ٥/٢٦٦.

٦- سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

والأَشهر المقصودة هي شوال وذو القعدة وذو الحجة لا غير، وإنما اختلفوا في أن ذا الحجة كله شهر أو العشر الأوائل منه أو التسع فقط، أو ثلاثة عشر يوماً منه، فقال بالأول ابن مسعود وابن عمر والزهري وعروة بن الزبير وهو رواية ابن المنذر عن مالك، وقال بالثاني ابن عباس والسدي وأبو حنيفة وهو رواية ابن حبيب عن مالك. وقال بالثالث الشافعي، والرابع قول في مذهب مالك ذكره ابن الحاجب في «المختصر» غير معزو.

وإطلاق الأشهر على الشهرين وبعض الشهر عند أصحاب القولين الثالث والرابع مخرَّج على إطلاق الجمع على الاثنين أو على اعتبار العرب الدخول في الشهر أو السنة كاستكماله، كما قالوا: ابن سنتين لمن دخل في الثانية، وكثرة هذا الخلاف تظهر فيمن أوقع بعض أعمال الحج مما يصح تأخيره كطواف الزيارة بعد عاشر ذي الحجة، فمن يراه أوقعه في أيام الحج لم ير عليه دماً ومن يرى خلافه يرى خلافه". (١)

وربما وردت صيغة جمع القلة وليس مراداً بها جمع اللفظ نفسه وإنما لإفادة معنى في غاية الروعة مما يبين لك كمال البلاغة ودقتها، ولنأخذ نموذجاً لذلك الجمع (أعيُن) وقد مرّ بنا أنه غير قياسي، فإذا تأملناه في قوله تعالى:﴿ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ ﴾(٢)

فقد سئل ابن عرفة: العين لها جمعان: قلة، وكثرة، وذكر المفسرون أن هؤلاء [البكائين] ستة فعيونهم اثنتا عشرة فهو يجمع جمع كثرة لا قلة، قال تعالى: (وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا) فلم جمعهم جمع قلة، وأجاب" بأن المراد ذواتهم لا تقرُّ عيونهم؛ لأن الحزن إنما ألحق ذواتهم". (٣)

ونموذج آخر الجمع (أجِنّة) بزنة (أفعِلة) قياساً، في قوله تعالى: ﴿ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ ﴾(٤). فقد قصد بالجمع أطوار الجنين.

جاء في التحرير والتنوير: والأجنة: جمع جنين، وهو نسل الحيوان ما دام في الرحم، وهو فعيل بمعنى مفعول لأنه مستور في ظلمات ثلاث. و {فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ} صفة كاشفة إذ الجنين لا يقال إلا على ما في بطن أمه. وفائدة هذا الكشف أن فيه تذكيرا باختلاف أطوار الأجنة من وقت العلوق إلى الولادة، وإشارة إلى إحاطة علم الله تعالى بتلك الأطوار". (٥)

١- التحرير والتنوير، ٢/٢٧١.

٢- سورة التوبة، الآية: ٩٢.

٣- تفسير ابن عرفة، ٢/٣٢٣.

٤- سورة النجم، الآية: ٣٢.

٥- التحرير والتنوير، ٢٧/.١٢٧

ومن ذلك الجمع (أمْشاج) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ (١). فقد جاء في التحرير والتنوير في تفسير هذه الآية: "{أمشاج}: مشتق من المشج وهو الخلط، أي نطفة مخلوطة قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢). وذلك تفسير معنى الخلط الذي أشير إليه هنا. وصيغة {أمشاج} ظاهرها صيغة جمع وعلى ذلك حملها الفراء وابن السكيت والمبرد، فهي إما جمع مشج بكسر فسكون بوزن عدل، أي ممشوج، أي مخلوط مثل ذبح، وهذا ما اقتصر عليه في "اللسان" و "القاموس" ، أو جمع مشج بفتحتين مثل سبب وأسباب أو جمع مشج بفتح فكسر مثل كتف وأكتاف.

والوجه ما ذهب إليه صاحب "الكشاف" :أن {أمشاج} مفرد كقولهم: برمة أعشار وبرد أكياش بهمزة كاف وتحتية ألف وشين معجمة الذي أعيد غزله مرتين. قال ولا يصح أن يكون أمشاج جمع مشج بل هما أي مشج وأمشاج مثلان في الإفراد. وقال بعض الكاتبين: إنه خالف كلام سيبويه. وأشار البيضاوي إلى ذلك، وأحسب أنه لم ير كلام سيبويه صريحا في منع أن يكون {أمشاج} مفردا لأنه أثبت الإفراد في كلمة أنعام والزمخشري معروف بشدة متابعة سيبويه.

فإذا كان {أمشاج} في هذه الآية مفردا كان على سورة الجمع كما في الكشاف . فوصف {نطفة} به غير محتاج إلى تأويل، وإذا كان جمعا كما جرا عليه كلام الفراء وابن السكيت والمبرد، كان وصف النطفة به باعتبار ما تشتمل عليه النطفة من أجزاء مختلفة الخواص، فلذلك يصير كل جزء من النطفة عضوا فوصفوا النطفة بجمع الاسم للمبالغة أي شديدة الاختلاط.

وهذه الأمشاج منها ما هو أجزاء كيميائية نباتية أو ترابية ومنها ما هو عناصر قوى الحياة". (٣)

وأضاف ابن عادل في تفسير الآية نفسها: "قوله: أمْشَاجٍ: نعت ل "نُطْفَةٍ" ووقع الجمع نعتاً لمفرد؛ لأنه في معنى الجمع كقوله تعالى: (رَفْرَفٍ خُضْرٍ) أو جعل جزءاً من النطفة نطفةً، فاعتبر ذلك فوصفت بالجمع". (٤)

ويرد جمع القلة في القرآن كثيراً ويقصد به العدد الذي لا يتجاوز العشرة، نجد ذلك مثلاً في الجمع (إخْوَة) وهو جمع غير قياسي بزنة (فِعْلَة) فقد ورد بدلالة القلة في قوله تعالى:

١- سورة الإنسان، الآية: ٢.

٢- سورة يس، الآية: ٢٦.

٣- التحرير والتنوير، ٤٢٧/٩

٤- اللباب في علوم الكتاب، ٧/٢٠.

﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ (١). فقد ذكر صاحب البحر المديد في تفسيرها: المراد بإخوته: علاته العشرة، والعلات: أبناء أمهات لأب واحد، فكانوا إخوته لأبيه، وهم: يهوذا، ورَوْبيل، وشمعون، ولاوي، وريالون، ويشجر، وهؤلاء من بنت خالته ليّا، تزوجها يعقوب أولاً، فلما توفيت تزوج راحيل، فولدت له بنيامين، ويوسف. وقيل: جمع بينهما، ولم يكن الجمع حينئذٍ محرماً. وأربعة آخرون من سُريتَيْن، وهم: دان، وتفثالى، وجاد، وآشر. (٢)

ومما جاء في القرآن أيضاً من جموع القلة بمعنى العدد القليل الذي لا يتجاوز العشرة، الجمع (أضْغاث) وهو جمع بزنة (أفعال) على غير القياس. وردت في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾ (٣)

فقد ورد في تفسير التحرير والتنوير أنّ الأضغاث هي الحزمة، ومما هو معلوم أنّ الحزمة هي ما يجمع ويربط من الأعواد ولا يتجاوز العشرة، قال: "والأضغاث: جمع ضغث بكسر الضاد المعجمة وهو: ما جمع في حُزمة واحدة من أخلاط النبات وأعواد الشجر، وإضافته إلى الأحلام على تقدير اللام، أي أضغاث للأحلام.

والأحلام: جمع حُلُم بضمتين وهو ما يراه النائم في نومه. والتقدير: هذه الرؤيا أضغاث أحلام. شبهت تلك الرؤيا بالأضغاث في اختلاطها وعدم تميز ما تحتويه لمّا أشكل عليهم تأويلها.

والتعريف فيه أيضاً تعريف العهد، أي ما نحن بتأويل أحلامك هذه بعالمين. وجمعت {أحلام} باعتبار تعدد الأشياء المرئية في ذلك الحُلم، فهي عدة رُؤَى".(٤)

ونجد أيضاً الجمع (أنْكاث) بزنة (أفْعال) قد ورد مفيداً العدد القليل، جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴾ (٥). فقد جاء في التحرير والتنوير فيها ما نصه: "والأنكاث – بفتح الهمزة – جمع نكث بكسر النون وسكون الكاف أي منكوث، أي منقوض، ونظيره نقض وأنقاض. والمراد بصيغة الجمع أن ما كان غزلا واحدا جعلته منقوضا، أي خيوطاً عديدة. وذلك

١- سورة يوسف، الآية: ٧.

٢- البحر المديد، ٢٥٤/٢.

٣- سورة يوسف، الآية: ٤٤.

٤- التحرير والتنوير، ٢٥١/٧.

٥- سورة النحل، الآية: ٩٢.

بأن صيرته إلى الحالة التي كان عليها قبل الغزل وهي كونه خيوطا ذات عدد".(١)

وكذلك ورد الجمع (نِسْوَة) بزنة (فِعْلَة) على غير القياس في لغة القرآن وقد أفاد العدد القليل، نجده في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ (٢). فقد ورد في تفسير الثعالبي في ذلك: "وقوله سبحانه وقال نسوة في المدينة أمرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه نسوة جمع قلة وجمع التكثير نساء ويروى أن هؤلاء النسوة كن أربعا امرأة خبازة وامرأة بوابة وامرأة سجانة". (٣)

وليس بعيداً عن ذلك استخدام القرآن للجمع (فِتْيَة) بزنة (فِعْلَة) على غير قياس، فقد وردت في قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾ (٤). وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ (٥). فقد ذكر صاحب التحرير والتنوير: "والفتية جمع قلة لفتى، وهو الشاب المكتمل. وتقدم عند قوله تعالى في سورة يوسف. والمراد بالفتية: أصحاب الكهف . وهذا من الإظهار في مقام الإضمار لأن مقتضى الظاهر أن يقال: إذ أووا، فعدل عن ذلك لما يدل عليه لفظ الفتية من كونهم أتراباً متقاربي السن. وذكرهم بهذا الوصف للإيماء إلى ما فيه من اكتمال خُلق الرجولية المعبر عنه بالفتوة الجامع لمعنى سداد الرأي، وثبات الجأش، والدفاع عن الحق، ولذلك عدل عن الإضمار فلم يقل: إذ أووا إلى الكهف.انتهى. ومعلوم أنّ عدد هؤلاء الفتية لم يتجاوز العشرة، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ (٦). وواضح من تضارب هذه الأقوال أنّ كل التوقعات لم تتجاوز العشرة". (٧)

كذلك يتنوع الأسلوب القرآني في استخدام صيغ جمع القلة بدلالات متنوعة، فقد تأتي صيغة جمع القلة بقصد التهوين أو التحقير أو تقليل شأن المتحدث عنه، فلننظر إلى استخدام

١- التحرير والتنوير، ٢١٣/١٣.

٢- سورة يوسف، الآية: ٣٠.

٣- تفسير الثعالبي، ٢/ ٢٣٤.

٤- سورة الكهف، الآية: ١٠.

٥- سورة الكهف، الآية: ١٣.

٦- سورة الكهف، الآية: ٢٢.

٧- التحرير والتنوير،ج/٨، ص ٤١٤.

القرآن للجمع (أيّام) بزنة (أفْعال) قياساً، فقد جاءت في القرآن وكان المقصود بها تهوين الأمر أو التكليف، جاء ذلك في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ ﴾ (١).

فقد أورد تفسير التحرير والتنوير في ذلك: "والمراد بالأيام من قوله: {أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ} شهر رمضان عند جمهور المفسرين، وإنما عبر عن رمضان بأيام وهي جمع قلة ووصف بمعدودات وهي جمع قلة أيضا؛ تهوينا لأمره على المُكلَّفين، والمعدودات كناية عن القلة؛ لأن الشيء القليل يعد عداً؛ ولذلك يقولون: الكثير لا يعد، ولأجل هذا اختير في وصف الجمع مجيئه في التأنيث على طريقة الجمع بألف وتاء وإن كان مجيئه على طريقة الجمع المكسر الذي فيه هاء تأنيث أكثر". (٢)

ومما ورد في القرآن الكريم من جموع القلة بدلالة العدد القليل الذي لا يتجاوز العشرة كما مرّ علينا الجمع (أقطار) في قوله تعالى:﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْ ﴾ (٣). جاء في المحرر الوجيز: "قال ابن عباس: المعنى إن استطعتم بأذهانكم وفكركم أن تنفذوا فتعلموا علم أقطار السماوات والأرض والأقطار الجهات". (٤)

ونورد أيضاً قول البيضاوي في تفسيرها: "من أقطار السموات والأرض (أي أطرافها) بأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض (إن قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض هاربين من الله فارين من قضائه)". (٥)

وتأتي صيغة جمع القلة في لغة القرآن ويراد بها التعدد، نجد ذلك مثلاً في الجمع (أخبارها) بزنة (أفعال) قياساً في قوله تعالى:﴿ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ﴾ (٦)

١- سورة البقرة، الآيتان: ١٨٣ – ١٨٤.

٢- التحرير والتنوير، ٢/ ١٥٩.

٣- سورة الرحمن، الآية: ٣٣.

٤- المحرر الوجيز، ٥/٢١٠.

٥- تفسير البيضاوي، ٥/٢٧٧

٦- سورة الزلزلة، الآية: ٤.

قال صاحب التحرير والتنوير في دلالة هذه الكلمة في تفسير هذه الآية: "وجمع {أَخْبَارَهَا} باعتبار تعدد دلالتها على عدد القائلين {مَا لَهَا} وإنما هو خبر واحد وهو المبين بقوله: {بأن ربك أوحى لها}". (١)

وأضاف ابن عادل: "قال الماورديُّ: قوله تعالى: (تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: أن تحدث أخبارها بأعمال العباد على ظهرها، قاله أبو هريرة – رض الله عنه – ورواه مرفوعاً، وهو قول من زعم أنها زلزلة القيامة. الثاني: قال يحيى بن سلام: (تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) بما أخرجت من أثقالها، وهو قول من زعم أنها زلزلة أشراط الساعة.

الثالث: قال ابن مسعود: أنها تحدث بقيام الساعة، إذا قال الإنسان: ما لها؟ فتخبر أنّ أمر الدنيا قد انقضى، وأمر الآخرةِ قد أتى، فيكونُ ذلك منها جواباً لهم عند سؤالهم، ووعيداً للكافر، وإنذاراً للمؤمن". (٢)

ومما أفاد التعدد مع دلالة القلة الجمع (أشتاتاً) في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ (٣)، فقد جاء في المحرر الوجيز في تفسير هذه الآية: "وقوله تعالى "يومئذ يصدر الناس أشتاتاً" بمعنى يتصرفون موضع وردهم مختلفي الأحوال وواحد الأشتات شت فقال جمهور الناس الورد هو الكون في الارض بالموت والدفن والصدر هو القيام للبعث و"أشتاتا" معناه قوم مؤمنون وقوم كافرون وقوم عصاة مؤمنون والكل سائر الى العرض ليرى عمله ويقف عليه وقال النقاش: الورد هو ورد المحشر والصدر "أشتاتا" هو صدور قوم الى الجنة وقوم الى النار". (٤)

ولم يذهب تفسير بحر العلوم بعيداً عن ذلك في تفسير هذه الآية إذ جاء فيه: "يومئذ يصدر الناس أشتاتاً يعني يرجع الناس متفرقين فريق في الجنة وفريق في السعير وفريق مع الحور العين يتمتعون وفريق مع الشياطين يعذبون فريق على السندس والديباج على الأرائك متكئون وفريق على وجوههم في النار يجرون لأنهم في الدنيا هكذا كانوا فريقاً حول المساجد والطاعات وفريقاً في المعاصي والشهوات". (٥)

١- التحرير والتنوير، ٤٣٤/٣٠.

٢- اللباب في علوم الكتاب، ٤٤٧/٢٠.

٣- الزلزلة، الآية: ٦.

٤- المحرر الوجيز، ٤٨٢/٥٥.

٥- بحر العلوم، ٥٨١/٣.

ومن روائع التعبير القرآني المجانسة بين الجمع والمفرد في تآلف عجيب يعكس دقة الإعجاز القرآني الذي تحدى فصحاء العرب وبلغائهم أن يأتوا بآية من مثله، ولنأخذ مثالاً لذلك الجمع (أبصار) بزنة (أفعال) قياساً في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ﴾ (١). فقد أورد صاحب التحرير والتنوير روائع في تفسير هذه الآية قائلاً: "والأبصار جمع بصر، وهو في اللغة العين على التحقيق. وقيل: يطلق البصر على حاسّة الإبصار ولذلك جمع ليعمّ بالإضافة جميع أبصار المخاطبين، ولعلّ إفراد السمع وجمْع الأبصار جرى على ما يقتضيه تمام الفصاحة من خفَّة أحد اللفظين مُفْرداً والآخر مجموعاً عند اقترانهما، فإنّ في انتظام الحروف والحركات والسكنات في تثقُّل اللسان سِرّاً عجيباً من فصاحة كلام القرآن المعبّر عنها بالنَّظم. وكذلك نرى مواقعها في القرآن قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ ﴾ (٢)".(٣)

وزاد على هذا القول صاحب البحر المحيط في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٤). قوله: "والمراد بالسمع والأبصار والأفئدة إحساسها وإدراكها، فعبر عن ذلك بالآية. وقال أبو عبد الله الرازي ما معناه: إنما جمع الفؤاد جمع قلة، لأنه إنما خلق للمعارف الحقيقية اليقينية، وأكثر الخلق مشغولون بالأفعال البهيمية، فكان فؤادهم ليس بفؤاد، فلذلك ذكر في جمعه جمع القلة انتهى ملخصاً. وهو قول هذياني، ولولا جلالة قائله وتسطيره في الكتب ما ذكرته، وإنما يقال في هذا ما قاله الزمخشري: أنه من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة، إذا لم يرد في السماع غيرها كما جاء: شسوع في جمع شسع لا غير، فجرى ذلك المجرى انتهى". (٥)

ونختم مبحثنا هذا بجمعين أولهما (أسباط) بزنة (أفعال) قياساً في قوله تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ (٦). ونورد في شأنه ما قاله الزمخشري: "والأسباط: أولاد الولد، جمع سِبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولداً من ولد يعقوب عليه السلام.

١- سورة الأنعام، الآية: ٤٦.

٢- سورة الأحقاف، الآية: ٢٦.

٣- التحرير والتنوير، ١٥/٥.

٤- سورة النحل، الآية: ٧٨.

٥- البحر المحيط، ٥/ ٤٢٥.

٦- سورة الأعراف، الآية: ١٦٠.

فإن قلت: مميز ما عدا العشرة مفرد، فما وجه مجيئه مجموعاً؟ وهلاّ قيل: اثني عشر سبطاً؟ قلت: لو قيل ذلك لم يكن تحقيقاً لأنّ المراد: وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة، وكل قبيلة أسباط لا سبط، فوضع أسباطاً موضع قبيلة". (١)

والجمع الأخير (أحزاب) بزنة (أفعال) قياساً، في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾ (٢). ونورد ما جاء في تفسير التحرير والتنوير فيه: "والأحزاب: هم جماعات الأمم الذين يجمعهم أمْرٌ يجتمعون عليه، فالمشركون حزب، واليهود حزب، والنصارى حزب، قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ ﴾"(٣). (٤)

١- الكشاف للزمخشري، ١٥٩/٢.

٢- سورة هود، الآية: ١٧.

٣- سورة ص، الآيتان: ١٢- ١٣.

٤- التحرير والتنوير، ١٨٧/٧.

المبحث الثالث: ما ورد من جموع القلة في القرآن وأريد به الكثرة

قلنا في المبحث الثاني إنّ جمع القلة يفيد العدد الذي لا يتجاوز العشرة، بيد أن جمع الكسرة يفيد ما زاد على ذلك، لكن رأينا القرآن الكريم يستخدم صيغة جمع القلة لدلالة الكثرة، وربما كان هذا بسبب عدم ورود صيغة جمع كثرة للفظ الذي استخدمت له صيغة القلة لتدل على الكثرة، وربما كان ذلك من باب تناوب الجموع عن بعضها فجمع القلة ينوب عن الكثرة والعكس، وربما كان من باب التنويع في أساليب اللغة، إلى غير ذلك.

ومما ورد في القرآن من صيغ جموع القلة وقد أفاد الكثرة الجمع (أضعاف) بزنة (أفعال) قياساً في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (١). فقد جاء في تفسير اللباب أنها تفيد الكثرة: فقد قال: "(أَضْعَافاً) جمع ضعف، ولما كان جمع قلة والمقصود الكثرة، أتبعه بما يدل على الكثرة وهو الوصف بقوله: (مُضَاعَفَةً). وقال أبو البقاء: (أَضْعَافاً) مصدر في موضع الحال من "الرِّبا"، تقديره: مضاعفاً".(٢)

ومن ذلك أيضاً الجمع (أنفُس) بزنة (أفعُل) في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ ﴾ (٣). جاء في تفسير الرازي ما يلي: "السؤال الرابع: هلا قيل: يتربصن ثلاثة قروء كما قيل: ﴿ تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖ ﴾ (٤). وما الفائدة في ذكر الأنفس.

الجواب: في ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث، لأن فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على أن يتربصن، وذلك لأن أنفس النساء طوامح إلى الرجال فأراد أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص.

السؤال الخامس: لفظ جمع قلة، مع أنهن نفوس كثيرة، والقروء جمع كثرة، فلم ذكر جمع الكثرة مع أن المراد هذه القروء الثلاثة وهي قليلة.

والجواب: أنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في معنى الجمعية، أو لعل القروء كانت أكثر استعمالاً في جمع قرء من الأقراء". (٥)

١- سورة آل عمران، الآية: ١٣٠.

٢- اللباب في علوم الكتاب، ٥/٥٢٣.

٣- سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

٤- سورة البقرة، الآية: ٢٢٦.

٥- تفسير الرازي، ١/٩١٢.

ونرى القرآن كذلك استخدم الجمع (أزواج) بزنة (أفعال) قياساً في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (١). فقد جاء في تفسير روح المعاني: "الأزواج جمع قلة وجمع الكثرة زوجة كعود وعودة ولم يكثر استعماله في الكلام قيل: ولهذا أستغنى عنه بجمع القلة توسعا وقد ورد في الآثار ما يدل على كثرة الأزواج في الجنة من الحور وغيرهن ويقال: الزوج للذكر والأنثى ويكون لأحد الزوجين ولهما معا ويقال: للأنثى زوجة في لغة تميم وكثير من قيس والمراد هنا بالأزواج النساء اللاتي تختص بالرجل لا يشركه فيها غيره وليس في المفهوم اعتبار التوالد الذي هو مدار بقاء". (٢)

ومثلما استخدم التعبير القرآني الجمع (أزواج) بدلالة الكثرة استخدم كذلك الجمع (أولاد) في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ (٣). ونأخذ هنا ما جاء في تفسير التقييد الكبير: "قيل: (الوالدات) جمع سلامة محلى بالألف، واللام فيفيد العموم، والكثرة، و (أولاد) جمع قلة واذا كان (الوالدات) كثيرات فأولادهن كذلك، فكيف تفهم الآية؟!

أجيب: بأن جمع القلة وُضِعَ موضع جمع الكثرة".(٤)

ونجد أيضاً الجمع (أسحار) بزنة (أفعال) قياساً في قوله تعالى: ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾(٥)، قد أفاد الكثرة فالأسحار لا يمكن أن تكون دون العشرة، قال صاحب التحرير والتنوير: "والأسحار: جمع سحر وهو آخر الليل. وخص هذا الوقت لكونه يكثر فيه أن يغلب النوم على الإنسان فيه فصلاتهم واستغفارهم فيه أعجب من صلاتهم في أجزاء الليل الأخرى. وجمع الأسحار باعتبار تكرار قيامهم في كل سحر". (٦)

ومن ذلك أيضاً الجمع (أفنان) بزنة (أفعال) قياساً في قوله تعالى: ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾ (٧).

جاء في تفسير الكشف والبيان في تفسير هذه الآية: "ذواتا أفنان قال ابن عباس: ألوان،

١- سورة البقرة، الآية: ٢٥.

٢- روح المعاني، ١/ ٢٠٤.

٣- سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.

٤- التقييد الكبير للبسيلي، ١/ ٣١٦.

٥- سورة الذاريات، الآية: ١٨.

٦- التحرير والتنوير، ١٨/٢٧.

٧- سورة الرحمن، الآية: ٤٨.

وواحدها فنّ وهو من قولهم: افتنّ فلان في حديثه إذا أخذ في فنون منه وضروب، قال الضحاك: ألوان الفواكه. مجاهد: أغصان وواحدها فنن. عكرمة: ظل الأغصان على الحيطان. الحسن: ذواتا ظلال، وهو كقوله: (وظل ممدود). (قال) الضحاك أيضاً: ذواتا أغصان وفصول.

قال: وغصونها كالمعروشات تمسّ بعضها بعضاً، وهي رواية العوفي عن ابن عباس.

(قال) قتادة: ذواتا فضل وسعة على ما سواهما". (١)

وأضاف تفسير النكت والعيون في تفسير هذه الآية قوله: "(ذَوَاتَا أَفْنَانٍ) فيه أربعة تأويلات:

أحدها: ذواتا ألوان، قاله ابن عباس.

الثاني: ذواتا أنواع من الفاكهة، قاله الضحاك.

الثالث: ذواتا سَعَةٍ، قاله الربيع بن أنس.

الرابع: ذواتا أغصان، قاله الأخفش وابن بحر. والأفنان جمع واحده فنن". (٢)

ومن روائع هذا الاستخدام البديع في التعبير القرآني لصيغ جموع القلة نورد ما قاله صاحب البحر المديد في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٣). قال: "{فبأيّ آلاءِ رِّبكما} أي: نِعَمَه التي عَدَّدها من أول السورة، {تُكَذِّبان} والخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى: {للأنام} وينطق به قوله: {أيه الثقلان} والفاء لترتيب الإنكار والتوبيخ على ما فصّل من فنون النعماء، وصنوف الآلاء، الموجبة للإيمان والشكر، والتعرُّض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية، مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد التنكير وتشديد التوبيخ. ومعنى تكذيبهم آلاءه تعالى: كفرهم بها، وإمّا بإنكار كونه نعمة في نفسه، كتعليم القرآن وما يستند إليه من النعم الدينية، وإمّا بإنكاره كونه من الله تعالى مع الاعتراف بكونه نعمة في نفسه، كالنعم الدنيوية الواصلة إليهم بإسناده إلى غيره تعالى، اشتراكاً أو استقلالاً، صريحاً أو دلالة، فإنَّ

١- الكشف والبيان، ١٨٩/٩.

٢- النكت والعيون، ٤٣٨/٥.

٣- سورة الرحمن، الآية: ١٣.

إشراكهم لآلهتهم معه تعالى في العبادة من دواعي إشراكهم لها به تعالى. انظر أبا السعود. أي: إذا كان الأمر كما فصّل فبأيّ فرد من أفارد نعمه تعالى تُكذِّبان، مع أنّ كُلاًّ منها ناطق بالحق، شاهد بالصدق؟ والله تعالى أعلم". (١)

والحديث عن (الآلاء) يتشعب ولنأخذ مثالاً آخر لما قيل في تفسير هذه الآية ما جاء في تفسير التسهيل لعلوم التنزيل: "فبأي آلاء ربكما تكذبان الآلاء هي النعم واحدها إلى على وزن معى وقيل إلى على وزن قضى وقيل ألى على وزن أمد أو على وزن حصر والخطاب للثقلين الإنس والجن". (٢)

ونورد أيضاً ما جاء في تفسير الكشف والبيان في تفسير الآية نفسها: "وأما الحكمة من تكرارها فقال القتيبي: إن الله سبحانه وتعالى عدّد في هذه السورة نعماه، وذكّر خلقه آلاءه. ثم أتبع ذكر كلّ كلمة وضعها، ونعمة ذكرها بهذه الآية ، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين لينبههم على النعم ويقرّرهم بها، وهو كقولك لرجل: أحسنت إليه وتابعت بالأيادي، وهو في كل ذلك ينكرك ويكفرك: ألم تكن فقيراً فأغنيتك؟ أفتنكر؟ ألم تكن عرياناً فكسوتك؟ أفتنكر هذا؟ ألم أحملك وأنت راحل؟ أفتنكر هذا؟ ألم تكن خاملاً فعززتك؟ أفتنكر هذا؟ ألم تكن صرورة فحججت بك؟ أفتنكر هذا؟ والتكرار سايغ في كلام العرب، حسن في مثل هذا الموضع". (٣)

ومواصلة لما جاء في شأن (الآلاء) نقرأ ما قاله ابن عادل: "(فَاذْكُرُوا آلآءَ اللَّهِ)، أي: نعمه، وهو جمع مفرده "إلْي" بكسر الهمزة وسُكُونِ اللاَّمِ؛ كحِمْل وأحْمَالِ، أو "ألْيٌ" بضمِّ الهمزة وسُكُونِ اللاَّمِ: كقُفْل، وأقْفَالٍ، أو "إلى" بكسر الهمزة، وفتح اللام؛ كضِلَع وأضلاع، وعِنَب وأعْنَاب، أو "ألَى" بفتحهما كقَفَا وأقْفَاء". (٤)

وليس بعيداً عن ذلك ما قاله سيد طنطاوي في تفسير الآية نفسها إذ يقول: "ثم ختم – سبحانه – هذه النعم بقوله: {فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}. والفاء للتفريع على النعم المتعددة التى سبق ذكرها، والاستفهام للتعجيب ممن يكذب بهذه النعم، والآلاء: جمع إِلْى– بكسر الهمزة

١– البحر المديد، ٣٩٨/٧.

٢– التسهيل لعلوم التنزيل، ١١٠/٣.

٣– الكشف والبيان، ١٧٩/٩.

٤– اللباب في علوم الكتاب، ١٨٩/٩.

وفتحها وسكون اللام – وهى النعمة، والخطاب للمكلفين من الجن والإنس، وقيل لأفراد الإنس مؤمنهم وكافرهم، أى: فبأى واحدة من هذه النعم تكذبان ربكما، أى: تجحدان فضله ومننه – يا معشر الجن والإنس – مع أن كل نعمة من هذه النعم تستحق منكم الطاعة لي، والخضوع لعزتى والإخلاص فى عبادتى.

قال الجمل ما ملخصه: كررت هذه الآية هنا إحدى وثلاثين مرة تقريرا للنعمة، وتأكيدا للتذكير بها، وذلك كقول الرجل لمن أحسن إليه، وهو ينكر هذا الإحسان: ألم تكن فقيرا فأغنيتك، أفتنكر هذا؟ ألم تكن عريانا فكسوتك، أفتنكر هذا . . . ؟

ومثل هذا الكلام شائع فى كلام العرب، وذلك أن الله – تعالى – عدد على عباده نعمه، ثم خاطبهم بقوله: { فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }.

وقد كرر – سبحانه – هذه الآية ثمانى مرات، عقب آيات فيها تعداد عجائب خلقه، ومبدأ هذا الخلق ونهايته، ثم كررها سبع مرات عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها بعدد أبواب جهنم. ثم كررها – أيضا – ثمانى مرات فى وصف الجنتين وأهلهما، بعدد أبواب الجنة، وكررها كذلك ثمانى مرات فى الجنتين اللتين هما دون الجنتين السابقتين، فمن اعتقد الثمانية الأولى، وعمل بموجبها، استحق هاتين الثمانيتين من الله – تعالى –، ووقاه السبعة السابقة بفضله وكرمه". (١)

ومما ذكر في القرآن من جموع القلة مراداً به الكثرة كذلك الجمع (أبكار) بزنة (أفعال) قياساً في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (٢). جاء في اللباب في تفسير هذه الآية: "وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: {إِنَّآ أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَآءً} قال: "مِنهُنَّ البِكرُ والثَّيِّبُ".

وروى النحاس بإسناده عن أم سلمة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: {إِنَّآ أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَآءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرُباً أَتْرَاباً}، فقال: "يا أمَّ سلمة، هُنَّ اللَّواتِي قُبِضْنَ في الدُّنيا عَجَائِزَ، شُمْطاً، عُمْشاً، رُمْصاً، جعلهُنَّ اللَّهُ بعد الكبر أتْرَاباً على ميلادٍ واحدٍ في الاستواءِ".

وروى أنس بن مالك، يرفعه في قوله: {إِنَّآ أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَآءً} قال: "هُنَّ العجائزُ العُمْشُ، الرُّمص، كُنَّ في الدُّنيا عُمْشاً رُمْصاً.

١- الوسيط لسيد طنطاوي، ٤٠٤٢/١.

٢- الواقعة، الآيتان، ٣٥- ٣٦.

وعن المسيب بن شريك: "قال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: {إِنَّآ أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَآءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرُباً أَتْرَاباً}، قال: "هُنَّ عجائزُ الدُّنيا، أنشَأهُنَّ الله تعالى خلقاً جديداً، كُلَّما أتَاهُنَّ أزواجهُنَّ وجدُوهُنَّ أبْكاراً" فلما سمعت عائشة بذلك قالت: واوجعاه، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): "لَيْسَ هُناكَ وجعٌ".

وعن الحسن قال: "أتت عجوز النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله ادعُ الله أن يدخلني الجنة، فقال: "يَا أم فُلانٍ، الجنَّةُ لا يدخُلهَا عَجُوزٌ"، قال: فولَّت تبكي، فقال: أخْبرُوهَا أنَّهَا لا تدخُلهَا وهيَ عجُوزٌ، إنَّ الله تعالى يقُولُ: {إِنَّآ أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَآءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً}".

قوله: "عُرُباً" جمع "عَرُوب" كـ "صَبُور، وصُبُر"، والعَرُوب: المحببة إلى بعلها، واشتقاقه من "أعرب" إذا بين.

فالعروب: تبين محبتها لزوجها بشكل وغُنْج وحسن كلام.

قوله: "أتْرَاباً" جمع "تِرْب"، وهو المساوي لك في سنّك لأنه يمسّ جلدها التراب في وقتٍ واحد، وهو آكد في الائتلاف، وهو من الأسماء التي لا تتعرف بالإضافة؛ لأنه في معنى الصفة؛ إذ معناه "مساويك"، ومثله: "خِدنُك" لأنه في معنى صاحبك.

قال القرطبي: "سنّ واحد، وهو ثلاث وثلاثون سنة، يقال في النساء: أتْرَاب، وفي الرجال: أقْرَان، وكانت العرب تميل إلى من جاوزت حدّ الصِّبا من النساء، وانحطَّت عن الكبر".

وقال مجاهد: الأتْراب: الأمثال والأشكال.

وقال السُّدي: أتراب في الأخلاق لا تباغض بينهن ولا تحاسُد". (١)

ومما لا شك فيه أنّ الجمع (أنكال) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴾ (٢). قد ورد بدلالة الكثرة فالأنكال كثيرة ولا حصر لها،ونورد هنا ما ذكره ابن عادل في تفسير هذه الآية: "قوله: (إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالاً وَجَحِيماً)، جمع نكل، وفيه قولان: أشهرهما: أنه القيد. قال الحسن ومجاهد وغيرهما: الأنكال: القيود، واحدها: نكل، وهو ما منع الإنسان من الحركة، وقيل: سمي نكلاً، لأنه ينكّل به.

قال الشعبي: أترون أن الله جعل الأنكال في أرجل أهل النار خشية أن يهربوا – لا والله – ولكنهم إذا أراد أن يرتفعوا اشتعلت بهم. وقال الكلبيُّ: الأنكال: الأغلال.

١- اللباب في علوم الكتاب، ١٨/ ٣٩٤ – ٣٩٥.

٢- سورة المزمل، الآية: ١٢.

وقال مقاتل: الأنكال: أنواع العذاب الشديد". (١).

ومن ذلك أيضاً ورود الجمع (أحقاب) في قوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾ (٢). ونقرأ ما جاء في تفسير البحر المديد في تفسير هذه الآية: "{أحقاباً}: جمع حُقب، كقُفْل وأقفال، وهو الدهر، ولم يرد به عدداً محصوراً، بل كلما مضى حُقب تبعه حقب، إلى غير نهاية، ولا يستعمل الحُقب إلاّ حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها. وقيل: الحقب ثمانون سنة، ورُوي عنه (عليه الصلاة والسلام) . أنه ثلاثون ألف سنة. وقال الحسن: ليس للأحقاب عدة إلاّ الخلود". (٣)

وأضاف ابن عادل إلى ذلك قوله في تفسير هذه الآية: "والحُقْبُ – بالضم والسكون – ثمانون سنة. وقيل: أكثر من ذلك وأقل، والجمع: "أحْقَاب".

قال الفراءُ: أصل الحقبة من الترادُف والتتابُع، يقال: "أحْقَبَ": إذا أردف، ومنه الحقبة، ومنه كل من حمل وزراً فقد احتقب، فعلى هذا معناه: لابثين فيها أحقاباً، أي: دُهوْراً مُترادِفَةً يتبع بعضهم بعضاً.

المعنى: ماكثين في النَّار ما دامت الأحقاب، وهي لا تنقطع ، فكُلَّما مضى حُقبٌ جاء حُقبٌ، و "الحُقُبُ": الدَّهْرُ: والأحقابُ، الدهور، والمعنى: لابثين فيها أحقاب الآخرة التي لا نهاية لها، فحذف الآخرة لدلالة الكلام عليها، إذ في الكلام ذكر الآخرة، كما يقال: أيَّامُ الآخرة، أي: أيام بعد أيام إلى غير نهاية، أي: لابثين فيها أزماناً ودهوراً، كُلَّما مضى زمنٌ يعقبهُ زمنٌ، ودهر يعقبه دهر، هكذا أبداً من غير انقطاع، فكأنه قال: أبداً، وإنَّما كان يدل على التوقيت لو قال: خمسة أحقاب، أو عشرة ونحوه، وذكر الأحقاب؛ لأن الحقب كان أبعد شيء عندهم، فذكر ما يفهمونه، وهو كناية عن التأبيد، أي: يمكثون فيها أبداً. وقيل: ذكر الأحقاب دون الأيام؛ لأن الأحقاب أهول في القلوب، وأدل على الخلود، وهذا الخلودفي حق المشركين، ويمكن حمله على العصاة الذين يخرجونَ من النار بعد العذاب. وقيل: الأحقاب وقت شربهم الحميم والغسَّاق، فإذا انقضت فيكون لهم نوع آخر من العذاب". (٤)

ونورد أيضاً ما جاء في النكت والعيون في الكلمة نفسها: "لابِثِينَ فيها أَحْقاباً: يعني كلما

١- اللباب في علوم الكتاب، ٤٧٠/١٩.

٢- سورة النبأ، الآية: ٢٣.

٣- البحر المديد، ٣٣٦/٨.

٤- اللباب في علوم الكتاب، ١٠٥/٢٠.

مضى حقب جاء حقب وكذلك إلى الأبد واختلفوا في مدة الحقب على سبعة أقاويل:

أحدها: ثمانون سنة، قاله أبو هريرة .

الثاني: أربعون سنة، قاله ابن عمر.

الثالث: سبعون سنة، قاله السدي.

الرابع: أنه ألف شهر، رواه أبو أمامة مرفوعاً.

الخامس: ثلاثمائة سنة، قاله بشير بن كعب.

السادس: سبعون ألف سنة، قاله الحسن.

السابع: أنه دهر طويل غير محدود، قاله قطرب.

وفي تعليق لبثهم بالأحقاب قولان:

أحدهما: أنه على وجه التكثير، كلما مضت أحقاب جاءَت بعدها أحقاب، وليس ذلك بحد لخلودهم في النار.

الثاني: أن ذلك حد لعذابهم بالحميم والغسّاق، فإذا انقضت الأحقاب عذبوا بغير ذلك من العذاب". (١)

ونختم حديثنا عن الأحقاب بما أورده تفسير حقي إذ يقول: "فمعنى احقابا دهورا متتابعة كلما مضى حقب تبعه آخر، إلى غير نهاية. فإنّ الحقب لا يكاد يستعمل إلا أن يراد تتابع الأزمنة وتواليها – كما قال أبو الليث – إنّما ذكر أحقاباً لأنّ ذلك كان أبعد شئ عندهم فذكر، وتكلم بما يذهب إليه أوهامهم ويعرفونها، وهو كناية عن التأبيد أي يمكثون فيها أبدا انتهى. دلّ عليه أن عمر رضى الله عنه سأل رجلاً من هجر عن الأحقاب فقال ثمانون سنة كل يوم منها ألف سنة انتهى. فإنهم إنّما يريدون بمثله التأبيد وكذا ما قال مجاهد إنّ الأحقاب ثلاثة وأربعون حقباً كل حقب سبعون خريفاً، كل خريف سبعمائة سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً، واليوم ألف سنة من أيام الدنيا كما روى ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم. وكذا لو أريد بالحقب الواحد سبعون ألف سنة اليوم منها ألف سنة كما روى عن الحسن البصرى رحمه الله. وقال الراغب: والصحيح أنّ الحقبة مدة من الزمان مهمة أي لا ثمانون عاماً، وكذا قال فى القاموس الحقبة بالكسر من الدهر مدة لا وقت لها انتهى. والحاصل أنّ الأحقاب يدل على التناهي، فهو وإن كان جمع قلة لكنه بمنزلة جمع كثرة، وهو الحقوب أو بمنزلة الأحقاب المعرف بلام الاستغراق. ولو كان فيه ما يدل على خروجهم منها فدلالته من قبيل المفهوم فلا يعارض

١- النكت والعيون، ١٨٦/٦.

المنطوق الدال على خلود الكفار كقوله تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم، لأن المنطوق راجح على المفهوم فلا يعارضه، وقال أبو حيان المدة منسوخة بقوله فلن نزيدكم إلا عذابا". (١)

ومما ورد في القرآن من جموع القلة مراداً به الكثرة الجمع (أفواج) بزنة (أفعال) قياساً في قوله تعالى: ﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ (٢). فالأفواج التي دخلت في الإسلام في ذلك الوقت لم تكن بالقلة بحيث تحصى، لذا كان لا بد أن يفيد الجمع هنا الكثرة، يقول صاحب البحر المديد في تفسير هذه الآية: "و {أفواجاً} حال من فاعل "يدخلون" أي: يدخلون جماعة بعد جماعة، تدخل القبيلة بأسرها، والقوم بأسرهم، بعدما كانوا يدخلون واحداً واحداً، وذلك أنَّ العرب كانت تقول: إذا ظفر محمدٌ بالحرم، وقد كان آجرهم الله من أصحاب الفيل، فليس لكم به يدان، فلما فُتحت مكة جاؤوا للإسلام أفواجاً بلا قتال، فقد أسلم بعد فتح مكة بَشَرٌ كثير، فكان معه في غزوة تبوك سبعون ألفاً. وقال أبو محمد بن عبد البر: لم يمت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وفي العرب كافر، وقد قيل: إنَّ عدد المسلمين عند موته: مائة ألف وأربعة عشر ألفاً". (٣)

ويؤيد هذا الكلام ما جاء في تفسير الكشف والبيان في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ (٤). إذ قال: "أخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن شنبة، قال: حدّثنا عبدالله بن أحمد بن منصور الكسائي قال: حدّثنا محمد بن عبدالجبار قال: أخبرنا محمد بن زهير عن محمد بن المهتدي عن حنظلة الدّوري عن أبيه عن (البراء) بن عازب قال: كان معاذ بن جبل جالساً قريباً من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في منزل أبي أيوب الأنصاري فقال معاذ: يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى : (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً) فقال: (معاذ سألت عن عظيم من الأمر، ثم أرسل عينيه ثم قال: تحشرون عشرة أصناف من أمتي أشتاتاً قد ميزّهم الله تعالى من جماعة المسلمين وبدّل صورهم فبعضهم على صور القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكّبين أرجلهم فوق ووجوههم أسفل يسحبون عليها، وبعضهم عُمي يتردّدون، وبعضهم صمّ بكمّ لا يعقلون، وبعضهم يمضغون ألسنتهم وهي مدّلاة على صدورهم يسيل القيح

١- تفسير حقي، ٤٢٥/١٦.

٢- سورة النصر، الآية: ٢.

٣- البحر المديد ٣٦٥/٨.

٤- سورة النبأ، الآية: ١٨.

من أفواههم يقذّرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلّبين على جذوع من نار، وبعضهم أشدّ نتناً من الجيف، وبعضهم يلبسون جباباً سابغة من قطران لازقة بجلودهم، فأما الذين على صورة القردة فالقتّات من الناس يعني النّمام وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت، والمنكسين على وجوههم فأكلة الربا، والعمي من يجور في الحكم، والصمّ والبكمّ المعجبون بأعمالهم، والذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم أعمالهم، والمقطّعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران، والمصلّبين على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان، والذين هم أشد نتناً من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ومنعوا حق الله سبحانه من أموالهم، والذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء)". (١)

ويقول الزمخشري في تفسير آية النصر: "(أَفْوَاجاً) جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحداً واحداً واثنين اثنين". (٢)

١- الكشف والبيان، ١١٥/١٠.

٢- الكشاف للزمخشري، ٨١٦/٤.

الفصل الرابع

جموع الكثرة

في القرآن الكريم

المبحث الأول: أوزان جموع الكثرة والقياسي منها والسماعي

جموع الكثرة: هي الأسماء المجموعة جمع تكسير للدلالة على عدد لا يقل عن ثلاثة، ويزيد عن العشرة، إلى ما لا نهاية. وذكر بعض النحاة أنها للدلالة على العدد الذي لا يقل عن عشرة إلى ما لا نهاية. جاء في شرح الأشموني:" فمدلول جمع القلة بطريق الحقيقة ثلاثة إلى عشرة، ومدلول جمع الكثرة بطريق الحقيقة ما فوق العشرة إلى ما لا نهاية له ويستعمل كل منهما موضع الآخر مجازاً" (١)

وجموع الكثرة متعددة، وكثيرة، والغالب فيها السماع، ولا بد في معرفتها من الرجوع إلى المعاجم اللغوية، وقد يكون للاسم الواحد أكثر من جمع، كما مر بنا في جموع القلة.

ومع هذا استطاع الصرفيون أن يضيقوا حدود السماع في هذه الجموع، ووضعوا لبعضها قواعد وأوزانا يقاس عليها نظائرها، وأشهر هذه الأوزان:

١- فُعْل: (بضم الفاء وسكون العين)

ينقاس في كل صِفة مُشَبَّهَة على وزن (أفْعَل) و(فَعْلاء) دلت على لون، أو عيب، أو حلية. مثل: أحمر، حمراء: حُمْر. أخضر، خضراء: خُضْر.(٢)

ومنه حُمْر في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾(٣)

وينقاس كذلك فيما كان وصفا لمذكر على وزن: أفعل، فعلاء. مثل: أسمر، سمراء: سُمْر، وأعور، عوراء: عور، وأخرس، خرساء: خرس.(٤)

تنبيهات:

الأول: يجب كسر فاء هذا الجمع فيما عينه ياء نحو: أبيض، بِيض.

الثاني: يجوز في الشعر ضم عينه بثلاثة شروط: صحة عينه وصحة لامه وعدم التضعيف؛

١- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ٤٤١/١.

٢- معجم الأوزان الصرفية، ص ١٠٥.

٣- سورة فاطر، الآية: ٢٧.

٤- معجم الأوزان الصرفية، ص ١٠٥.

كقول الشاعر:

طوى الجديدانِ ما قد كنتُ أنْشُرُهُ وأَنْكَرَتْنِي ذواتُ الأعينِ النُّجُلِ (١)

وهو كثير، فإن اعتلت عينه نحو: بِيض وسُود، أو لامه نحو: عُمْي وعُشْو، أو كان مضّعفًا نحو: غُر جمع أغر، لم يجز الضم.

الثالث: من قسم السماعي من هذا الجمع قولهم: بُدْنَة وبُدْن، وأَسَدٌ وأُسْد، وسَقْف وسُقُف.(٢)

٢- فُعُل: (بضم الفاء والعين)

وهو قياسي في نوعين:(٣)

ا/ ما كان على وزن فَعول بمعنى فاعل. مثل: صبور وصابر: صُبر، غيور وغائر: غُيُر، غفور، وغافر: غفر.

ومنه رُسُل في قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾(٤)

ب/ ما كان اسما رباعيا صحيح الآخر قبل آخره حرف مد، ويشترط فيه عدم التضعيف إن كان المد ألفا، ولا فرق بين المذكر، والمؤنث المعنوي "المجرد من تاء التأنيث". مثل: كتاب: كُتُب، حِمار: حُمُر، عَمُود: عُمُد، سَرير: سُرُر، نَذير: نُذُر.

ومنه سُرُر في قوله تعالى : ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾(٥)

ونُذُر في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴾(٦)

وقد خرج عن القاعدة ما كان مده بالألف ومضعفا، فيجمع على أفعلة. مثل: هِلال: أهِلّة، وزِمام: أزِمّة.

١- البيت لأبي سعد المخزومي في ديوانه ص٥١، وأمالي القالي ١/ ٢٥٩.

٢- حاشية الصبان، ١٨٠/٤.

٣- معجم الأوزان الصرفية، ص ١٠٥.

٤- سورة فصلت، الآية: ١٤.

٥- سورة الغاشية، ١٣.

٦- سورة القمر، الآية: ٣٦.

ومنه أهِلّة في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾(١)

كما جمع على"فُعُل" بعض الأسماء المفردة التي لم تستوف الشروط، كأن يلحق المؤنث تاء التأنيث. مثل: صحيفة: صُحُف.

ومنه صُحُف في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (٢).

٣- فُعَل: (بضم الفاء وفتح العين) ويطرد في أربعة أشياء:(٣)

أ- اسم على وزن: "فُعْلة" "بضم فسكون" سواء أكان صحيح اللام، أم معتلها، أم مضاعفها؛ نحو: غُرْفة وغُرَف، ومُدْية ومُدَى، وحُجَّة وحُجَج.

ومنه غُرَف في قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾(٤).

وسُنَن في قوله تعالى: ﴿ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾(٥).

ب- وصف على وزن: "فُعْلى" التي هي مؤنث الوصف المذكر: "أفْعَل"، نحو: الكُبْرَى، والوُسْطَى، والصُغْرَى؛ فجمعها القياسي: الكُبَر والوُسَط، والصُغَر، والمفرد المذكر هو: أكبر، أوسط، وأصغر، ولا يصح جمع "حُبْلَى" على "حُبَل" لأنها وصف لمؤنث لا مذكر له.

ومنه كُبَر في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴾(٦) .

ج- اسم على وزن: "فُعْلة "بضم أوله وثانيه"، نحو: جُمْعة وجُمَع.

د- كل جمع تكسير على وزن "فُعُل" "بضمتين" وعينه ولامه من جنس واحد، فإنه يجوز عند بعض القبائل العربية تخفيفه بجعله على وزن: "فُعَل" "بضم أوله؛ وفتح ثانيه"،(٧) نحو: جديد

١- سورة البقرة، الآية: ١٨٩.
٢- سورة الأعلى، الآية: ١٨.
٣- النحو الوافي، ٦٤٣/٤.
٤- سورة الزمر، الآية: ٢٠.
٥- سورة النساء، الآية: ٢٦.
٦- سورة المدثر، الآية: ٣٥.
٧- معجم الأوزان الصرفية، ص ١٠٥.

وذلول؛ فقياس جمعهما للتكسير: جُدُد وذُلُل، ويصح التخفيف، فيقال: جُدَد وذُلَل.

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴾(١)

٤- فِعَل: (بكسر الفاء وفتح العين)

ويجمع عليه فِعْلة اسما وصفة. مثل: عِبْرة: عِبَر، وحِجَّة: حِجَج، وبِدْعَة: بِدَع، وكِسْرَة: كِسَر، وذِكْرَى: ذِكَر. (٢)

ومنه حِجَج في قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖ ﴾(٣) .

٥- فُعَلة: (بضم الفاء وفتح العين واللام)

جمع قياسي في كل صفة معتلة اللام لمذكر عاقل، على صيغة فاعل. مثل: هادٍ: هداة، وأصلها هُدَيَة، قاضٍ: قضاة، وأصلها قُضَيَة، غازٍ: غزاة، وأصلها غُزَوَة، داعٍ : دعاة وأصلها دُعَوَة. بقلب الياء، أو الواو ألفا. (٤)

٦- فَعَلة : (بثلاث فتحات)

قياسي في الصفات المذكرة العاقلة على وزن فاعل، بشرط أن تكون صحيحة اللام. مثل: ساحر: سَحَرة، كاتب: كَتَبة، بار: بَرَرة، فاجر: فَجَرة، كافر: كَفَرة. (٥)

ومنه سَحَرة في قوله تعالى: ﴿ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾(٦) .

وكَفَرة في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ﴾(٧) .

١- سورة فاطر، الآية: ٢٧.
٢- معجم الأوزان الصرفية، ص ١٠٥/١٠٦.
٣- سورة القصص، الآية: ٢٧
٤- معجم الأوزان الصرفية، ص ١٠٦.
٥- النحو الوافي، ٦٤٣/٤.
٦- سورة طه، الآية: ٧٠.
٧- سورة عبس، الآية: ٤٢.

٧- فِعَلة : (بكسر الفاء وفتح العين)

قياسي في نوع، وسماعي في نوعين. قياسي في الاسم الصحيح اللام على وزن "فُعْل". مثل: قُرط: قِرَطة، ودُرْج: دِرَجة، ودُبٌّ: دِبَبَة. وسماعي في كل اسم على وزن "فِعْل"، أو "فَعْل". مثل: قِرْد: قِرَدَة، وغَرْد: غِرَدَة. (١) .

ومنه قِرَدَة في قوله تعالى: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾(٢).

٨- فُعَّل : (بضم العين وفتح العين المضعفة)

قياسي في كل وصف على وزن فاعِل، أو فاعِلة، صحيح اللام. مثل: راكع وراكعة: رُكَّع، صائم وصائمة: صُوّم، ضارب وضاربة: ضُرّب. قائم وقائمة: قُوّم، نائم ونائمة: نُوّم. (٣)

ومنه رُكَّع في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾(٤).

٩- فَعْلَى: (بفتح الفاء وسكون العين وفتح اللام)

وهو جمع لوصف على فعيل بمعنى مفعول دال على هلاك أو توجع كقتيل وقَتْلَى وجريح وجَرْحَى وأسير وأَسْرَى.

ومنه مَرْضَى في قوله تعالى : ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ ﴾(٥).

وأَسْرَى في قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾(٦).

١- الغَرْد ضرب من الكَمْأَةِ وقيل هي الصغار منها وقيل هي الرديئةُ منها والجمع غِرَدَةٌ، لسان العرب، ٣٢٤/٣.
٢- سورة البقرة، الآية: ٦٥.
٣- شرح ابن عقيل، ١٢٢/٤.
٤- سورة البقرة، الآية: ١٢٥.
٥- سورة التوبة، الآية: ٩١
٦- سورة الأنفال، الآية: ٦٧.

ويحمل عليه ما أشبهه في المعنى من فعيل بمعنى فاعل كمريض ومَرْضَى ومن فاعل كهالك وهَلْكَى ومن فعيل كمَيّت ومَوْتَى وأفْعَل نحو أحمق وحَمْقَى . (١)

ومنه مَوْتَى في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ﴾(٢).

١٠- فُعَّال : (بضم الفاء وفتح العين المضعفة)

بضم أوله وتشديد ثانيه – وهو لوصف على وزن فاعل صحيح اللام كصائم وقائم وقاريء. نحو: صائم: صُوّام، نائم: نوام، قائم: قوام، كاتب: كتّاب، قارئ: قرّاء، كافر: كفّار، رائد: روّاد.(٣)

ومنه كُفّار في قوله تعالى: ﴿ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾(٤).

وقد ندر فيما اعتلت لامه. نحو: غازٍ: غُزّاء، سارٍ: سُرّاء.

١١- فِعال : (بكسر الفاء وفتح العين)

صيغة لجمع شبه سماعي، حيث يجمع عليها كثير من الأسماء، والصفات المفردة، أشهرها الأوزان الآتية:

أ . ما كان اسما، أو وصفا على وزن فَعْل، أو فَعْلة، بشرط ألا تكون فاؤه ولا عينه ياء. مثل: عظْم: عِظام، كعب: كِعاب، صعب: صِعاب، ثوب: ثِياب، قصعة: قِصاع، جنّة: جِنان، صحفة: صِحاف. (٥)

ومنه عِظام في قوله تعالى: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾(٦).

١- أوضح المسالك، ٣١٤/٤.
٢- سورة المائدة، الآية: ١١٠.
٣- شرح ابن عقيل، ١٢٣/٤.
٤- سورة النساء، الآية: ١٨.
٥- معجم الأوزان الصرفية، ص ١٠٧.
٦- سورة الصافات، الآية: ٥٣.

وصِحاف في قوله تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖ ﴾(١).

ب . ما كان اسما صحيح اللام غير مضعف، على وزن فَعَل، وفَعَلة. مثل: جَمَل: جِمال، جَبَل: جِبال، ثَمَرة: ثِمار، رَقَبة: رِقاب. (٢)

ومنه جِبال في قوله تعالى: ﴿ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾(٣).

ورِقاب في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ ﴾(٤).

ج . ما كان اسما على وزن فِعْل. مثل: ذِئب: ذِئاب، قِدْح: قِداح، ظِلّ: ظِلال، رِيح: رِياح .

ومنه رِياح في قوله تعالى: ﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾(٥).

وخرج عن القاعدة، قِدر: قُدُور، وعِطر: عُطور، وغِمد: أَغْماد، ورِدْف: أَرْداف، وحِزْب: أَحْزاب، ومِلْح: أَمْلاح، وحِلْف: أَحْلاف، وعِرْق: أَعْراق.(٦)

ومنه قُدُور في قوله تعالى: ﴿ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍ ﴾(٧).

د . ما كان اسما على وزن فُعْل . مثل: رُمْح: رِماح، وجُرْح: جِراح.

وخَرَجَ، جُرح: جُرُوح، وعُرْف: أَعْراف، وعُمْر: أَعْمار.(٨)

ومنه جُرُوح في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞ ﴾(٩).

هـ . في كل صفة على فعيل بمعنى فاعل مقترنة بالتاء أو مجردة عنها ككَريم وكَريمة وكِرام

١- سورة الزخرف، الآية:٧١.
٢- معجم الأوزان الصرفية، ص ١٠٦.
٣- سورة الحجر، الآية:٨٢.
٤- سورة محمد، الآية: ٤.
٥- سورة الحجر، الآية:٢٢.
٦- النحو الوافي، ٦٤٤/٤.
٧- سورة سبأ، الآية: ١٣.
٨- معجم الأوزان الصرفية، ص ١٠٧.
٩- سورة المائدة، الآية: ٤٥.

ومَريض ومَريضة ومِراض. وسَقيمة: سِقام، ظَريف وظَريفة: ظِراف، طَويل وطَويلة: طِوال، وعَظيم وعَظيمة: عِظام.

وخرج، كريم: كُرَماء، وظَريف: ظُرَفاء، وحَليم: حُلَماء، وبَخيل: بُخَلاء، وعَظيم: عُظَماء. و . ما كان وصفا على وزن: فَعْلان، أو فَعلى، وفَعلانة. مثل: عَطشان، وعَطْشَى: عِطاش. وغَضبان، وغَضْبَى: غِضاب. وخَمْصان: خِماص.

وخرَجَ جمعُ أعْجَف وعَجفاء: عِجاف. وسَمين وسَمينة: سِمان. (١)

ومنه عِجاف في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ﴾(٢)

وزاد عليها الأشموني أوزاناً أخرى: (فِعَالٌ مُطرد في ثمانية أوزان: فَعْل كصَعْب، وفَعْلة كقَصْعَة، وفَعَل كجَبَل، وفَعَلة كرَقَبَة، وفِعْل كذِئب، وفُعْل كرُمح، وفَعِيل وفَعِيلة، وشائع في خمسة أوزان: فَعْلان كغَضْبان، وفَعْلى كغَضْبى، وفَعْلانة كنَدْمانة، وفُعْلان كخُمْصان، وفُعْلانة كخُمْصانة، ومما يحفظ فيه: فَعُول كخَرُوف وخِراف، وفِعْلة كلِقحة ولِقاح، وفَعِل كنَمِر ونِمار، وفِعْلة كنِمْرة ونِمار، وفَعَالة كعَباءة وعِباء، وفي وصف على فاعل كصَائم وصِيام، أو فاعلة كصائمة وصِيام، أو فُعْلى كرُبَّى ورِباب، أو فَعَال كجَوَاد وجِياد، أو فَيْعِل كخَيَّر وخِيار، أو أفْعل كأعْجف وعِجاف، أو فَعلاء كعَجفاء وعِجاف، أو فَعيل بمعنى مَفعول كرَبيط ورِباط، وفي اسم على فُعْلة كبُرْمة وبِرام،أو فَعْل كرَبْع ورِباع، أو فُعُل كجُمُد وجِماد، أو فَعلان كسَرحان وسِراح، أو فَعِيْل كفَصِيل وفِصال، أو فَعُل كرَجُل ورِجال (وبِفُعُولٍ فَعِلٌ نَحْوُ كَبِدْ يُخَصُّ غَالِبَاً). (٣).

١٢- فُعُول : (بضم الفاء والعين)

"بضم أوله وثانيه" ويطرد في ألفاظ: منها: (٤)

الاسم الذي على: "فَعِل" "بفتح فكسر"، نحو: كَبِد وكُبُود، نَمِر، ونُمُور. ومنها الاسم الثلاثي الساكن العين بشرط أن يكون مفتوح الفاء، ليس معتل العين بالواو، نحو: كَعْب وكُعُوب، رَأْس ورُؤوس، عَيْن وعُيُون، فخرج منه، نحو: حَوْض، فلا يجمع على: فُعُول. ومنها الاسم الثلاثي

١- شرح ابن عقيل، ١٢٦/٤.

٢- سورة يوسف، الآية: ٤٣.

٣- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ٤٥٦/١.

٤- النحو الوافي، ٦٥١/٤.

الساكن العين، مكسور الفاء؛ نحو: عِلْم وعُلُوم، حِلْم وحُلُوم، ضِرْس وضُرُوس.

ومنه قُلُوب في قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾(١).

ورُؤوس في قوله تعالى: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾(٢).

ومنها: الاسم الثلاثي ساكن العين، مضموم الفاء بشرط ألا يكون معتل العين بالواو: كحوت، ولا معتل اللام؛ كمُدْي وهو نوع من المكاييل، ولا مضعف اللام؛ كمُدٌّ – لنوع من المكاييل أيضاً– ومن الأمثلة الصحيحة: جُنْد وجُنُود، بُرْد وبُرُود. أما: معتل العين بالواو فالغالب جمعه على: فِعلان؛ مثل: حُوت وحِيتان وأما المعتل اللام فالغالب جمعه على: "أفعال"، نحو: مَدي وأمداء – بقلب يائه همزة؛ طبقا لقواعد الإعلال – وكذلك مضعف اللام، نحو: مُدّ وأمْداد.

ومنها: اسم ثلاثي على وزن: "فَعَل" "بفتح أوله وثانيه" الخالي من حروف العلة. وهذا النوع مختلف في اطراده؛ فقيل: يجمع قياساً على: "فُعُول" وهذا حسن، وقيل سماعا فقط، نحو: أَسَد وأُسُود، وشَجَن وشُجُون. والذين يقولون بقياسيته يشترطون ألا يكون وصفا ولا مضاعفا. فلا يجمعون كلمة: نَصَف (٣) ولا لَبَب (٤) على: نصوف، ولبوب.

ومنه جُنُود في قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾(٥) .

وخرج عن القاعدة: نَهْر: أنْهُر وأنْهار، كَلْب: كِلاب، وأكْلُب، نَجْل: أنْجال. وخرج: أَسَد: أُسُود، وذَكَر: ذُكُور. لأنها مفتوحة الفاء والعين.

وخرج: جَدّ: جُدُود، وحَدّ: حُدُود، وسَدّ: سُدُود، وقَدّ: قُدُود. فهي مضعفة.

ومنه حُدُود في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾(٦) .

وخرج: حِمل: أحمال، وعِرق: أعراق، وغِمد: أغماد، وعُمق: أعماق، وقُفل: أقفال، وعُرف:

١- سورة البقرة، الآية: ٢٢٥.

٢- سورة الصافات، الآية: ٦٥.

٣- النَصَف المرأة المتوسطة السن، انظر المعجم الوسيط، ٩٢٧/٢، وجمهرة اللغة ٢٠٩/٢.

٤- اللَّبَب موضع القلادة من العنق، انظر المحيط في اللغة، ٣١١/١٠، ولسان العرب ٧٣٣/١.

٥- سورة الأحزاب، الآية: ٩.

٦- سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

أعراف.(١)

ومنه أَقْفال في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾(٢) .

١٣-فِعْلان: قياسي في الصيغ الآتية:(٣)

أ/ ما كان اسما على وزن فُعَال، بضم الفاء. مثل: غُراب: غِربان، غُلام: غلمان.

ومنه غِلمان في قوله تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ ﴾(٤).

وخرج عن القاعدة: وَلَد بفتح الفاء والعين وجمع على وِلدان.

كوِلدان في قوله تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾(٥).

ب/ ما كان اسما على وزن فُعَل بضم الفاء، وفتح العين. مثل: صُرَد: صِردان، وجُرَذ: جِرذان.

ج/ ما كان اسما على وزن فُعْل، بضم الفاء، وتسكين العين. مثل: حُوت: حِيتان، عُود: عِيدان، كُوز: كِيزان.

ومنه حِيتان في قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا ﴾(٦).

د/ ما كان اسما على وزن فَعْل معتل العين. مثل: جَار: جِيران، نَار: نِيران، تَاج: تِيجان.

وخرج منه: نِسوَة: نِسوان، وخَرُوف: خِرفان، وغَزال: غِزلان، وقِنْو: قِنوان، وأَخ: إِخْوان.(٧)

ومنه قِنوان في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾(٨).

١- النحو الوافي، عباس حسن، ٦٥٢/١.
٢- سورة محمد، الآية: ٢٤.
٣- معجم الأوزان الصرفية، ص ١٠٨.
٤- سورة الطور، الآية: ٢٤.
٥- سورة الإنسان، الآية: ١٩.
٦- سورة الأعراف، الآية: ١٦٣.
٧- معجم الأوزان الصرفية، ص ١٠٨
٨- سورة الأنعام، الآية: ٩٩.

١٤- فُعْلان: (بضم الفاء وسكون العين)

فُعْلان "بضم فسكون" ويطرد في اسم على وزن: فَعْل "بفتح فسكون"، نحو: ظَهْر وظُهْران، وبَطْن وبُطْنان، وفي اسم صحيح العين على وزن: فَعَل "بفتح ففتح"، نحو: حَمَل وحُمْلان، بَلَد وبُلْدان، ذَكَر وذُكران. وفي اسم على: فَعِيل؛ نحو: رَغِيف ورُغْفان، وكَثِيب وكُثْبان. وفي هذه الأسماء الثلاثة التي تجمع قياسا على: فُعْلان، يقولُ ابنُ مالك: (١)

و"فَعْلا" اسما، و"فَعِيلا" و"فَعَل" غير مُعَلِّ العينِ: فُعْلانٍ شَمَل

ومنه ذُكران في قوله تعالى: ﴿ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗا ﴾(٢).

وخرج عن القاعدة: جَبَل: جِبال، وعَلَم: أَعْلام، وقَلَم: أَقْلام، وهَرَم: أهْرام

كجِبال في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ﴾(٣).

وأعلام في قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴾(٤).

وخرج: قَلْب: قُلُوب، ودَرْب: دُرُوب، وزَرْع: زُرُوع، وسَقْف: سُقُوف، وأسْقُف.

ومنه قُلُوب في قوله تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾(٥).

وخرج: سَهْم: سِهام، وأسْهُم، ووَكْر: أوكار. وخرجَ: جِدار: جُدران، وأعْمى: عُمْيان، وأسود: سُودان، وراهب: رُهبان. (٦)

ومنه عُميان في قوله تعالى: ﴿ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴾(٧).

١- النحو الوافي، عباس حسن، ٦٥٢/٤.
٢- سورة الشورى، الآية: ٥٠.
٣- سورة التكوير، الآية: ٣.
٤- سورة الشورى، الآية: ٣٢.
٥- سورة الرعد، الآية: ٢٨.
٦- النحو الوافي، عباس حسن، ٦٥٣/٤.
٧- سورة الفرقان، الآية: ٧٣.

ورهبان في قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾(١).

١٥- فُعَلاء: (بضم الفاء وفتح العين)

تجمع عليه الأوزان الآتية:(٢)

أ/ ما كان صفة لمذكر عاقل، على وزن فَعِيل بمعنى فاعل، ويشترط صحة اللام، وغير مُضعّفة، ولا واوي العين. مثل: كَريم: كُرَماء، نَبيل: نُبَلاء، عَظيم: عُظَماء، ظَريف: ظُرَفاء، بَخيل: بُخَلاء.

ومنه عُلَماء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾(٣).

ب/ ما كان وصفا لمذكر عاقل على وزن فاعل، بشرط أن تدل على معنى. مثل: عالم: عُلَماء، شَاعر: شُعَراء، عاقل: عُقَلاء، جاهل: جُهَلاء.

ومنه شُعَراء قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴾(٤).

ج/ ما كان وصفا لمذكر عاقل على وزن فعيل بمعنى مُفاعل. مثل: جَليس: جُلَساء، نَديم: نُدَماء، خَليط: خُلَطاء، شَريك: شُرَكاء. (٥)

ومنه شُرَكاء في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِ ﴾(٦).

وخرج عن القاعدة: جَبان: جُبَناء، وخَلِيفَة: خُلَفاء. لأنها ليست على فعيل، ولا فاعل. (٧).

١- سورة التوبة، الآية:٣١.
٢- معجم الأوزان الصرفية، ص ١٠٨.
٣- سورة فاطر، الآية: ٢٨.
٤- سورة الشعراء، الآية: ٢٢٤.
٥- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ٤٥٨/١.
٦- سورة النساء، الآية: ١٢.
٧- شذا العرف في فن الصرف، للشيخ الحملاوي. ص١١٤.

١٦- أفْعِلاء: (بسكون الفاء وكسر العين)

أفعلاء "بفتح، فسكون، فكسر، ففتح" وهو مقيس في كل وصف على وزن: "فَعِيل" "بفتح فكسر" بمعنى: فاعل. بشرط أن يكون مضعفا أو معتل اللام، نحو: "عزيز وأعِزّاء، وشديد وأشِدّاء، وقويّ وأقوِياء، ووليّ وأولياء. ومن القليل الذي لا يقاس عليه: صَدِيق وأصدِقَاء؛ لأنه ليس مُضعّفا، ولا مُعتلّ اللام. وكذلك ظَنِين "أي: مُتهم"، وأظِنّاء؛ لأنه بمعنى مفعول، لا فاعل.(١)

ومنه أولياء في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾(٢).

وأنبياء في قوله تعالى: ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾(٣).

وأشِدّاء في قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾(٤) .

وجمع: عَزيز على أعِزّة، وذَليل على أذِلّة، ودَليل على أدِلّة. (٥)

كأعِزّة في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾(٦) .

١- النحو الوافي، عباس حسن، ٦٥٣/٤.

٢- سورة التوبة، الآية:٧١.

٣- سورة آل عمران، الآية: ١١٢.

٤- سورة الفتح، الآية: ٢٩.

٥- النحو الوافي، عباس حسن، ٦٥٣/٤

٦- سورة النمل، الآية: ٣٤

صيغ منتهى الجموع:

من أنواع جموع الكثرة، وتأتي على أوزان كثيرة أشهرها:

١- فَوَاعِل: وهو مطرد في هذه الأنواع السبعة:(١)

أولها: فَوْعَل، نحو: جَوْهَر وجَواهِر.

ومنه كَواكِب في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾(٢).

وثانيها: فَاعَل – بفتح العين– نحو: طابَع وطَوَابِع.

وثالثها: فَاعِلاء، نحو: قَاصِعاء وقَواصِع (٣).

ورابعها: فاعِل اسماً علماً أو غير علم، نحو: كَاهل وكَواهِل (٤) وخَاتم وخَواتِم.

وخامسها: فاعِل صفة مؤنث، نحو: حائض وحوائض.

وسادسها: فاعِل صفة مذكر غير عاقل، نحو: صَاهل وصَواهِل.

وخرج عن القاعدة: فارس: فوارس، وسابق: سوابق. وهما لمذكر عاقل. وخرج: حاجة: حوائج.

وسابعها: فَاعِلة مطلقا، نحو: ضاربة وضوارب وفاطمة وفواطم وناصية ونواصٍ.

ومنه صَواعِق في قوله تعالى: ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ﴾(٥).

وقَواعِد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ﴾(٦).

وزاد معجم الأوزان الصرفية (فَوْعَلة) نحو صَوْمَعَة صَوَامِع.

١- توضيح المقاصد، ١٤٠١/٣.

٢- سورة الانفطار، الآية: ٢.

٣- قاصعاء: هو جحر اليربوع يقع فيه أي: يدخل. انظر لسان العرب. ٣٥٧/١٠.

٤- كاهل: هو مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق وهو الثلث الأعلى وفيه ست فقرات. انظر القاموس المحيط، ١٣٧٣/١. والمعجم الوسيط، ٨٠٣/٢.

٥- سورة الرعد، الآية: ١٣.

٦- سورة البقرة، الآية: ١٢٧.

وزاد عليه هذا التنبيه: يجمع على فواعيل ما كان مزيدا قبل آخره حرف مد. مثل: طاحونة: طواحين، قارورة: قوارير، ناعورة: نواعير، نافورة: نوافير. (١)

ومنه قوارير في قوله تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ ﴾(٢) .

٢- فَعَائِل:

يطرد في كل اسم، أو صفة رباعية مؤنثة تأنيثا لفظيا، أو معنويا، قبل آخره حرف مد. ويشمل الأوزان الآتية:(٣)

أ/ فعالة: بفتح الفاء، أو ضمها، أو كسرها. نحو: سَحابة: سحائب، ذُؤابة: ذوائب.

ب/ وزن فَعِيلة اسما، أو صفة. نحو: صَحِيفة: صَحائِف، طَرِيقة: طَرائِق، وَدِيعة: وَدائِع، شَعيرة: شَعائِر، رَبيبة: رَبائِب، خَبيثة: خَبائِث، خَليقة: خَلائِق، خَليفة: خَلائِف، نَفيسة: نَفائِس.

ومنه شعائر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾(٤).

وربائب في قوله تعالى:﴿ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾(٥).

وخلائف في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾(٦) .

ج/ فَعُول. نحو: عَجُوز: عَجائِز.

د/ فِعال. نحو: شِمال: شَمائِل، حِبال: حَبائِل.

١- معجم الأوزان الصرفية، ص ١١٠.
٢- سورة الإنسان، الآية: ١٥.
٣- جموع التكسير والتصحيح، عبد المنعم سيد عبد العال، ص ٦٢.
٤- سورة البقرة، الآية: ١٥٨.
٥- سورة النساء، الآية: ٢٣.
٦- سورة الأنعام، الآية: ١٦٥.

ومنه قول جميل بثينة:

صادتْ فُؤادي يا بُثَينُ حِبالُكمْ يومَ المُجونِ وأخطأتْكِ حَبائِلي (١)

٣- فَعَالِي: بياء في آخره: يطرد في الأوزان التالية:(٢)

أ/ فَعلاة بفتح الفاء. نحو: المَوْماة: المَوامِي.(٣)

ب/ فِعلاة بكسر الفاء. نحو: السِعلاة: السَعالِي. (٤)

ج/ فِعلية بكسر الفاء، وتخفيف الياء. نحو: الهِبْرِيَة: الهَبارِي.(٥)

د/ فَعلُوة، بفتح الفاء، وضم اللام. نحو: العَرْقُوة: العَراقِي.(٦)

هـ/ فَعْلاء اسما ووصفا. نحو: الصَحراء: الصَحارِي، العَذراء: العَذارِي.

و/ ما ختم بألف التأنيث المقصورة. نحو: الحُبلى: الحَبالِي.

٤- فَعَالَى:

بألف في آخره. يطرد في الأوزان التالية:(٧)

أ/ ما كان اسما على وزن فعْلى، بفتح الفاء، وضمها، وكسرها. نحو: فَتْوى: فَتاوَى، حُبْلَى: حَبالَى، ذِفْرَى: ذَفارَى.

ب/ ما كان اسما على وزن فَعْلاء. نحو: صَحْراء: صَحارَى.

ج/ ما كان وصفا على وزن فَعْلاء الذي لا وصف له. نحو: عَذْراء: عَذارى.

١- انظر ديوان جميل بثينة، ص٨١ ، والأغاني للأصفهاني، ١٠٦/٨.
٢- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ٤٦٠/١.
٣- المومأة : الصحراء الواسعة التي لا نبات فيها، انظر تاج العروس، ٥٧٥/٣٩.
٤- السعالي: نوع من الغيلان وقيل أخبثها، انظر الصحاح للجوهري، ٧/٦، وتاج العروس، ٢٠١/٢٩.
٥- الهبرية: ما يعلق بأصول الشعر كالنخالة، وزغب القطن، انظر لسان العرب، ٨٨/٤، ومقاييس اللغة، ٢١/٦.
٦- العرقوة: اسم للخشبة المعترضة في فم الدلو، انظر النهاية في غريب الأثر، ٤٤٥/٣.
٧- جموع التكسير والتصحيح، عبد المنعم سيد عبد العال، ص ٦٣.

تنبيه: (١)

يشترك فعالِي وفعالَى فيما كان على فَعْلاء اسما نحو صَحراء أو صفة نحو عَذراء، فسوى بينهما ولم يقيد الصفة، ثم الظاهر بعد هذا ما ذكره في التسهيل وهو أن فَعَالِي يحفظ في نحو عذراء وأن فَعالَى يشاركه فيه فاتضح أنهما غير مقيسين في فعلاء صفة، ويشتركان أيضا في جمع مَهْرِيّ قالوا: مهارٍ ومهارَى، ولا يقاس عليهما، وسوى في التسهيل بين عذراء ومهري، وينفرد فعالِي – بالكسر – بنحو: حِذْرِية (٢) وسِعلاة وعرقوة والمأقي (٣).

د/ ما كان وصفا على وزن فَعلان الذي مؤنثه فَعلى. نحو: سكران: سَكرَى، وسَكَارَى. عطشان: عَطشَى، وعَطاشَى. كسلان: كَسْلَى، وكَسالَى. غضبان: غَضبَى، وغَضابَى. والأفصح ضم أوله فنقول: سُكارَى، وعُطاشَى، وكُسالَى، وغُضابَى.

من ذلك سُكارَى في قوله تعالى:﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ ﴾(٤) .

ومما سمع بالفتح في صيغة "فَعالى" وهو من المحفوظ: حَبِط وحَباطَى، ويتِيم ويَتامَى، وأيِّم وأَيامَى، وطاهِر وطَهارَى.

ومما سمع بالضم، وهو من المحفوظ أيضا: أسير وأُسارَى، قديم وقُدامَى (٥).

ومنه أُسارَى في قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ ﴾(٦) .

٥- فَعالِيّ:

بياء مشددة في أخره: يجمع عليه كل مفرد على ثلاثة أحرف ساكن الوسط، ومزيد في آخره بياء مشددة ليست للنسب. نحو: كرسيّ: كراسيّ، قمريّ: قماريّ، أمنيّة : أماني.

١- توضيح المقاصد، ١٤٠٤/٣.
٢- حِذْرِيَة: هي القطعة الغليظة من الأرض. انظر لسان العرب، ١٧٥/٤، وتاج العروس. ٥٦٧/١٠.
٣- المَأْقِي: هو طرف العين مما يلي الأنف ويقال له: المَوْق والمَاق. انظر لسان العرب، ٣٣٥/١٠، وصحاح الجوهري، ٢٣٩/٥.
٤- سورة الحج، الآية: ٢.
٥- شذا العرف في فن الصرف، ص١١٦.
٦- سورة البقرة، الآية: ٨٥.

وخرج عن القاعدة نحو: قبطيّ وقباطي. لأن ياءه للنسب.(١)

كما أن الجمع السابق يحفظ في: إنسان، وظربان. فقد سمع فيهما: أناسيّ، وظرابيّ، وهما ليسا جمع لأنسي، وظربي، وإنما جمع لإنسان، وظربان، وأصلهما أناسين، وظرابين، فأبدلت النون ياء، وأدغمت الياء في الياء (٢).

وقد جمع على فَعالِي ما كان اسما مزيدا في آخره ألف الإلحاق. نحو: حرباء: حرابيّ. مشددا، أو مخففا. (٣) .

٦- فَعَالِل: بفتح الفاء والعين، وكسر اللام الأولى: يجمع عليه الأوزان التالية: (٤)

أ/ الاسم الرباعي المجرد الذي على وزن فعلل وفعللة بفتح الفاء، وضمها، وكسرها.

نحو: جَعفر: جَعَافِر، بُرثُن: بَراثِن، قُنبلَة: قَنابِل، دِرهَم: دَراهِم، زِبرَج: زَبارِج، سِلسِلة: سَلاسِل.

ومنه سَلاسِل في قوله تعالى: ﴿ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴾(٥).

ب/ الاسم الرباعي المزيد، وعند الجمع تحذف أحرف الزيادة.

نحو: غَضنْفَر: غَضافِر، مُدحرَج: دَحارِج.

بحذف الحرف الزائد في الجمع، إلا إذا كان ما قبل الآخر حرفاً ليّناً، فلا يحذف. نحو: قِنديل: قَنادِيل، عَفرِيت: عَفارِيت. وإذا كان حرف المد ألفا، أو واوا قلب في الجمع ياء. نحو: سَرداح: سراديح (٦)، عُصفور: عَصافِير، فِردوس: فَرادِيس.

ج/ الاسم الخماسي المجرد، ويحذف منه الحرف الخامس، إن كان شبيها بالأحرف الزائدة.

١- شذا العرف في فن الصرف، ص١١٦.
٢- شرح ابن الناظم، ص٧٨٢، وشرح الشافية، ١٦٣/٢.
٣- الكامل في النحو والصرف والإعراب لأحمد قبش، ص ٢٧٨.
٤- التطبيق الصرفي، د . عبده الراجحي، ص١٢٥.
٥- سورة غافر، الآية:٧١.
٦- السرداح: الناقة الكريمة أو الطويلة، انظر تاج العروس، ٤٧١/٦، وجمهرة اللغة، ١٨١/٢.

نحو: سفرجل: سفارج، جَحْمَرِش: جحامر. (١)

د/ الاسم الخماسي المزيد، ويحذف منه عند الجمع حرفان، الحرف الخامس الأصلي، والحرف الزائد في المفرد.

نحو: عندليب: عنادل، خندريس: خنادر (٢)، عنكبوت: عناكب.

والعلة في الحذف أن الأسماء إذا تجاوزت أربعة أحرف، ولم يكن الرابع حرف علة، رد إلى الرباعي بالحذف عند الجمع، والتصغير.

تنبيه: الغالب في الصيغ التي تجمع على "فَعَالِل"، جواز زيادة "ياء" قبل الآخر إن لم تكن موجودة، وحذفها إذا كانت موجودة، وكذلك الأمر في صيغة "مفاعل". نحو: جعافر: جعافير. ونحو: فراديس: فرادس. ونحو: معاذر: معاذير، ونحو: مفاتيح: مفاتح.

ومنه معاذير في قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾(٣).

ومفاتح قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾(٤).

٧- شِبهُ فَعالِل:

وهي أوزان لمنتهى الجموع تشبه صيغة "فَعالِل" السابقة، عدداً وهيئةً، وتخالفها وزنا.

وهذه الأوزان هي(٥): مَفَاعِل كمَسَاجِد، ومَنَازِل، ويَفَاعِل كيَحَامِد، وفَياعِل كصَيارِف، وأَفَاعِل كأَنامِل ونحوها.

أ/ مَفَاعِل ويجمع عليه كل اسم رباعي أوله ميم زائدة على وزن "مِفعَل" بكسر الميم، وفتح العين. نحو: مرجل: مراجل، منجل: مناجل، مغزل: مغازل، مبرد: مبارد، مقعد: مقاعد.

١- جحمرش: المرأة العجوز، انظر الصحاح للجوهري، ١٣٤/٤، والنهاية في غريب الأثر، ٦٩٠/١.
٢- خندريس: الخمر القديمة المعتقة، انظر لسان العرب، ٧٣/٦، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٢٥٢/٢.
٣- سورة القيامة، الآية: ١٥.
٤- سورة الأنعام، الآية: ٥٩.
٥- جموع التكسير والتصحيح، عبد المنعم سيد عبد العال، ص ٧١.

ومنه مَقاعِد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾(١).

أو على وزن "مَفعِل"، بفتح الميم، وكسر العين. نحو: مسجد: مساجد، منزل: منازل، موقد: مواقد، معرض: معارض.

ومنه مَساجِد في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾(٢).

ومَنازِل في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾(٣).

أو على وزن "مَفعَل" بفتح الميم، والعين. نحو: مَلعَب: مَلاعِب، مَطمَع: مَطامِع، مَعبَد: مَعابِد، مَنسَك: مَناسِك.

ومنه مَناسِك في قوله تعالى: ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ﴾(٤).

أو على وزن "مُفعَل"، بضم الميم، وفتح العين. نحو: مُصحَف: مَصاحِف، مُتحَف، مَتاحِف.

ب/ يَفَاعِل: يطرد في الأسماء الرباعية المزيدة بالياء في أولها. نحو: يَحمد: يَحامِد، يَسلم: يَسالِم، يَعبد: يَعابِد.

ج/ فَياعِل: يطرد في الأسماء الرباعية التي ثانيها ياء زائدة. نحو: صَيرف: صَيارِف، بَيرق: بَيارِق، فَيلق: فَيالِق، نَيزك: نَيازِك، بَيدق: بَيادِق.

د/ أَفاعِل: يجمع عليه الآتي:

- كل اسم رباعي على وزن أفعل التفضيل. نحو: أَكرَم: أَكارِم، أَعظَم: أَعاظِم، أَفضَل: أَفاضِل، أَرذَل: أَراذِل، أَكبَر: أَكابِر، أَصغَر: أَصاغِر.

ومنه أراذِل في قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾(٥) .

١- سورة آل عمران، الآية:١٢١.
٢- سورة التوبة، الآية: ١٧.
٣- سورة يس، الآية: ٣٩.
٤- سورة البقرة، الآية: ١٢٨.
٥- سورة هود، الآية: ٢٧.

- كل اسم رباعي أوله همزة زائدة يستوي فيها الفتح، أو الضم، أو الكسر. نحو: أُنمل: أنامل، إصبع: أصابع.

ومنه أنامِل في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾(١) .

وأصابع في قوله تعالى: ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾(٢).

هـ/ أَفاعِيل: يطرد في الأسماء المزيدة التي قبل آخرها حرف مد. نحو: إِضبارة: أَضابِير، أُسلوب: أَساليب، أُنبوب: أَنابِيب.

و/ يَفاعِيل: يطرد في الأسماء المزيدة التي قبل آخرها حرف مد. نحو: ينبوع: ينابيع، يعسوب: يعاسيب،(٣) يعفور: يعافير.(٤)

ومنه ينابيع في قوله تعالى: ﴿ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾(٥) .

ز/ فَعالِيل: يطرد في الأسماء المزيدة التي قبل أخرها حرف. نحو: قِرطاس: قَراطِيس، دِينار: دَنانِير، فِردوس: فَراديس، عُصفور: عَصافِير، قِنديل: قَنادِيل، بِرميل: بَرامِيل.

ومنه قراطيس في قوله تعالى: ﴿ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾(٦) .

ح/ فَياعِيل: يطرد في الأسماء المزيدة التي قبل آخرها حرف مد. نحو: دَيجور: دَياجِير.

ط/ مَفاعِيل: يطرد في كل اسم مزيد مبدوء بميم، قبل آخره حرف مد: نحو: مِفتاح: مَفاتِيح، مِصباح: مَصابِيح، مَسحوق: مَساحِيق، مَعجون: مَعاجِين، مِنديل: مَنادِيل، مَحلول: مَحالِيل.

١- سورة آل عمران، الآية: ١١٩.
٢- سورة البقرة، الآية: ١٩.
٣- اليعسوب: ملك النحل، انظر المخصص لابن سيده، كتاب الطير، ٣٥٥/٢، والنهاية في غريب الأثر، ٤٦٤/٣.
٤- اليعفور: ظبي لونه بلون العفر، انظر لسان العرب، ٥٨٣/٤، وتاج العروس، ٨٦/١٣.
٥- سورة الزمر، الآية: ٢١.
٦- سورة الأنعام، الآية: ٩١.

ومنه مصابيح في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾(١)

ي/ تَفاعِيل: يطرد في كل اسم مزيد بمبدوء بتاء قبل آخره حرف مد . نحو: تِمساح: تَماسِيح، تِمثال: تَماثِيل، تُنبول: تَنابِيل(٢)، تَجويف: تَجاوِيف، تَدريب: تَدارِيب، تَحليل: تَحالِيل، تَرتيل: تراتِيل.

ومنه تماثيل في قوله تعالى: ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾(٣) .

تنبيهات مهمة:

١- قد تلحق التاء المربوطة بعض صيغ منتهى الجموع، فيكون جمعا لمزيد الثلاثي، وتلحق عندئذ المنسوب، لا المنسوب إليه. فمما لحقته ياء النسب، وجمع بإلحاق التاء: مغربي ومغاربة. مشرقيّ ومشارقة. صيرفي وصيارفة. وأما ما جمع بإلحاق التاء دون أن يكون منسوبا، وكان قبل آخره حرف مد زائد، وكانت التاء عوضا من حرف المد المحذوف الآتي: زنديق: زنادقة، ججاح: جحاجحة، (٤) بطريق: بطارقة. وقد تكون التاء في أقصى الجموع لتأكيد الجمع. نحو: ملائكة، وصياقلة. كما تكون في غيره من الجموع. نحو: حجارة، وعمومة.

٢- من الأسماء ما لا يستعمل إلا بصيغة الجمع، حيث لا مفرد له من جنسه. (٥)

نحو أبابيل في قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾(٦) .

١- سورة الملك، الآية: ٥.

٢- التنبول: القصير الكسول، انظر المعجم الوسيط، ٨٩/١.

٣- سورة الأنبياء، الآية: ٥٢.

٤- الججاح: الرجل الكريم. انظر لسان العرب، ٤٢٠/٢، والمعجم الوسيط، ١٠٧/١.

٥- شرح الشافية ١٩٠/١.

٦- سورة الفيل، الآية: ٣.

إعراب جمع الكثرة:

تعرب صيغ جموع الكثرة بالحركات الظاهرة رفعاً بالضمة ونصباً بالفتحة وجراً بالكسرة، مثلها في ذلك مثل جموع القلة، إلا صيغ منتهى الجموع لأنها من الممنوع من الصرف فإنها ترفع بالضمة وتنصب بالفتحة وتجر بالفتحة نيابة عن الكسرة.

وصيغ منتهى الجموع عرفها عباس حسن بقوله: " وصيغة منتهى الجموع هي: كل جمع تكسير بعد ألف تكسيره حرفان، أو ثلاثة أحرف، بشرط أن يكون أوسط هذه الثلاثة حرفاً ساكناً، نحو: مَعابِد، أَقارِب، طَبائِع، جَواهِر، تَجارِب، دَوابُّ، وكذلك مَنادِيل، عَصافير، أحاديث، كراسي، تهاويل، ..." (١).

ومن هذه الأمثلة – وأشباهها– يتضح أن صيغة منتهى الجموع قد تكون على وزن: "مفاعل"، و"مفاعيل"؛ كمعابد ومناديل. وقد تكون على أوزان أخرى ينطبق عليها وصف تلك الصيغة.

ونجد أن جموع التكسير بشقيها القلة والكثرة تختلف عن جموع التصحيح في علامات الإعراب، فجمع المذكر السالم كما مر بنا في الفصل الأول يعرب بالحروف فيرفع بالواو وينصب ويجر بالياء، بينما يعرب جمع المؤنث السالم بالحركات فيرفع بالضمة وينصب ويجر بالفتحة كما مر بنا في الفصل الثاني.

ويتحدث عباس حسن أيضاً عن إعراب الممنوع من الصرف فيقول: "أما الاسم لا الذى ينصرف فتتلخص حركات آخره الظاهرة، أو المقدرة في أنه يرفع بضمة واحدة من غير تنوين، وينصب بفتحة واحدة من غير تنوين، ويجر بفتحة واحدة أيضًا من غير تنوين؛ فهو يختلف عمّا ينصرف فى الأمرين، في عدم التنوين، وفي الجر بالفتحة نيابة عن الكسرة –وإنما يتحقق الاختلاف بشرط ألا يكون مضافًا أومبدوءًا "بأل". فإن كان مضافًا، أومبدوءًا "بأل" وجب جره بالكسرة دون الفتحة، مع حذف التنوين في الحالتين أيضًا؛ لأن التنوين لا يوجد في الاسم المضاف، أو المبدوء "بأل" مهما كان نوعه. (٢)

١- شرح ابن عقيل، ٣٢٩/٣.

٢- النحو الوافي، عباس حسن، ١٧٥/١.

نماذج للإعراب:

نعرض هنا بعض النماذج الإعرابية لتبيان كيفية إعراب جمع الكثرة بالحركات الظاهرة، وإعراب الممنوع من الصرف في صيغ منتهى الجموع. وسيكون التركيز على لفظ الجمع فحسب من خلال بعض الآيات القرآنية على النحو التالي:

١- قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾(١)

وردت الجموع "جُدَد" و"حُمْر" و"بِيض" و"سُود" والجمع "غرابيب" من صيغ منتهى الجموع، وقد جاءت كلها مرفوعة في الآية إما بالابتداء كما في جُدَد التي كان إعرابها في الآية مبتدأً مؤخراً، أو بالتبعية كما في بقية الكلمات فالكلمتان بيض وسود وقعتا نعتاً بينما رفعت حمر وغرابيب بالعطف على ما قبلهما، وكانت علامة رفعها كلها الضمة الظاهرة، ويلاحظ التنوين في كل هذه الجموع عدا غرابيب لمنعها من الصرف. (٢)

٢- قال تعالى: ﴿ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ﴾(٣)

في هذه الآية ورد الجمع "حِجَج" مجروراً بالإضافة وعلامة جره الكسرة الظاهرة ويلاحظ التنوين لأنه غير ممنوع من الصرف. (٤)

٣- قال تعالى: ﴿ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾(٥)

أما إعراب الجمع "قِرَدَة" فهو خبرٌ كان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، ويلاحظ فيه التنوين أيضاً. (٦)

٤- قال تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾(٧)

يلاحظ أن الجمع "مَنازِل" نُصِبَ بفتحةٍ واحدة ولم ينون لأنه ممنوعة من الصرف وإعرابه

١- سورة فاطر، الآية: ٢٧.
٢- إملاء ما من به الرحمن للعكبري، ٢/٢٠٠.
٣- سورة القصص، الآية: ٢٧.
٤- إعراب القرآن، ٣/٢٣٦.
٥- سورة البقرة، الآية: ٦٥.
٦- المجتبى من مشكل إعراب القرآن، ١/٢٦.
٧- سورة يس، الآية: ٣٩.

مفعول به ثانٍ للفعل قدرنا لأنه بمعنى صيرنا أو حال. (١)

٥- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾(٢)

وفي هذه الآية جاء الجمع "مَصَابِيح" مجروراً بحرف الباء وكانت علامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف. بينما جاءت علامة جرّ الشياطين وهو مجرور باللام الكسرة بالرغم من أنه ممنوع من الصرف لأنه من صيغ منتهى الجموع لأنه معرفة بال. (٣)

﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾(٤)

وفي هذه الآية كانت علامة جر لفظ "شَعَائِر" وهو مجرور بحرف الجر من الكسرة بالرغم من أنه ممنوع من الصرف لأنه مضاف. (٥)

١- إملاء ما من به الرحمن للعكبري، ٢٠٣/٢.
٢- سورة الملك، الآية: ٥.
٣- المجتبى من مشكل إعراب القرآن، ٢٦٣/٣.
٤- سورة البقرة، الآية: ١٥٨.
٥- المجتبى من مشكل إعراب القرآن، ٥٤/١.

المبحث الثاني

دلالات جموع الكثرة

اجمع علماء النحو على أن صيغ جموع الكثرة قد وضعت لتدل على الكثرة، في مقابل صيغ جموع القلة التي وضعت لتدل على القلة، والقلة تعني عند علماء النحو العدد الذي لا يتجاوز العشرة، على حين تستخدم صيغة الكثرة لما دل على أكثر من ذلك كما أشرنا من قبل. ولكن المتتبع لورود هذه الصيغ في اللغة عامة وفي القرآن على وجه الخصوص يجدها لا تقتصر على معنى الكثرة فحسب، بل كثيراً ما تتجاوز هذا المعنى لمعان أخرى كثيرة. فهناك ألفاظ لم ترد لها صيغة جمع كثرة وهناك ألفاظ لم ترد لها صيغة جمع قلة، لذا قد تستخدم هذه الصيغة الواحدة سواء أكانت صيغة جمع قلة أو صيغة جمع كثرة لتفيد المعنى الآخر.

ولكن أكثر ما وردت صيغ جموع الكثرة في القرأن الكريم لدلالة الكثرة، فمن ذلك كلمة الشهور التي وردت لتفيد الكثرة بينما استخدم القرآن الكريم الجمع أشهر ليفيد القلة. ولنأخذ لذلك مثالاً بكلمة الشُهُور بزنة (فُعُول) بضم الفاء والعين، في قوله تعالى:﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞ ﴾ (١) فقد وردت لتدل على الكثرة بمعنى العدد الذي يتجاوز العشرة، إذ المعلوم أن الشهور اثنا عشر شهراً كما ورد في الآية، يقول الشيخ الشعراوي في تفسير هذه الآية: "هنا قاعدة لغوية يجب أن نلتفت إليها؛ عندنا في اللغة جمع قلة وجمع كثرة؛ جمع القلة من ثلاثة إلى عشرة، ويختلط الأمر على بعض الناس في مسألة جمع القلة وجمع الكثرة، وجمع التكسير وجمع الصحيح. فجمع القلة وجمع الكثرة، غير الجمع الصحيح؛ لأن التكسير هو أن تكسّر بنية الكلمة، فمثلاً بيت جمعها بيوت، ورسول جمعها رسل؛ هنا كسرْتَ بنية الكلمة أي: غيَّرتها.

أما إن قلت: "مسلم" فجمعها "مسلمون"، وهنا تضيف "واواً ونوناً"، ولكن كلمة "مسلم" صحيحة، أي أننا لم نكسر المفرد. ولكن إن قلت: "سفينة" وجمعها "سفن" تكون قد كسرت المفرد.

وقول الحق هنا: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ فما دام العدد هو اثنا عشر شهراً تكون قد زادت عن جمع القلة؛ لأن جمع القلة من ثلاثة إلى عشرة، وجمع القلة يعاملونه معاملة الجماعة. وإن زاد على عشرة يعاملونه معاملة المفرد المؤنث، مثل وضع

١- سورة التوبة، الآية: ٣٦.

الشهور الأربعة المحرمة في كتاب الله، ولذلك قال: ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾. وجاء هنا بـ "نون النسوة" للجمع. والقاعدة – كما قلنا – إنّ جمع القلة يعامل معاملة الجماعة، فإن كان جمع كثرة عومل معاملة المفرد المؤنث؛ لأن الفرد يكون معصوماً بالجماعة، أي أنه بمفرده ضعيف. فإن وجد جماعة ينتمي إليها فهو يُحِسُّ بالقوة". (١)

كذلك ورد الجمع ألوف بزنة (فُعُول) بضم الفاء والعين، في القرآن الكريم ليفيد الكثرة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾(٢) . فقد جاء في تفسير البحر المحيط في تفسير هذه الآية: "في هذا تنبيه على أن الكثرة والتعاضد، وإن كانا نافعين في دفع الأذيات الدنيوية، فليسا بمغنيين في الأمور الإلهية. وهي جملة حالية، وألوف جمع ألف جمع كثرة، فناسب أن يفسر بما زاد على عشرة آلاف، فقيل: ستمائة ألف. وقال عطاء: تسعون، وقيل: ثمانون، وقال عطاء أيضاً سبعون وقال ابن عباس: أربعون. وقال أيضاً: بضع وثلاثون. وقال أبو مالك: ثلاثون، يعنون ألفاً.

وقد فسر بما هو لأدنى العدد استعير لفظ الجمع الكثير للجمع القليل، فقال أبو روق: عشرة آلاف، وقال الكلبي ومقاتل: ثمانية، وقال أبو صالح: سبعة، وقال ابن عباس، وابن جبير: أربعة وقال عطاء الخراساني: ثلاثة آلاف. وقال البغوى: أَلاوْلى قول من قال: إنهم كانوا زيادة على عشرة آلاف، لأن ألوفاً جمع الكثير، ولا يقال لما دون العشرة آلاف ألوف".(٣)

ويعضد هذا الرأي قول الصابوني فقد قال في ذلك: "[ألوف] جمع ألف جمع كثرة وفي القلة آلاف، ومعناه كثرة كاثرة وألوف مؤلفة".(٤)

ومما ورد في القرآن من جموع الكثرة وقد أريد به الكثرة الجمع (خُشُب) بضم الخاء والشين، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾(٥). يقول صاحب السراج المنير في تفسير هذه الآية: "{كأنهم} أي: في حسن

١- تفسير الشعراوي، ص ١٢٥٨.

٢- سورة البقرة، الآية: ٢٤٣.

٣- تفسير البحر المحيط، ٢/ ١٨٣.

٤- صفوة التفاسير، الصابوني، ١/ ٩٦.

٥- سورة المنافقون، الآية: ٤.

ظواهرهم وسوء بواطنهم، وفي عدم الانتفاع بهم في شيء {خُشُب} جمع كثرة لخَشَبة، وهو دليل على كثرتهم {مُسَنَّدَة} أي: قطعت من مغارسها ممالة إلى الجدار. وقرأ أبو عمرو والكسائي بسكون الشين، والباقون بضمها".(١)

ولا شك أنّ الجمع رُسُل بزنة (فُعُل) بضم الفاء والعين، وهو جمع رسول، يفيد الكثرة. فالرسل من المؤكد أنهم كثر. وقد ورد هذا الجمع في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ﴾(٢). كما ورد في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾(٣). قال صاحب تفسير التحرير والتنوير: "والجمع في الرسل للعدد والتعريف للجنس وهو مراد به التكثير قاله صاحب «الكشاف» أي لأن شأن لفظ الجنس المعرف إذا لم يكن عهد أن يدل على الاستغراق فلما كان الاستغراق هنا متعذراً دل على التكثير مجازاً لمشابهة الكثير بجميع أفراد الجنس كقولك لم يبق أحد في البلد لم يشهد الهلال إذا شهده جماعات كثيرة وهو قريب من معنى الاستغراق العرفي".(٤)

وجاء أيضاً ما يؤكد هذا القول في تفسير الكشف والبيان: "وقفينا (أردفنا واتبعنا) من بعده بالرسل (رسولاً بعد رسول). يُقال: مضى أثرهُ وقفا غيره؛ في التعدية وهو مأخوذ من قفا الأنسان".(٥)

ومن ذلك أيضاً الجمع سُنَن بزنة (فُعَل) بضم الفاء وفتح العين، جمع سُنّة بضم السين والنون المشددة. نجده في قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾(٦). وقد اختلفت الأقوال وكثرت في تفسيرها ولكنها في مجملها لا تخرج عن كون هذا الجمع يفيد الكثرة. هذه الأقوال المتعددة أجملها ابن عادل في اللباب فقال: "والسُّنَن: جمع سُنَّة، وهي الطريقة التي يكون عليها الإنسان ويلازمها، ومنه سُنَّة الأنبياء.

١- تفسير السراج المنير، ٤/ ٢١١.
٢- سورة البقرة، الآية: ٨٧ .
٣- سورة الحديد، الآية: ٢٧.
٤- التحرير والتنوير، ٤٤٧/١.
٥- الكشف والبيان، ٢٣٢/١.
٦- سورة آل عمران، الآية: ١٣٧

قال خالد الهُذَلِي لخاله أبي ذُؤيب:

فَلاَ تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا فَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا (١)

وقال لبيد:

مِنْ مَعشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمامُهَا (٢)

وقال المفضَّل: السُّنَّة: الأمة، وأنشد:

مَا عَايَنَ النَّاسُ مِنْ فَضْلٍ كَفَضْلِكُمُ وَلاَ رَأَوْا مِثْلَكم فِي سَالِفِ السُّنَنِ (٣)

ولا دليل فيه؛ لاحتمال أن يكون معناه: أهل السنن. وقال الخليل: سَنَّ الشيء بمعنى: صوره، ومنه: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾(٤). أي: مُصَوَّر وقيل: سنّ الماء والدرع إذا صبهما، وقوله: (مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ) يجوز أن يكون منه، ولكن نسبة الصب إلى الطين بعيدة. وقيل: مسنون، أي: متغير. وقال بعض أهل اللغة: هي فُعْلة من سَنَّ الماء، يسنه، إذا والى صَبَّه، والسَّنُّ: صَبُّ الماء والعرق ونحوهما. وأنشد لزهير :

نُعَوِّدُهَا الطراد فكُلَّ يَوْمٍ تُسَنُّ عَلَى سَنَابِكِهَا الْقُرُونُ (٥)

أي: يُصب عليها من العرق، شبَّه الطريقة بالماء المصبوب، فإنه يتوالى جرْيُ الماء فيه على نَهْج واحد ، فالسُّنَّة بمعنى : مفعول ، كالغُرْفَةِ".

وقال أكثر المفسرين: المراد: سنن الهلاك؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾(٦)؛ لأنهم لما خالفوا الرُّسُلَ؛ لحرصهم على الدنيا، ثم انقرضوا، ولم يَبْقَ من دنياهم أثر وبقي اللعن في الدنيا، والعقاب في الآخرة عليهم، فرغَّب الله تعالى أمَّةَ محمد (صلى الله عليه وسلم) في الإيمان بالتداخل في أحوال هؤلاء الماضين، ليصير ذلك داعياً لهم إلى الإيمان بالله ورُسُله، والإعراض عن الرياسة في طلب الدنيا والحياة".(٧)

وبالرغم من أنّ كلمة رَجُل بفتح الراء وضم الجيم ليس لها جمع قلة، ولم ترد لها في اللغة غير صيغة جمع واحدة هي رجال بزنة (فِعَال) بكسر الفاء وفتح العين، إلا أنها قد وردت

١- انظر الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ٢٩١/٦. والشعر والشعراء، ١٤٠/١. ومجمع الأمثال، ٢٤٧/٢.

٢- انظر ديوان لبيد، ١٠٦/١. وشرح المعلقات التسع، ١٣٠/١. وجمهرة أشعار العرب، ٤١/١.

٣- انظر نهاية الأرب في فنون الأدب، ٨٢/١٧.

٤- سورة الحجر، الآية: ٢٨.

٥- انظر ديوان زهير بن أبي سلمى، ٣٥/١. والمعاني الكبير، ٢/١.

٦- سورة الزخرف، الآية: ٢٥.

٧- اللباب في علوم الكتاب لابن عادل، ٥٤٨/٥ وما بعدها.

في القرآن في مواضع كثيرة في معظمها كانت لدلالة الكثرة. ولنأخذ لذلك مثالاً بقوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾(١)

جاء في تفسير البحر المديد في تفسير هذه الآية: "{وبث} أي: نشر {رجالاً كثيرًا ونساء} أي: نشر من تلك النفس الواحدة بنين وبنات. قال البيضاوي: واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء، إذْ الحكمة تقتضي أن يكنَّ أكثر، وذكر: {كثيرًا} حملاً على الجمع". (٢)

وأيده في ذلك صاحب البحر المحيط بقوله: "وبث منهما أي من تلك النفس، وزوجها أي: نشر وفرق في الوجود. ويقال: أبث الله الخلق رباعياً، وبث ثلاثياً، وهو الوارد في القرآن رجالاً كثيراً ونساء. قيل: نكر لما في التنكير من الشيوع، ولم يكتف بالشيوع حتى صرح بالكثرة وقدم الرجال لفضلهم على النساء، وخص رجالاً بذكر الوصف بالكثرة، فقيل: حذف وصف الثاني لدلالة وصف الأول عليه، والتقدير: ونساء كثيرة. وقيل: لا يقدر الوصف وإن كان المعنى فيه صحيحاً، لأنّه نبه بخصوصية الرجال بوصف الكثرة، على أن اللائق بحالهم الاشتهار والخروج والبروز، واللائق بحال النساء الخمول والاختفاء. وفي تنويع ما خلق من آدم وحوّاء إلى رجال ونساء دليل على انتفاء الخنثى، إذ حصر ما خلق في هذين النوعين، فإنْ وجد ما ظاهره الإشكال فلا بد من صيرورته إلى هذين النوعين".(٣)

ومما ورد في القرآن أيضاً من جموع الكثرة وقد أفاد الكثرة الجمع عُقُود بزنة (فُعُول) بضم الفاء والعين، وهو جمع عَقْد بفتح العين وسكون القاف. فقد جاء في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾(٤). جاء في تفسير التحرير والتنوير في هذه الآية: "والعقود جمع عقد بفتح العين، وهو الالتزام الواقع بين جانبين في فعل مّا. وحقيقته أنّ العقد هو ربط الحبل بالعروة ونحوها، وشدّ الحبل في نفسه أيضاً عقد. ثم استعمل مجازاً في الالتزام، فغلب استعماله حتّى صار حقيقة عرفية، قال الحطيئة:

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم شدّوا العِناج وشدّوا فوقه الكَرَبَا (٥)

فذكر مع العقد العناج وهو حبل يشدّ القربة، وذكر الكَرَب وهو حبل آخر للقربة: فرَجَعَ بالعقد المجازيّ إلى لوازمه فتَخيّل معه عناجاً وكرباً، وأراد بجميعها تخييل الاستعارة.

١- سورة النساء، الآية: ١.

٢- البحر المديد، ٣/٢.

٣- البحر المحيط، ١٢٥/٣.

٤- سورة المائدة، الآية: ١.

٥- انظر ديوان الحطيئة، ١٧/١ ، وزهر الآداب وثمر الألباب، ٣٠/١ ، وشرح أدب الكاتب، ٩١/١.

فالعقد في الأصل مصدر سمّي به ما يعقد، وأطلق مجازاً على التزام من جانبين لشيء ومقابله، والموضع المشدود من الحبل يسمّى عُقدة. وأطلق العقد أيضاً على الشيء المعقود إطلاقاً للمصدر على المفعول، فالعهود عقود، والتحالف من العقود، والتبايع والمؤاجرة ونحوهما من العقود، وهي المراد هنا. ودخل في ذلك الأحكام التي شرعها الله لنا لأنّها كالعقود، إذ قد التزمها الداخل في الإسلام ضمناً، وفيها عهد الله الذي أخذه على الناس أن يعبدوه ولا يشركوا به.

ويقع العقد في اصطلاح الفقهاء على إنشاء تسليم أو تحمّل من جانبين؛ فقد يكون إنشاء تسليم كالبيع بثمن ناض؛ وقد يكون إنشاء تحمّل كالإجارة بأجر ناض، وكالسلم والقراض؛ وقد يكون إنشاء تحمّل من جانبين كالنكاح، إذ المهر لم يُعتبر عوضاً وإنَّما العوض هو تحمّل كلّ من الزوجين حقوقاً للآخر. والعقود كلّها تحتاج إلى إيجاب وقبول". (١)

وجاء في تفسير بحر العلوم في تفسير الآية ذاتها ما يفيد المعنى المقصود: "أوفوا بالعقود، يعني أتموا الفرائض التي ذكر الله تعالى في القرآن، وعقد على عباده ما أحل لهم وحرم عليهم أن يوفوا بها. وقال مقاتل: أوفوا بالعقود، يعني بالعهود التي بينكم وبين المشركين، ويقال جميع العقود التي بينه وبين الناس والتي بينه وبين الله تعالى وهذا من جوامع الكلم لأنه اجتمع فيه ثلاثة أنواع من العقود، أحدها العقود التي عقدها الله تعالى على عباده من الأوامر والنواهي، والنوع الثاني العقود التي يعقدها الإنسان بينه وبين الله تعالى من النذور والأيمان وغير ذلك، والنوع الثالث العقود التي بينه وبين الناس مثل البيوع والإجارات وغير ذلك فوجب الوفاء بهذه العقود كلها". (٢)

ومن الجموع التي أفادت الكثرة في القرآن من صيغ الكثرة الجمع شِيَع على وزن (فِعَل) بكسر الفاء وفتح العين، جمعاً لكلمة شِيعة بزنة (فِعْلَة) بكسر الفاء وسكون العين وفتح اللام، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ ﴾(٣). وإن كان المفرد شيعة اسم جمع يفيد الكثرة إلا أنه يجمع جمع كثرة ليفيد الكثرة بمعنى آخر، انظر في ذلك ما ورد في تفسير البحر المديد في تفسير هذه الآية: "يقول الحقّ جلّ جلاله: {إن الذين فرقوا دينهم}؛ فآمنوا بالبعض وكفروا بالبعض، وهم اليهود والنصارى، وقيل: أهل الأهواء والبدع،

١- التحرير والتنوير، ١٩١/٤.

٢- بحر العلوم، ٣٨٩/١.

٣- سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.

فيكون إخبارًا بغيب، وفي الحديث أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال:"افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة" قيل: يا رسول الله، وما تلك الواحدة؟ قال: "من كان على ما أنا عليه وأصحابي".(١) وقرىء: "فارقوا" أي: تركوا دينهم، {وكانوا شيعًا}؛ جمع شيعة، أي: فرقًا متشيعة، كل فرقة تتشيع لمذهبها وتتشيع لإمامها، أي: تنتسب إليه. {لستَ منهم في شيء} أي: أنت بريء منهم، فلست في شيء من السؤال عنهم وعن تصرفهم، أو عن عقابهم، وقيل: هو نهي عن التعرض لهم؛ فيكون منسوخًا بآية السيف.

والافتراق المذموم، إنما هو في الأصول؛ كالتوحيد وسائر العقائد، فقد افترقت المعتزلة وأهل السنة في مسائل منه، فخرج من المعتزلة اثنان وسبعون فرقة، وأهل السنة هي الفرقة الناجية، وأما الاختلاف في الفروع فلا بأس به، بل هو رحمة لقوله (عليه الصلاة والسلام): "خلاف أمتي رحمة"، كاختلاف القراء في الروايات، واختلاف الصوفية في كيفية التربية، فكل ذلك رحمة وتوسعه على الأمة المحمدية، إذ كل من أخذ بمذهب منها فهو سالم، ما لم يتبع الرخص. والله تعالى أعلم".(٢)

ومن ذلك أيضاً الجمع منازل بزنة (مَفاعِل) بفتح الميم وكسر العين، وهي من صيغ منتهى الجموع وقد وردت في القرآن الكريم في منازل القمر في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾(٣). وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾(٤). فقد جاء في تفسير التحرير والتنوير في تفسير الآية الأولى: "والمنازل: جمع منزل، وهو مكان النزول. والمراد بها هنا المواقع التي يظهر القمر في جهتها كل ليلة من الشهر. وهي ثمان وعشرون منزلة على عدد ليالي الشهر القمري. وإطلاق اسم المنازل عليها مجاز بالمشابهة وإنما هي سموت يلوح للناس القمر كل ليلة في سمت منها، كأنه ينزل بها. وقد رصدها البشر فوجدوها لا تختلف. وعلم المهتدون منهم أنها ما وجدت على ذلك النظام إلا بصنع الخالق الحكيم".(٥)

١- الحديث في الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ٣٩٦/٢ ، والجامع الكبير للسيوطي، ٤٢١٤/١.

٢- البحر المديد، ٣٢٨،٣٢٩/٢.

٣- سورة يونس، الآية: ٥.

٤- سورة يس، الآية: ٣٩.

٥- التحرير والتنوير، ٢٠/١١.

كما أكد الجزائري دلالتها على الكثرة في تفسير الآية الثانية بقوله: "وآية أخرى هي تقدير منازل القمر التي هي ثمان وعشرون منزلة".(١)

وأكد هذا المعنى صاحب البحر المديد في تفسير آية يس، بل وفصل هذه المنازل بقوله:"{قدَّرناه منازلَ} وهي ثمانية وعشرون منزلاً : فرع الدلو المقدم، فرع الدلو المؤخر، بطن الحوت، النطْح، البُطَيْن، الثُّريَّا، الدَّبَران، الهَقْعَة، الهَنْعَة، الذِّراع، النَّثْرة، الصَّرْفَة، الجَبْهَة، الطَّرْفة، الزَّبرة، العَوَّاء، السِّمَاك، الغَفْر، الزَّبَاني، الإِكْليل، القَلْب، الشَّوْلة، النعَائِم، البَلْدة، سَعْدُ الذَّابح، سعد السُّعُود، سَعْد الأخبية، ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاها، ولا يتقاصر عنها. على تقدير مستوٍ، يسيرُ فيها من ليلة المستهلّ إلى الثامنة والعشرين، ثم يستتر ليلتين، أو ليلة إذا نقص الشهر".(٢)

وكذلك نجد الجمع أساطير بزنة (أفاعيل) ورد كثيراً في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾(٣). وقد أفادت الكثرة في هذه الآية وفي غيرها، ومما يؤكد ذلك ما قاله صاحب التحرير والتنوير في تفسير هذه الآية: "والأساطير: جمع أسطار الذي هو جمع سطر. فأساطير جمع الجمع. وقال المبرد: جمع أسطورة بضم الهمزة كأرجوحة. وهي مؤنثة باعتبار أنها قصة مكتوبة. وهذا الذي ذكره المبرد أولى لأنها أساطير في الأكثر يعني بها القصص لا كل كتاب مسطور".(٤)

ومما أفاد الكثرة أيضاً الجمع جياد بزنة (فِعال) بكسر الفاء في قوله تعالى: ﴿ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴾(٥) . فقد ذكر المفسرون أنّ هذه الجياد التي عرضت على سيدنا سليمان عليه السلام كانت نحواً من ألف وهذا ما يؤكد دلالة الكثرة في اللفظ، جاء في تفسير التسهيل لعلوم التنزيل في ذلك قوله: "اختلف الناس في قصص هذه الآية، فقال الجمهور إنّ سليمان عليه السلام عرضت عليه خيل كان ورثها عن أبيه، وقيل أخرجتها له الشياطين من البحر وكانت ذوات أجنحة، وكانت ألف فرس، وقيل أكثر فتشاغل بالنظر إليها حتى غربت الشمس وفاتته صلاة العشى العصر فأسف لذلك وقال ردوا علي الخيل وطفق يضرب أعناقها

١- أيسر التفاسير للجزائري، ٣٧٧/٤.
٢- البحر المديد، ٢٢٧/٦.
٣- سورة النحل، الآية: ٢٤.
٤- التحرير والتنوير، ١٠٥/١٣.
٥- سورة ص، الآية: ٣١.

وعراقيبها بالسيف حتى عقرها لما كانت سبب فوات الصلاة، ولم يترك منها إلا اليسير فأبدله الله أسرع منها وهي الريح. وأنكر بعض العلماء هذه الرواية وقال تفويت الصلاة ذنب لا يفعله سليمان، وعقر الخيل لغير فائدة لا يجوز فكيف يفعله عليه السلام، وأي ذنب للخيل في تفويت الصلاة. فقال بعضهم إنما عقرها ليأكلها الناس وكان زمانهم زمان مجاعة فعقرها تقربا إلى الله، وقال بعضهم لم تفته الصلاة ولا عقر الخيل بل كان يصلي فعرضت عليه الخيل فأشار إليهم فأزالوها حتى دخلت اصطبلاتها فلما فرغ من صلاته قال ردوها علي فطفق يمسح عليها بيده كرامة لها. وقيل إن المسح عليها كان وسما في سوقها وأعناقها بوسم حبس في سبيل الله".(١)

ومن ذلك أيضاً الزُمَر بزنة (فُعَل) بضم الفاء وفتح العين، بمعنى الجماعات المتفرقة كثيرة العدد وردت في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾(٢). وقوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًا ﴾(٣). جاء في تفسير أضواء البيان عن الزُمَر في الآيتين قوله: " الزمر: الأفواج المتفرقة، واحده: زُمْرَة، وقد عبر تعالى عنها هنا بالزمر، وعبر عنها في الملك بالأفواج في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٌ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ﴾(٤)، وعبر عنها في الأعراف بالأمم في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَا ﴾(٥). وقال في فصلت: ﴿وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ ﴾(٦). وقال تعالى: ﴿هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴾(٧)" . (٨)

وجاء في تفسير الكشف والبيان أيضاً أن معناها الجماعات المتفرقة، يقول: "إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً أفواجاً بعضها على أثر بعض، كل أمة على حدة. وقال أبو عبيد والأخفش: يعني جماعات في تفرقة، واحدتها زمرة" . (٩)

١- التسهيل لعلوم التنزيل، ٤٤٨/٢.
٢- سورة الزمر، الآية: ٧١.
٣- سورة الزمر، الآية: ٧٣.
٤- سورة الملك، الآية: ٨.
٥- سورة الأعراف، الآية: ٣٨.
٦- سورة فصلت، الآية: ٢٥.
٧- سورة ص، الآية: ٥٩.
٨- أضواء البيان، ٣٦٩/٦.
٩- الكشف والبيان، ٢٥٧/٨.

ومنه أيضاً المَرَاضِع بزنة (مَفَاعِل) بفتح الميم والفاء وكسر العين، في قوله تعالى: ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ ﴾ (١). جاء في تفسيرها في البحر المديد:"قلت: المراضع جمع مُرضِع، وهي المرأة التي ترضع، أو: مَرْضَع – بالفتح – : موضع الرضاع ، وهو الثدي. يقول الحق جل جلاله : {وحرّمنا عليه المراضِعَ} أي: تحريم منع، لا تحريم شرع، أي: منعناه أن يرضع ثَدْياً غَيْرَ ثدي أمه. وكان لايقبل ثدي مرضع حتى أهمهم ذلك. {من قبلُ} أي: من قبل قَصَصِها أثره، أو: من قبل أن نرده إلى أمه. (٢)

كما تناول تفسير التحرير والتنوير الآية نفسها بقوله: "والفاء في قوله {فقالت} فاء فصيحة تؤذن بجملة مقدرة، أي فأظهرت أخته نفسها كأنها مرت بهم عن غير قصد. وإنما قالت ذلك بعد أن فشا في الناس طلب المراضع له وتبديل مرضعة عقب أخرى حتى عرض على عدد كثير في حصة قصيرة، وذلك بسرعة مقدرة آل فرعون وكثرة تفتيشهم على المراضع حتى ألفوا عدداً كثيراً في زمن يسير، وأيضا لعرض المراضع أنفسهن على آل فرعون لما شاع أنهم يتطلبون مُرضِعاً. وعرضت سعيها في ذلك بطريق الاستفهام المستعمل في العرض تلطفاً مع آل فرعون وإبعاداً للظن عن نفسها".(٣)

ومن ذلك أيضاً الجمع ظُلَل بزنة (فُعَل) في قوله تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ (٤) . فقد جاء في تفسير البحر المديد أنها في هذه الآية أفادت الكثرة، قال: "{لهم من فوقهم ظُلَلٌ من النار} أي: لهم ظلل كثيرة متراكمة بعضها فوق بعض، كائنة من النار، {ومن تحتهم} أيضاً {ظُلَلٌ} أي: أطباق كثيرة، بعضها تحت بعض، هي ظلل لآخرين. {ذلك} العذاب الفظيع هو الذي {يُخوِّف اللهُ به عبادَه} ويُحذِّرهم إياه؛ ليجتنبوا ما يوقعهم فيه. (٥)

ونأخذ مثالاً أخيراً للجموع التي أفادت الكثرة من صيغ جموع الكثرة بالجمع (جُنْد) بزنة (فُعْل) بضم الفاء وسكون العين في قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴾ (٦). فقد ذكر المفسرون أن هذا الجمع يفيد الكثرة في هذه الآية وفي غيرها من الآيات، جاء في التحرير والتنوير: "وضمير {لَهُمْ} للمشركين، أي والأصنام للمشركين جند محضرون، والجند

١- سورة القصص، الآية: ١٢.
٢- البحر المديد، ٣٨٥/٥.
٣- التحرير والتنوير، ٢٥/٢٠.
٤- سورة الزمر، الآية: ١٦.
٥- البحر المديد ٣٧٦/٦.
٦- سورة يس، الآية: ٧٥.

العدد الكثير. والمحضر الذي جيء به ليحضر مشهداً. والمعنى: أنهم لا يستطيعون النصر مع حضورهم في موقف المشركين لمشاهدة تعذيبهم ومع كونهم عدداً كثيراً ولا يقدرون على نصر المتمسكين بهم، أي هم عاجزون عن ذلك، وهذا تأييس للمشركين من نفع أصنامهم. ويجوز العكس، أي والمشركين جند لأصنامهم محضرون لخدمتها. ويجوز أن يكون هذا إخبارا عن حالهم مع أصنامهم في الدنيا وفي الآخرة".(١)

ونقول بعد ذلك أن صيغ جموع الكثرة لها دلالات أخرى غير إفادة الكثرة فمنها **المبالغة**. ومما أفاد المبالغة من هذه الصيغ الجمع ليالٍ بزنة (فَعَالِي) بفتح الفاء والعين وكسر اللام في قوله تعالى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾(٢). جاء في نظم الدرر أنّ هذا الجمع للمبالغة إذ قال: "ولما كانت هذه السورة لتحقيق الأمور، وكشف المشكل وإيضاح الخفي، حقق فيها زمن عذابهم تحقيقاً لم يتقدم مثله، فذكر الأيام والليالي، وقدم الليالي لأن المصايب فيها أفظع وأقبح وأشنع لقلة المغيث والجهل بالمأخذ والخفاء في المقاصد والمنافذ، ولأن عددها مذكر في اللفظ، وتذكير اللفظ أدل على قوة المعنى ولذلك جعل المميز جمع كثرة، ولأنها سبع، والسبع مبالغ فيه وهو أجمع العدد كما يأتي تحقيقه قريباً في حملة العرش ولا يمكن أن يظن بتقديمها أن ابتداء العذاب كان فيها لأنه يلزم حينئذ أن يكون بعدد الأيام فلذلك قال: (سبع ليال) أي لا تفتر فيها الريح لحظة لأنه بولغ في شدتها مبالغة لم يكن مثلها قط ولا يكون بعدها أبداً (وثمانية أيام) كذلك حال كونها (حسوماً) جمع حاسم أي بحس مانع من التصرف دائم متتابع لا فترة له، من حسم الكي – إذا تابع فيه بالمكواة، قاطع لكل خير، مستأصل له، فأتت عليهم من غير فترة أصلاً في جميع الوقت فاستأصلتهم لم تبق منهم أحد حتى أن عجزاً منهم توارت في سرب فانتزعتها وأهلكتها، وبها سميت أيام العجوز، أو لأنها عجز الشتاء وهي ذات برد ورياح شديدة وهي من صبيحة الأربعاء لثمان بقين من شوال إلى غروب الأربعاء الآخر وهو آخر الشهر، وقد لزم من زيادة عدد الأيام أن الابتداء كان بها قطعاً وإلا لم تكن الليالي سبعاً – فتأمل ذلك".(٣)

كما يرى الكثير من علماء النحو أن بعض صيغ جموع الكثرة وضعت لتفيد المبالغة مثل (فُعَّل) بضم الفاء وفتح العين المشددة، ومن الملعوم أنّ التشديد كثيراً ما يكون للمبالغة، ومما

١- التحرير والتنوير، ٢٢/٢٧٥.

٢- سورة الحاقة، الآية: ٧.

٣- نظم الدرر، ٨/ ١٢٢.

جاء على هذه الصيغة في القرآن الكريم الجمع سُجّد جمع ساجد بزنة فاعل في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(١). وفي قوله تعالى: ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾(٢). فقد ذكر ابن عادل في اللباب أن هذا الجمع للمبالغة فقال: "قوله: "الْبَابَ سُجَّداً" حال من فاعل "ادْخُلُوا" وهو جمع "سَاجِد". قال أبو البقاء "وهو أبلغ من السجود"، يعنيك أنّ جمعه على "فُعَّل" فيه من المُبَالغة ما ليس في جمعه على "فُعُول".(٣)

كما ذكر الثعالبي في تفسيره أيضاً ما يؤكد هذا المعنى فقال: "وقوله تراهم رُكّعاً سُجّداً أي ترى هاتين الحالتين كثيراً".(٤)

ومما أفاد المبالغة أيضاً من جموع الكثرة الجمع سُعُر بضمتين على وزن (فُعُل) في قوله تعالى: ﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴾(٥). فقد ذكر المفسرون أن سعيراً جمعت على سُعُر لدلالة المبالغة، يقول صاحب التحرير والتنوير في تفسير هذه الآية: "فالمعنى: أنهم في ضلال وسعر يوم القيامة وَ{سُعُرٍ} جمع سعير، وهو النار، وجمع السعير لأنه قوي شديد".(٦)

ومن ذلك أيضاً الجمع شُهَداء بزنة (فُعَلاء) بضم الفاء وفتح العين لأنه جمع لشَهِيد على وزن (فَعِيل) بفتح الفاء وكسر العين، وهذا الوزن من أوزان صيغ المبالغة، وقد ورد هذا الجمع في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(٧). وقد ذكر أبو حيان الأندلسي أن هذا الجمع للمبالغة فقال: "شهداءكم من يشهدهم ويحضرهم من الأعوان والأنصار، قاله ابن قتيبة. وروي عن ابن عباس، أو من يشهد لكم، أن ما تأتون به مثل القرآن، روي عن مجاهد وكونه جمع شهيداً حسن من جمع شاهد لجريانه على قياس جمع فعيل نحو هذا. ولما في فعيل من المبالغة وكأنه أشار إلى

١- سورة البقرة، الآية: ٥٨.
٢- سورة الفتح، الآية: ٢٩.
٣- اللباب في علوم الكتاب لابن عادل، ٩٣/٢.
٤- تفسير الثعالبي، ١٨٢/٤.
٥- سورة القمر، الآية: ٢٤.
٦- التحرير والتنوير، ٢٠٤/٢٧.
٧- سورة البقرة، الآية: ٢٣.

أن يأتوا بشهداء بالغين في الشهادة يصلحون أن تقام بهم الحجة. {مِّن دُونِ اللَّهِ}: تتعلق بادعوا، أي وادعوا من دون الله شهداءكم، أي لا تستشهدوا بالله فتقولوا: الله يشهد أنه حق".(١)

ومما يدهشك في التعبير القرآني جمع غيوب على وزن فُعُول بضم الفاء والعين، وهو جمع كلمة غَيب، إذ كيف يجمع الغَيب، فالغيب واحد قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(٢). فلماذا جمع الغيب في قوله تعالى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾(٣) . يقول ابن عادل في ذلك: "وجُمِعَ الغيبُ هنا، وإنْ كان مصدراً لاختلافِ أنواعه، وإن أريدَ به الشيءُ الغائب".(٤)

بينما جاءت الإشارة للمبالغة في تفسير النكت والعيون: "وفي قوله: (عَلاَّمُ الْغُيُوْبِ) تأويلان: أحدهما: أنه مبالغة. والثاني: أنه لكثير المعلومات.

فإن قيل: فلم سألهم عما هو أعلم به منهم؟ فعليه جوابان: أحدهما: أنه إنما سألهم ليعلمهم ما لم يعلموا من كفر أممهم ونفاقهم وكذبهم عليهم من بعدهم.

والثاني: أنه أراد أن يفضحهم بذلك على الأشهاد ليكون ذلك نوعاً من العقوبة لهم".(٥)

ومن الصيغ النادرة في جموع القلة الجمع أمانيّ بالتشديد، جمع أُمنِية، وقد ورد في القرآن أيضاً ليدل على المبالغة، نجده في قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾(٦). ذكر صاحب التحرير والتنوير في تفسير هذه الآية: "والأمانيُّ بالتشديد جمع أُمْنِية على وزن (أَفاعِيل) وقد جاء بالتخفيف فهو جمع على وزن (أَفاعِل) عند الأخفش، كما جُمِع مِفْتاح على مَفاتِح ومَفاتِيح، والأمنية كأُثْفِية وأُضحية أفْعُولة كالأعجوبة والأضحوكة والأكذوبة والأغلوطة، والأماني كالأعاجيب والأضاحيك والأكاذيب والأغاليط، مشتقة من مَنَى كرمى بمعنى قدَّر الأمرَ، ولذلك قيل تمنّى بمعنى تكلّف تقدير حصول شيء متعذر أو متعسر، ومنَّاه أي جعله مَانياً أي مقدِّراً كناية عن الوعد الكاذب، لأنه ينقل الموعود من تقدير حصول الشيء اليومَ إلى تقدير حصوله غداً، وهكذا كما قال كعب بن زهير :

١- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي،١٠١/١.

٢- سورة النمل، الآية: ٦٥.

٣- سورة المائدة، الآية: ١١٦.

٤- اللباب في علوم الكتاب، ٥٩٤/٧.

٥- النكت والعيون، ٧٨/٢.

٦- سورة البقرة، الآية: ٧٨.

فلا يَغُرَّنْك ما مَنَّت وما وعدت ... إن الأَماني والأحلامَ تضليل (١)

ولأن الكاذب ما كذب إلا لأنه يتمنى أن يكون ما في نفس الأمر موافقاً لخبره فمن أجل ذلك حدثت العلاقة بين الكذب والتمني فاستعملت الأمنية في الأكذوبة، فالأماني هي التقادير النفسية أي الاعتقادات التي يحسبها صاحبها حقاً وليست بحق أو هي الفعال التي يحسبها العامة من الدين وليست منه بل ينسون الدين ويحفظونها، وهذا دأب الأمم الضالة عن شرعها أن تعتقد مالها من العوائد والرسوم والمواسم شرعاً، أو هي التقادير التي وضعها الأحبار موضع الوَحي الإلهي إما زيادة عليه حتى أنستهم الأصل وإما تضليلاً وهذا أظهر الوجوه .

وعندي أن الأماني هنا التمنيات وذلك نهاية في وصفهم بالجهل المركب أي هم يزعمون أنهم يعلمون الكتاب وهم أميون لا يعلمونه ولكنهم يدَّعون ذلك لأنهم تمنوا أن يكونوا علماءَ فلما لم ينالوا العلم ادعوه باطلاً فإن غي العالم إذا اتهم بميسم العلماء دل ذلك على أنه يتمنى لو كان عالماً، وكيفما كان المراد فالاستثناء منقطع لأن واحداً من هاته المعاني ليس من علم الكتاب".(٢)

ومعنى آخر لصيغ جموع الكثرة في القرآن هو **التعظيم** فقد يجمع اللفظ على وزن من أوزان جموع الكثرة بغرض التعظيم، فمن ذلك الجمع مَسَاجِد بزنة (مَفَاعِل) بفتح الميم والفاء وكسر العين وهو من صيغ منتهى الجموع ومفرده مَسْجِد، ورد في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٣). والمساجد في هذه الآية قصد بها المسجد الحرام وكان الجمع للتعظيم، وقد أشار إلى هذا صاحب التحرير والتنوير في قوله: "وجُمِعَ المساجدُ وإن كان المشركون منعوا الكعبة فقط إما للتعظيم فإن الجمع يجيء للتعظيم كقوله تعالى : ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ﴾(٤) ، وإما لما فيه من أماكن العبادة وهي البيت والمسجد الحرام ومقام إبراهيم والحطيم، وإما لما يتصل به أيضاً من الخيف ومنى والمشعر الحرام، وكلها مساجد، والإضافة على هذه الوجوه على معنى لام التعريف العهدي، وإما لقصد دخول جميع مساجد الله لأنه جمع تعريف بالإضافة.

١- انظر ديوان كعب بن زهير، ٤٧/١ ، وجمهرة أشعار العرب، ٨٠/١ ، وجمهرة الأمثال للعسكري، ٨٥/٢.

٢- التحرير والتنوير، ٤٣٤/١.

٣- سورة البقرة، الآية: ١١٤.

٤- سورة الفرقان، الآية: ٣٧.

ووقع في سياق المنع الذي هو في معنى النفي ليشمل الوعيد كل مخرب لمسجد أو مانع من العبادة بتعطيله عن إقامة العبادات، ويدخل المشركون في ذلك دخولاً أولياً على حكم ورود العام على سبب خاص والإضافة على هذا الوجه على معنى لام الاستغراق ولعل ضمير الجمع المنصوب في قوله: {أن يدخلوها} يؤيد أن المراد من المساجد مساجد معلومة لأن هذا الوعيد لا يتعدى لكل من منع مسجداً إذ هو عقاب دنيوي لا يلزم اطراده في أمثال المعاقب. والمراد من المنع منعُ العبادة في أوقاتها الخاصة بها كالطواف والجَماعة إذا قصد بالمنع حرمان فريق من المتأهلين لها منها، وليس منه غلق المساجد في غير أوقات الجماعة لأن صلاة الفذ لا تفضل في المسجد على غيره، وكذلك غلقها من دخول الصبيان والمسافرين للنوم".(١)

ومما جمع في القرآن من ذلك جمع تعظيم أيضاً جمع طريقة على طرائق بزنة (فعائل) بفتح الفاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾(٢). جاء في نظم الدرر في تفسير هذه الآية ما يلي: "ولما بين لهم أن فكرهم فيهم يكفيهم، ولا اعتقاد البعث يعنيهم، أتبعه دليلاً آخر بالتذكير بخلق ما هو أكبر منهم، وبتدبيرهم بخلقه وخلق ما فيه من المنافع لاستبقائهم، فقال: (ولقد خلقنا فوقكم) في جميع جهة الفوق في ارتفاع لا تدركونه حق الإدراك (سبع)، ولإرادة التعظيم أضاف إلى جمع كثرة فقال: (طرائق) أي سماوات لا تتغير عن حالتها التي دبرناها عليها إلى أن نريد، وبعضها فوق بعض، وكل واحدة منها على طريقة تخصها، وفيها طرق لكواكبها؛ قال الإمام عبد الحق الإشبيلي في كتابه الواعي: سميت طرائق لأنها مطارقة بعضها في أثر بعض".(٣)

دلالة أخرى من دلالات جموع الكثرة في القرآن الكريم هي **التعدد**، بمعنى أن يأتي الجمع ليدل على تعدد المعدود، ومنه موازين بزنة (مَفاعيل) وهي من صيغ منتهى الجموع. وقد ورد الجمع موازين جمع ميزان في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾(٤) ومن المعلوم بالضرورة أن التي تثقل هي الأعمال وأن الميزان واحد، فلماذا جمعت على موازين، نجد الإجابة على هذا السؤال في تفسير البحر المديد إذ يقول: "ثم فصل في الأعمال فقال: {فمن

١- التحرير والتنوير، ٢/٢٣.

٢- سورة المؤمنون، الآية: ١٧.

٣- نظم الدرر، ٥/ ١٨٩.

٤- سورة الأعراف، الآيتان: ٨ – ٩.

ثَقُلَتْ موازينه} أي: حسناته، أو الميزان الذي يوزن به حسناته، وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن، فعلى الأول هو جمع موزون، وعلى الثاني جمع ميزان، فمن رجحت حسناته {فأولئك هم المفلحون} الفائزون بالنجاة والثواب الدائم، {ومن خفّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسَهُمْ} بتضييع الفطرة السليمة التي فُطِروا عليها".(١)

ومن ذلك أيضاً الجمع مَعايِش بزنة (مَفَاعِل) بفتح الميم وكسر العين، الذي ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾(٢). وذلك أن المعايش متعددة، جاء في تفسير النكت والعيون في تفسير هذه الآية: "وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ فيه وجهان: أحدهما: ما تعيشون به من نبات وحيوان.

والثاني: ما تتوصلون به إلى معايشكم فيها من زراعة أو عمل".(٣)

وكنا قد أشرنا في هذا البحث من قبل إلى الاختلاف بين الصيغ (المشرق والمغرب) بالإفراد و(المشرقين والمغربين) بالتثنية و(المشارق والمغارب) بالجمع، وهنا نقف بوضوح مع الجمع الذي ورد في القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾(٤). وقوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾ (٥). فقد ذكر صاحب التحرير والتنوير في تفسير الآية الأولى أن الجمع هنا للتعدد فقال: "والمشارق والمغارب جمع باعتبار تعدد الجهات، لأن الجهة أمر نسبي تتعد بتعدد الأمكنة المفروضة، والمراد بهما إحاطة الأمكنة".(٦)

كما أشار إلى ذلك تفسير أضواء البيان في شرح الآية الثانية فقال: "وقد جمعت {الْمَشَارِقِ} هنا وثنيت في الرحمان وأفردت في قوله تعالى {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ}، فالجمع على مشارق الشمس في السنة لكل يوم مشرق، كما قال ابن عباس والتثنية لمشرق الشمس والقمر والإفراد على الجهة".(٧)

وقد فصل في هذا الأمر أكثر الشيخ الشعراوي في تفسيره وهو يقول: "وعندما يأتي

١- البحر المديد، ٤٦٦/٢.
٢- سورة الأعراف، الآية: ١٠.
٣- النكت والعيون، ٢٠٢/٢.
٤- سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.
٥- سورة المعارج، الآية: ٤٠.
٦- التحرير والتنوير، ٢٦٠/٨.
٧- أضواء البيان، ٣٠٤/٨.

المستشرقون ليقولوا: إن في القرآن تناقضاً في الكونيات. نقول لهم: مستحيل. فيقولون: لقد جاء في القرآن: ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(١)

وجاء فيه: ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾(٢)

وجاء فيه: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾(٣)

وبين هذه الآيات تناقض ظاهر. فنرد: إن التقدم العلمي جعلنا نفهم بعمق معنى هذه الآيات، فكل مكان على الأرض له مشرق وله مغرب، هذه هي النظرة العامة، إذن فقوله تعالى: (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) صحيح، ثم عرفنا أن الشمس حين تشرق عندي، تغرب عند قوم آخرين، وحين تغرب عندي تشرق عند قوم آخرين، إذن فمع كل مشرق مغرب ومع كل مغرب مشرق، فيكون هناك مشرقان ومغربان. ثم عرفنا أن الشمس لها مشرق كل يوم ومغرب كل يوم يختلف عن الآخر. وفي كل ثانية هناك شروق وغروب، إذن فالقسم هنا (بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ)؛ لأن المشارق والمغارب مختلفة على مدار السنة. (٤)

ومن المعاني التي يخرج إليها جمع الكثرة والتي تفهم من سياق الكلام معنى **العموم**، ومنه القواعد بزنة (فَوَاعِل) بفتح الفاء والواو وكسر العين، وقد ورد جمعاً لقاعد في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ﴾(٥). ذكر صاحب البحر المديد في تفسير هذه الآية: "قلت: "القواعد": جمع قاعد، بغير تاء؛ لأنهما من الصفات المختصة بالنساء، كالطالق والحائض، فلا تحتاج إلى تمييز، وهو مبتدأ، و (اللاتي...) إلخ: صفة له، (فليس): خبر، وأدخلت الفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط من العموم الذي في الألف واللام. (٦)

ومنه أيضاً النُذُر بزنة (فُعُل) بضم الفاء والعين جمع نذير، وقد وردت في القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴾(٧) وهما نذيران موسى وهارون والجمع للتعظيم، جاء

١- سورة الشعراء، الآية: ٢٨.
٢- سورة الرحمن، الآية: ١٧.
٣- سورة المعارج، الآية: ٤٠.
٤- تفسير الشعراوي، ص ١٢٥٨.
٥- سورة النور، الآية: ٦٠.
٦- البحر المديد، ٥/ ٩٦.
٧- سورة القمر، الآية: ٤١.

في تفسير أضواء البيان في تفسير هذه الآية ما يلي: "اعلم أولا: أن قوله: {جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ}، قيل: هو جمع نذير وهو الرسول، وقيل هو مصدر بمعنى الإنذار فقد بينت الآيات القرآنية بكثرة أن الذي جاءهم بذلك الإنذار هو موسى وهارون، وعلى أنه جمع نذير أي منذر، فالمراد به موسى وهارون، وقد جاء في آيات كثيرة إرسال موسى وهارون لفرعون كقوله تعالى في طه: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن ﴾(١). ثم بين تعالى إنذارهما له في قوله: ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾(٢) . ونحوها من الآيات، وفي هذه الآية سؤال معروف، وهو أن الله تبارك وتعالى أرسل لفرعون نبيين هما موسى وهارون، كما قال تعالى: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٣)، وهنا جمع النذر في قوله: {وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ}، وللعلماء عن هذا أجوبة، أحدها: أن أقل الجمع اثنان كما هو المقرر في أصول مالك بن أنس رحمه الله.

قالوا، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾(٤). ولهما قلبان فقط وقوله: ﴿ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ﴾(٥). والمراد بالإخوة اثنان فصاعدا كما عليه الصحابة فمن بعدهم خلافا لابن عباس، وقوله: ﴿ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ ﴾(٦)، وله طرفان. ومنها ما ذكره الزمخشري وغيره من أن المراد بالنذر موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء، لأنهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون. ومنها أن {النُّذُرُ} مصدر بمعنى الإنذار.

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: التحقيق في الجواب، أن من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع المرسلين، ومن كذب نذيرا واحدا فقد كذب جميع النذر، لأن أصل دعوة جميع الرسل واحدة، وهي مضمون لا إله إلا الله كما أوضحه تعالى.

وأوضح تعالى أن من كذب بعضهم فقد كذب جميعهم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴾(٧)

١- سورة طه، الآية: ٤٧.
٢- سورة طه، الآية: ٤٨.
٣- سورة الشعراء، الآية: ١٦.
٤- سورة التحريم، الآية: ٤.
٥- سورة النساء، الآية: ١١.
٦- سورة طه، الآية: ١٣٠.
٧- سورة النساء، الآيتان: ١٥٠ – ١٥١.

وقد أوضح تعالى في سورة الشعراء أن تكذيب رسول واحد تكذيب لجميع الرسل، وذلك في قوله: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(١) . ثم بين أن تكذيبهم للمرسلين إنما وقع بتكذيبهم نوحا وحده، حيث أفرد ذلك بقوله: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾(٢) ".(٣)

ومن بلاغة التعبير القرآني وبديع إحكامه أن تتنوع صيغ جموع الكثرة، وتكون للكلمة الواحدة أكثر من صيغة جمع للكثرة، وهذا من ثراء اللغة العربية الذي ظهر جلياً في القرآن الكريم، وهذا التنوع في الصيغ للكلمة الواحدة لاختلاف المعاني الدلالية لكل صيغة عن الأخرى. فقد أشرنا من قبل إلى أن عين تجمع على أَعْيُن بزنة (أفعل) من صيغ جموع القلة وتجمع على عيون بزنة (فُعُول) بضم الفاء والعين، كما تجمع على أعيان بزنة (أفعال) من صيغ جموع القلة أيضاً، وقد ذكر العلماء أن لكل جمع معنى يختلف عن الآخر، فتجمع عين على أعين إذا دلت على العين الباصرة، وعلى عيون إذا دلت على عين الماء، وعلى أعيان إذا دلت على الأشخاص المهمين.

نجد من ذلك الكثير في القرآن الكريم فمثلاً أسير تجمع على أسرى بزنة (فَعْلَى) بفتح الفاء وسكون العين وفتح اللام، كما يجمع على أُسارَى. فما الحكمة من ذلك؟ للإجابة عن هذا السؤال ننظر ما جاء في تفسير الكشف والبيان في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ﴾(٤) . قال: "فالأسرى: جمع أسير مثل جريح وجرحى، ومريض ومرضى، وصريع وصرعى، والأُسارَى: جمع أسير أيضاً مثل كُسالى وسُكارى، ويجوز أن يكون جمع أسرى نحو قولك: أمرأة سكرى ونساءٌ سُكارى، ولم يفرق بينهما أحد من العلماء الأثبات إلاّ أبو عمرو.

روى أبو هشام عن جبير الجعفي عن أبي عمرو قال: ما أُسر فهو أُسارى ومالم يؤسر فهو أسرى، وروي عنه من وجه آخر قال: ما صار في أيديهم فهم أُسارى، وما جاء مستأسراً فهو أسرى".(٥)

١- سورة الشعراء، الآية: ١٠٥.

٢- سورة الشعراء، الآية: ١٠٦.

٣- أضواء البيان، ٤٨٣/٧، ٤٨٤.

٤- سورة البقرة، الآية: ٨٥.

٥- الكشف والبيان، ٢٣٠/١.

وقد فصل ابن عادل في اللباب في شرح هذه الآية ووقف عند الجمعين أسرى وأسارى فقال: "أُسارى حال من الفاعل في "يأتوكم". وقرأ الجماعة غير حمزة "أُسارى" وقرأ هو: "أَسْرَى" وقرأ: أَسَارَى بتفح الهمزة، فقراءة الجماعة تحتمل أربعة أوجه:

أحدها: أنه جُمِعَ جَمْع كـ"كَسْلاَن" لما جمعهما من عدم النَّشَاط والتصرف، فقالوا: "أسير وأسارى" بضم الهمزة كـ "كَسْلاَن وكُسَالَى" و "سَكْرَان وسُكَارى"، كما أنه قد شبه كَسْلان وسَكْران به فجمعا جمعه الأصلي الذي هو على "فعلى" فقالوا: كسلان وكَسْلى، وسكران وسَكْرى لقولهم: أسير وأسرى.

قال سيبويه: فقالوا في جمع كَسْلان كَسْلَى شبّهوه ب "أَسْرَى". كما قالوا: أُسارى شبَّهوه ب "كَسَالى"، ووجه الشبه أنَّ الأسْر يدخل على المرء كرهاً كما يدخل الكَسَل. قال بعضهم: والدَّليل على اعتبار هذا المعنى أنهم جمعوا "مريضاً وميتاً وهالكاً" على "فَعْلَى" فقالوا: "مرضى وموتى وهَلْكَى" لما جمعها المَعْنَى الذي في "قَتْلَى وجَرْحَى".

الثَّاني: أنَّ "أُسَارى" جمع "أسير"، وقد وجدنا "فَعِيلاً" يجمع على "فُعَالى" قالوا: شيخ قديم، وشيوخ قُدَامى. وفيه نظر، فإن هذا شاذ لا يقاس عليه.

الثالث: أنه جمع "أسير" أيضاً، وإنما ضموا الهمزة من "أُسَارى" وكان أصلها الفَتْح ك "نديم ونُدَامى" كما ضمت الكاف والسين من "كُسَالى" و "سُكَارى" وكان الأصل فيهما الفتح نحو "عَطْشَان وعَطَاشى".

الرابع: أنه جمع "أسرى" الذي هو جمع "أسير" فيكون جمع الجمع. وأما قراءة حمزة فواضحة؛ لأن "فَعْلَى" ينقاس في "فعيل" نحو: "جريح وجرحى" و "قتيل وقَتْلَى" و"مريض ومرضى". وأما "أَسَارَى" بالفتح فقد تقدم أنها أصل أُسَارَى بالضم عند بعضهم، ولم يَعْرِفْ أهل اللُّغَة فرقاً بين "أُسَارَى" و "أَسْرَى" إلاَّ ما حكاه أبو عُبَيْدَة عن أبي عمرو بن العلاء، فإنه قال: "ما كان في الوَثَاقِ" فهم الأُسَارَى، وما كان في اليد، فهم الأَسْرَى" ونقل بعضهم عنه الفرقَ بمعنًى آخر، فقال: "ما جاء مستأسراً فهم الأسْرَى، وما صار في أيديهم، فهم الأُسَارَى".(١)

وهكذا نجد لصيغة الجمع دلالة خاصة تختلف عما ألفناه من دلالات كالكثرة والعموم وغيرها، فمن ذلك أيضاً الجمع غُلْف بضم أوله وسكون ثانيه، وقد ورد في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾(٢) . جاء في تفسير التحرير والتنوير في دلالة

١- اللباب في علوم الكتاب، ٢/٢٥٠.

٢- سورة البقرة، الآية: ٨٨.

غلف في هذه الآية ما يلي: "والغُلْف بضم فسكون جمع أغلف وهو الشديد الغلاف مشتق من غَلَّفه إذا جعل له غِلافاً وهو الوعاء الحافظ للشيء والساتر له من وصول ما يُكره له.

وهذا كلام كانوا يقولونه للنبي (صلى الله عليه وسلم) حين يدعوهم للإسلام قصدوا به التهكم وقطع طمعه في إسلامهم وهو كقول المشركين: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾(١). وفي الكلام توجيه لأن أصل الأغلف أن يكون محجوباً عما لا يلائمه فإن ذلك معنى الغِلاف فهم يُخيَلون أن قلوبهم مستورة عن الفهم، ويريدون أنها محفوظة من فهم الضلالات. ولذلك قال المفسرون: إنه مؤذن بمعنى أنها لا تعي ما تقول ولو كان حقاً لوعته، وهذان المعنيان اللذان تضمنهما لتوجيه يلاقيهما الرد بقوله تعالى: {بل لعنهم الله بكفرهم} أي ليس عدم إيمانهم لقصور في أفهامهم ولا لربوها عن قبول مثل ما دعوا إليه ولكن لأنهم كفروا فلعنهم الله بكفرهم وأبعدهم عن الخير وأسبابه. وبهذا حصل المعنيان المرادان لهم من غير حاجة إلى فرض احتمال أن يكون (غلف) جمع غلاف لما فيه من التكلف في حذف المضاف إليه حتى يقدر أنها أوعية للعلم والحق فلا يتسرب إليها الباطل".(٢)

ومن ذلك أيضاً الجمعان (رُكَع وسُجُود) في قوله تعالى: ﴿ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾(٣). يقول ابن عادل في اللباب في تفسير هذه الآية: "وعطف أحد الوصفين على الآخر في قوله: "الطَّائِفِينَ والعَاكِفِينَ" لتبايُنِ ما بينهما، ولم يعطف إحدى الصّفتين على الأخرى في قوله: "الرُّكَّعِ السُّجُودِ"، لأن المراد بهما شيء واحد وهو الصلاة إذ لو عطف لتوهم أن كل واحد منهما عبادة على حِيَالِهَا، وجمع صفتين جمع سلامة، وأخْرِيَيْن جمع تكسير لأجل المقابلة، وهو نوع من الفَصَاحة، وأخر صيغة " فعُول" على "فُعّل"؛ لأنها فاصلة.

وفي هذه الأوصاف الثلاثة قولان:

أحدهما: أن يحمل ذلك على فرق ثلاثة؛ لأن من حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه، فيجب أن يكون الطائفون غير العاكفين والعاكفون غير الركع السجود لتصح فائدة العطف.

١- سورة فصلت، الآية: ٥.

٢- التحرير والتنوير، ٤٥٣/١.

٣- سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

فالمراد بالطَّائفين: من يقصد البيت حاجًّا أو معتمراً، فيطوف به، والمراد بالعاكفين: من يقيم هناك ويجاوزر، والمراد بالركع السجود: من يصلي هناك.

والثاني: قال عطاء: إنه إذا كان طائفاً فهو من الطائفينن وإذا كان جالساً فهو من العاكفين، وإذا كان مصلياً فهو من الركع السجود. وعن ابن عباس رضي الله عنهما العاكفون هم الذين يصلون عند الكعبة. خصّ الركوع والسجود بالذكر؛ لأنها أقرب أحوال المصلين إلى الله تعالى".(١)

ومن ذلك أيضاً ما جاء في تفسير التحرير والتنوير في جمع عَبْد على عَبِيد بزنة (فَعِيل) في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾(٢). وهو من الأوزان النادرة في جموع الكثرة مثل (حمير) جمع حِمار. والمعروف أن عبداً تجمع على عِباد، فما دلالة جمعها على عبيد. يقول: "ونفي ظَلاَّم بصيغة المبالغة لا يفيد إثبات ظلم غير قوي؛ لأنّ الصيغ لا مفاهيم لها، وجرت عادة العلماء أن يجيبوا بأنّ المبالغة منصرفة إلى النفي كما جاء ذلك كثيراً في مثل هذا، ويزاد هنا الجواب باحتمال أنّ الكثرة باعتبار تعلّق الظلم المنفي، لو قدر ثبوته، بالعبيد الكثيرين، فعبّر بالمبالغة عن كثرة إعداد الظلم باعتبار تعدّد أفراد معموله.

والتعريف باللام في {العبيد} عوض عن المضاف إليه، أي: لعبيدِهِ كقوله: ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾(٣). ويجوز أن يكون {العبيد} أطلق على ما يرادف الناس كما أطلق العباد في قوله تعالى: ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ﴾(٤) ".(٥)

وقد فصل ابن عادل في اللباب في دلالة الجمع عبيد والجمع عباد وجمع آخر هو عِبِدَّى بكسر العين والباء وتشديد الدال المفتوحة فقال: "قوله: (عِبَادًا) حكى الواحديُّ – عن ابن عباسٍ – أنه قال في قوله تعالى: (كُونُواْ عِبَاداً لِّي) أنه لغة مُزينة ويقولون للعبيد: عباد.

قال ابنُ عطِية: ومن جموعه: عَبِيد وعِبِدَّى. قال بعض اللغويين: هذه الجموع كلُّها بمعنًى. وقال بعضهم: العبادُ للهِ، والعبيدُ والعِبِدَّى للبشر.

١- اللباب في علوم الكتاب، ٤٦٨/٢.

٢- سورة آل عمران، الآية: ١٨٢.

٣- سورة النازعات، الآية: ٤١.

٤- سورة يس، الآية: ٣٠.

٥- التحرير والتنوير، ٢٤٩/٦.

وقال بعضهم: العِبِدَّى إنما تقال في العبد من العَبيد، كأنه مبالغة تقتضي الإغراق في العبودية، والذي استقرأت في لفظ "العباد" أنه جَمْع عَبْد متى سيقت اللفظة في مضمار الترفُّع والدلالة على الطاعة دون أن يقترن بها معنى التحقير، وتصغير الشأن، وانظر قوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾(١). وقوله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾(٢). وقول عيسى في معنى الشفاعة والتعريض: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾(٣) ، وأما العبيد، فتستعمل في تحقيره .

ومنه قول امرئ القيس :

قُولاَ لِدُودَانَ عَبِيدِ العَصَا مَا غَرَّكُمْ بِالأسَدِ الْبَاسِلِ (٤)

وقال حمزة بن عبد المطلب: "وَهَلْ أَنْتُمْ إلاَّ عَبِيدٌ لأبِي"؟ ومنه قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾(٥). لأنه مكان تشفيق وإعلام بقلة أنصارهم ومقدرتهم، وأنه – تعالى – ليس بظلامٍ لهم مع ذلك. ولما كانت "العباد" تقتضي الطاعة لم تقع هنا، ولذلك أتى بها في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾، فهذا النوع من النظر يسلك به سبيل العجائب في فصاحة القرآن على الطريقة العربية.

قال أبو حيّان: "وفيه بعض مناقشة، أما قوله: ومن جموعه عَبِيد وعِبِدَّى، فأما عبيد، فالأصح أنه جمع، وقيل اسم جمع. وأما عِبِدَّى فإنه اسم جمع، وألفه للتأنيث".(٦)

يضاف إلى ما سبق جمع آخر أورده القرآن لكلمة عَبْد وهو عَبَد بفتح الأول والثاني، جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾(٧). وقد جاء في تفسير الكشف والبيان أنها جمع للجمع، يقول: "عَبُدِ الطاغوت بفتح العين وضم الباء وكسر الدال آباد العبد وهما لغتان عَبدْ وعَبُد مثل سبْع وسبُع وقرْد وقرُد.

١- سورة الأنبياء، الآية: ٢٦.

٢- سورة الزمر، الآية: ٥٣.

٣- سورة المائدة، الآية: ١١٨.

٤- انظر ديوان امرئ القيس، ٤٥/١ ، والشعر والشعراء، ١٥/١ ، والبيان والتبيين للجاحظ، ٤٢٨/١.

٥- سورة فصلت، الآية: ٤٦.

٦- اللباب في علوم الكتاب، ٢٤٦/٥.

٧- سورة المائدة، الآية: ٦٠.

وأنشد حمزة في ذلك: كيف الصقيل القرُد، بضم الراء ووجه آخر وهو إنه أراد الجمع أي خدم الطاغوت. فجمع العبد عباد ثم جمع العباد عبداً جمع الجمع مثل ثمار وثَمَر منهم استقبل الضمّتين المتواليتين فعرض من الأولى فتحه ولذلك في قراءة الأعمش وعبد الطاغوت بضم العين والباء وكسر الدال".(١)

ونواصل في خواتيم هذا المبحث في جموع الكثرة التي وردت في القرآن بمعانٍ خاصة، ذات أبعاد دلالية مختلفة. ومنها الجمع بصائر بزنة (فَعَائِل) من صيغ منتهى الجموع، وهي جمع بصيرة، وقد ورد في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾(٢). جاء في نظم الدرر في تفسير هذه الآية: "ولما أوصل سبحانه إلى هذا الحد من البيان، الفائت لقوى الإنسان، قال مترجماً عنه: (هذا) أي الوحي المنزل. ولما كان في عظم بيانه وإزالة اللبس عن كل ملبس دق أو جل بحيث لا يلحقه شيء من خفاء، جعله نفس البصيرة، مجموعة جمع كثرة بصيغة منتهى الجموع كما جعله روحاً فقال: (بصائر للناس) أي الذين هم في أدنى المراتب، يبصرهم بما يضرهم وما ينفعهم، فما ظنك بمن فوقهم من الذين آمنوا ثم الذين يؤمنون ومن فوقهم.

ولما بين ما هو لأهل السفول، بين ما هو لأهل العلو فقال تعالى: (وهدى) أي قائد إلى كل خير، مانع من كل زيغ (ورحمة) أي كرامة وفوز ونعمة (لقوم يوقنون) أي ناس فيهم قوة القيام بالوصول إلى العلم الثابت وتجديد الترقي في درجاته إلى ما لا نهاية له أبداً.

ولما كان التقدير بعد هذا البيان الذي لم يدع لبساً في أمر الحساب بما حده من الملك الذي يوجب ما له من العظمة والحكمة أن يحاسب عبيده لثواب المحسن وعقاب المسيء: أعلم هؤلاء المخاطبين – لأنهم لا يعدون أن يكونوا من الناس أو من الذين يوقنون بهذه البصائر لما لهم من حسن الغرائز المعلية لهم عن حضيص الحيوان إلى أوج الإنسان أنا نفرق بين المسيئين الذين بعضهم أولياء بعض وبين المحسنين الذين نحن أولياؤهم".(٣)

ومن ذلك الجمع قلوب بزنة (فُعُول) بضم الأول والثاني، فقد ورد في القرآن خبراً لمبتدأ من جموع القلة، في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾(٤).

١- الكشف والبيان، ٤/٨٥.

٢- سورة الجاثية، الآية: ٢٠.

٣- نظم الدرر، ٧/ ١٠١، ١٠٢.

٤- سورة محمد، الآية: ٢٤.

ولمعرفة سر هذا الاختلاف نقرأ ما جاء في تفسير نكت وتنبيهات في تفسير القرآن الكريم في شرح هذه الآية، يقول: "قلوب جمع كثرة، و "أقفال" جمع قلة، والقليلُ إذا وُزِّعَ على الكثير لا يعُمه، والجوابُ من وجهين: الأول: أن كلّ قلبٍ عليه أقفال.

والثاني: أن " أقفال" مصدرٌ لا جمعٌ، بدليل قراءة كسر الهمز من (أسرَارَهُمْ)، قُرِئ بفتح الهمزة وبكسرِها، إمّا جمع "سِرّ"، أو مصدر، وهو أبلغ؛ لأنّ إدراكَ المعنى يستلزمُ إدراك اللفظ".(١)

كذلك جاء الجمع خبائث بزنة (فَعائِل) بفتح الفاء وكسر الهمزة ورد في القرآن الكريم لمعنى في غاية الروعة والإحكام في قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ (٢). يقول صاحب المحرر الوجيز في تفسير هذه الآية: "الخبائث هي المحرمات، وكذلك قال ابن عباس الخبائث هي لحم الخنزير والربا وغيره، وعلى هذا حلل مالك المتقذرات كالحيات والخنافس والعقارب ونحوها، ومذهب الشافعي رحمه الله أنّ الطيبات هي من جهة الطعم إلا أن اللفظة عنده ليست على عمومها لأنه بهذا الوجه من الطعم يقتضي تحليل الخمر والخنزير بل يراها مختصة فيما حلله الشرع، ويرى الخبائث لفظاً عاماً في المحرمات بالشرع وفي المتقذرات، فيحرم العقارب والخنافس والوزغ وما جرى هذا المجرى".(٣)

ونجد الجمع قلوب نفسه قد استخدم استخداماً في غاية الروعة والإحكام البلاغي في قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾(٤). فما السر في ذلك؟ يقول صاحب نظم الدرر في تفسير هذه الآية: "(فقد صغت) أي مالت وغاضت بما صاغت (قلوبكما) وفي جمع القلوب جمع كثرة تأكيد لما فهمته من ميل القلب بكثرة المعارف بما أفادهما إظهار هذا السر والعتاب عليه من الحياء، فصارتا جديرتين بالمبادرة إلى التوبة متأهلتين لذلك غاية التأهل". (٥)

ونختم هذه المعاني الخاصة في هذا المبحث بالجمع قلائد بزنة فَعائِل من صيغ منتهى الجموع بفتح الفاء وكسر الهمزة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾(٦).

١- نكت وتنبيهات في تفسير القرآن الكريم، ٣/ ٥٣٠.

٢- سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

٣- المحرر الوجيز، ٥٣٢/٢ وما بعدها.

٤- سورة التحريم، الآية: ٤.

٥- نظم الدرر، ج/ ٨، ص ٤٧.

٦- سورة المائدة، الآية: ٢.

يقول صاحب النكت والعيون في تفسير هذه الآية: "فأما القلائد ففيها ثلاثة أقاويل:
الأول: أنها قلائد الهدْي، وهو قول ابن عباس، وكان يرى أنه إذا قلد هديه صار مُحرِماً.
والثاني: أنها قلائد من لحاء الشجر، كان المشركون إذا أرادوا الحج قلدوها فى ذهابهم إلى مكة، وعَوْدهم ليأمنوا، وهذا قول قتادة.
والثالث: أن المشركين كانوا يأخذون لحاء الشجر من الحرم إذا أرادوا الخروج منه، فيتقلدونه ليأمنوا، فَنُهوا أن ينزعوا شجر الحرم فيتقلدوه، وهذا قول عطاء".(١)

١- النكت والعيون، ٢/٧.

المبحث الثالث

ما ورد في القرآن من جموع الكثرة وأريد به القلة

ذكرنا في الفصل الثالث أنّ جمع القلة قد يراد به الكثرة، وهنا نقول بأنّ جمع الكثرة قد يراد به القلة كذلك، إما لأن اللفظ لا يجمع على صيغة من صيغ القلة، أو كما قال النحاة إنّ الجموع تحل محل بعضها فجمع الكثرة يدل على القلة وجمع القلة يدل على الكثرة، وهذا من سعة هذه اللغة ورحابتها.

ومن جموع الكثرة التي وردت في القرآن بدلالة القلة الجمع أُخَر بزنة (فُعَل) بضم الأول وفتح الثاني في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾(١). فقد ذكر المفسرون أنه يفيد القلة، يقول البصيلي في تفسير هذه الآية: " (أُخر) جمع كثرة، عبر به عن القليل، وتقرر أنه إذا لم يسمع في الاسم إلَّا جمع واحد إمّا قلة أم كثرة إنه يجوز أن يراد به الجمع الآخر. (٢)

ومنه أيضاً الجمع قروء بزنة (فُعُول) بضم الأول والثاني في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾(٣). وواضح من سياق الآية أن الجمع قروء أريد به القلة بدلالة أن العدد المميز به ثلاثة، وسبب استخدام هذا الجمع بالرغم من وجود صيغة جمع قلة للفظ نفسه هي أقراء، يذكره ابن عادل في اللباب بقوله: "فإن قيل: القُرُوءُ جمع كثرةٍ، ومن ثلاثةٍ إلى عشرة يُمَيَّزُ بجموع القلة ولا يُعْدَلُ عن القلةِ إلى ذلك، إلا عند عدم استعمالِ جمع قلَّةٍ غالباً، وههنا فلفظُ جمع القلَّةِ موجودٌ، وهو "أَقْرَاء"، فما الحكمةُ بالإتيانِ بجمع الكثرةِ مع وجودِ جمعِ القلَّةِ؟ فيه أربعةُ أوجهٍ:

أوّلها: أنه لّمَّا جمع المطلَّقات جمع القُرُوء، لأنَّ كلَّ مطلقةٍ تتربَّصُ ثلاثة أقراءٍ؛ فصارَتْ كثيرةً بهذا الاعتبار.

والثاني: أنه من باب الاتساعِ، ووضعِ أحدِ الجمعين موضعَ الآخر.

والثالث: أنَّ "قروءاً" جمعُ "قَرْءٍ" بفتح القافِ، فلو جاء على "أَقْرَاء" لجاء على غير القياس؛ لأنَّ أفعالاً لا يطَّردُ في فَعْلٍ بفتح الفَاء.

١- سورة آل عمران، الآية: ٧.

٢- التقييد الكبير للبسيلي، ٤٥٤/١.

٣- سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

والرابع – وهو مذهب المُبَرِّد –: أنَّ التقدير "ثَلاثَةً مِنْ قُرُوءٍ"، فحذف "مِنْ"، وأجاز: ثَلاثَة حَمِيرٍ وثَلاثَةَ كِلاَبٍ، أي: مِنْ حِمِيرٍ، ومِنْ كِلاَبٍ، وقال أبو البقاء: وقيل: التقديرُ "ثَلاثَةَ أَقْرَاءٍ مِنْ قُرُوءٍ" وهذا هو مذهبُ المبرِّد بعينِه، وإنما فسَّر معناه وأَوضحه. (١)

وكان رأي الرازي في هذه القضية في هذا الموضع استعمال أحد الجمعين محل الآخر يقول في تفسيره مفاتيح الغيب: "السؤال الخامس: لفظ أنفس جمع قلة مع أنهن نفوس كثيرة والقروء جمع كثرة فلم ذكر جمع الكثرة مع أن المراد هذه القروء الثلاثة وهي قليلة. والجواب أنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في معنى الجمعية أو لعل القروء كانت أكثر استعمالاً في جمع قرء من الإقراء".(٢)

ومن ذلك أيضاً الجمع فتيان بزنة (فِعْلان) بكسر الفاء وسكون العين وهو جمع فتى فقد جاء في القرآن ليفيد القلة بالرغم من وجود صيغة جمع قلة لكلمة فتى وهي فِتْيَة، هذا ما يؤكده ابن عادل في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(٣). حيث قال: "قوله تعالى: (لِفِتْيَانِهِ) قرأ الأخوان، وحفص: "لِفِتْيَانِهِ"، والباقون: "لِفِتْيَتِهِ" قال أبو عليٍّ الفارسيُّ رحمه الله: " الفِتْيَان جمعُ كثرة، والفِتْيَةُ: جمعُ قلَّةٍ، فالتكثير بالنسبة إلى المأمُورينَ، والقلةُ بالنسبة إلى المُتنَاولينَ، وفتًى: يجمعُ على فِتيَانٍ، وفِتْيَة، وقد تقدَّم هل فِعْلة في الجموع اسم جمعٍ، أو جمعُ تكسير، ومثله "أخ"؛ فإنه جمع على أخوةٍ وإخوان؛ وهما لغتان بمثل الصِّبيان والصِّبْيَة".(٤)

وقد جاء في تفسير روح المعاني في هذه الآية نفسها أن هذا الأمر من باب استخدام أحد الجمعين محل الآخر، قال: "وقال يوسف عليه السلام لفتيانه لغلمانه الكيالين كما قال قتادة وغيره أو لأعوانه الموظفين لخدمته كما قيل وهو جمع فتى أو اسم جمع له على قول وليس بشيء، وقرأ أكثر السبعة لفتيته وهو جمع قلة له، ورجحت القراءة الأولى بأنها أوفق بقوله:

١- اللباب في علوم الكتاب، ٤/ ١٠٩.

٢- تفسير الرازي مفاتيح الغيب، ٦/ ٧٥.

٣- سورة يوسف، الآية: ٦٢.

٤- اللباب في علوم الكتاب، ١١/ ١٤٤.

(اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) فان الرحال فيه جمع كثرة ومقابلة الجمع بالجمع تقتضي انقسام الآحاد على الآحاد، فينبغي أن يكون في مقابلة صيغة جمع الكثرة وعلى القراءة الأخرى يستعار أحد الجمعين للآخر. رُوي أنّه عليه السلام وكل بكل رحل رجلاً، يعني فيه بضاعتهم التي اشتروا بها الطعام وكانت أدماً، وأصل البضاعة قطعة وافرة من المال تقتنى للتجارة والمراد بها هنا ثمن ما اشتروه".(١)

ومنه أيضاً الجمع شياطين في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴾(٢). ذكر النيسابوري في الكشف والبيان أن هذا الجمع دل على القلة لأن هؤلاء الشياطين كانوا خمسة، يقول: "(إلى شياطينهم): أي رؤسائهم وكبرائهم وقادتهم وكهنتهم.

قال ابن عباس: هم خمسة نفر من اليهود، ولا يكون كاهن إلاّ ومعه شيطان تابع له: كعب ابن الأشرف بالمدينة، وأبو بردة في بني أسلم، وعبدالله في جهينة، وعوف بن عامر في بني أسد، وعبدالله بن السَّوداء بالشام.

والشيطان: المتمرد العاصي من الجن والإنس، ومن كل شيء، ومنه قيل: للحيّة النضناض: الشيطان، قال الله تعالى: ﴿ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾(٣) . أي الحيات، وتقول العرب: إتّق تلك الدابة فإنّها شيطان. وفي الحديث: (إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّى فَلاَ يَدَعْ أَحَدًا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلْيَدْرَأْهُ مَا اسْتَطَاعَ فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ) (٤)". (٥)

ومن ذلك أيضاً الجمع قواعد بزنة (فواعل) بفتح الفاء وكسر العين في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾(٦). والقواعد المقصودة في هذه الآية أربع، فقد ورد في تفسير المحرر الوجيز أنها جدر البيت وهي أربعة قال:"القواعد جمع قاعدة وهي الأساس وقال الفراء هي الجدر و "البيت" هنا الكعبة بإجماع. (٧)

١- تفسير روح المعاني، ١٣/ ١٠.

٢- سورة البقرة، الآية: ١٤.

٣- سورة الصافات، الآية: ٦٥.

٤- الحديث في صحيح البخاري، ٣٢٧/٨ ، وسنن أبي داؤود، ٢٤٨/١. وصححه الألباني.

٥- الكشف والبيان، النيسابوري، ١٥٦/١.

٦- سورة البقرة، الآية: ١٢٧.

٧- المحرر الوجيز، ١٩٦/١.

ومثله الجمع مفاتح بزنة (مَفاعِل) بفتح الميم وكسر العين وهي من صيغ منتهى الجموع. ورد هذا الجمع في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾(١) . وذكر أكثر المفسرين أن هذا الجمع المراد به القلة لأن مفاتح الغيب خمسة، قال صاحب التحرير والتنوير: "ومفاتح الغيب جَمْع مضاف يعمّ كلّ المغيّبات، لأنّ علمها كلّها خاصّ به تعالى، وأمّا الأمور التي لها أمارات مثل أمارات الأنواء وعلامات الأمراض عند الطبيب فتلك ليْست من الغيب بل من أمور الشهادة الغامضة. وغمُوضُها متفاوت والناس في التوصّل إليْها متفاوتون ومعرفتهم بها من قبيل الظنّ لا من قبيل اليقين فلا تسمّى عِلماً، وقيل: المفاتح جمع مَفْتَح بفتح الميم وهو البيت أو المخزن الذي من شأنه أن يُغلق على ما فيه ثم يُفْتح عند الحاجة إلى ما فيه، ونقل هذا عن السدّي، فيكون استعارة مصرّحة والمشبَّه هو العلم بالغيب شبّه في إحاطته وحَجبه المغيِّبات ببيت الخزم تشبيه معقول بمحسوس.

وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (مفاتح الغيب خمس: إنّ الله عندَه علمُ الساعة، ويُنزّل الغيث، ويعلَم ما في الأرحام، وما تدري نفس مَاذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت إنّ الله عليم خبير) (٢)" . (٣)

وتبعه في ذلك البغوي إذ يقول في تفسيره في شرح هذه الآية: "قوله عز وجل: "مفاتح الغيب خزائنه، جمع مفتح. واختلفوا في مفاتح الغيب، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي عن أبي الحسن الطيسفوني عن عبد الله بن عمر الجوهري عن أحمد بن علي الكشميهني عن علي بن حجر عن إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار أنّه سمع ابن عمر يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما تغيض الأرحام أحد إلا الله تعالى، ولا يعلم ما في الغد إلا الله عز وجل، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله" .

وقال الضحاك ومقاتل: مفاتح الغيب خزائن الأرض، وعلم نزول العذاب.

وقال عطاء: ما غاب عنكم من الثواب والعقاب.

وقيل: انقضاء الآجال، وقيل: أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم، وقيل: هي ما لم يكن بعد أنه يكون أم لا يكون، وما يكون كيف يكون، وما لا يكون أن لو كان كيف يكون؟

١- سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

٢- الحديث في صحيح البخاري، ٥٧٩/١١ ، وفي مسند أحمد بن حنبل، ٢٤/٢.

٣- التحرير والتنوير، ٥/ ٣٩،٤٠.

وقال ابن مسعود: (أوتي نبيكم علم كل شيء إلا علم مفاتيح الغيب) (١)". (٢)

ومما ورد في القرأن كذلك من جموع الكثرة بدلالة القلة الجمع فَواحِش بزنة (فَواعِل) بفتح الفاء وكسر العين في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾(٣). وقد ذكر المفسرون أن الفواحش المقصودة بهذا اللفظ قليلة العدد، ومنهم صاحب الكشف والبيان الذي قال: "قل إنّما حرّم ربّي الفواحش (يعني الطواف عُراة) ما ظهر منها (طواف الرجال بالنهار) وما بطن (طواف النساء بالليل). وقيل: هي الزنا و (المخالنة)". (٤)

ولم يبعد تفسير المحرر الوجيز بعيداً عن هذا المعنى إذ جاء فيه: "وقوله تعالى "ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن" نهي عام عن جميع أنواع الفواحش وهي المعاصي، وظهر وبطن حالتان تستوفيان أقسام ما جعلت له من الأشياء، وذهب بعض المفسرين إلى أن القصد بهذه الآية أشياء مخصصات، فقال السدي وابن عباس "ما ظهر" هو زنا الحوانيت الشهير، و"ما بطن" هو متخذات الأخدان، وكانوا يستقبحون الشهير وحده فحرم الله الجميع. وقال مجاهد "ما ظهر" هو نكاح حلائل الآباء ونحو ذلك و"ما بطن" هو الزنا إلى غير هذا من تخصيص لا تقوم عليه حجة بل هو دعوى مجردة".(٥)

ووافقهما صاحب التحرير والتنوير بقوله: "ومن المفسّرين من فسّر الفواحش بالزّنا، وجعل ما ظهر منها ما يفعله سفهاؤهم في الحوانيت وديار البغايا، وبما بطَن اتَّخاذ الأخدان سِرّاً، وروي هذا عن السُدّي. وعن الضحّاك وابن عبّاس: كان أهل الجاهليّة يرون الزّنا سِراً حلالاً، ويستقبحونه في العلانية، فحرّم الله الزّنا في السرّ والعلانية. وعندي أن صيغة الجمع في الفواحش ترجح التّفسير الأوّل كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾(٦) .

١- الحديث في مسند أحمد بن حنبل، ٤٣٨/١ ، ومصنف ابن أبي شيبة، ٣١٧/٦.

٢- تفسير البغوي، ١٥٠/٣.

٣- سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

٤- الكشف والبيان، ٢٣٠/٤.

٥- المحرر الوجيز، ٤٢٥/٢.

٦- سورة النجم، الآية: ٣٢.

ولعلّ الذي حمل هؤلاء على تفسير الفواحش بالزّنا قوله في سورة الإسراء في آيات عَدَّدت منهيات كثيرة تشابه آيات هذه السورة وهي قوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾(١). ولا يلزم أن يكون المراد بالآيات المتماثلة واحداً".(٢)

ومن ذلك أيضاً الجمع سُبُل بضمتين في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾(٣). وهناك شبه إجماع بين المفسرين على أنّ السبل في هذه الآية المقصود بها الديانات الأخرى، فقد جاء في تفسير النكت والعيون في تفسير هذه الآية قوله: "وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ما تقدم من الكتب المنزلة نسخها بالقرآن، وهو محتمل.

والثاني: ما تقدم من الأديان المتقدمة نسخها بالإسلام وهو محتمل.

والثالث: البدع والشبهات. (فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ) يعني عن طريق دينه .

ويحتمل وجهاً ثانياً: أن يكون سبيله نصرة دينه وجهاد أعدائه، فنهى عن التفرق وأمر بالاجتماع".(٤)

كما قال البغوي في تفسير الآية نفسها: "{وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ} أي: الطرق المختلفة التي عدا هذا الطريق، مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل، وقيل: الأهواء والبدع، {فَتَفَرَّقَ} فتميل، {بِكُمْ} وتشتت، {عَنْ سَبِيلِهِ} عن طريقه ودينه الذي ارتضى، وبه أوصى، {ذَلِكُمْ} الذي ذكرت، {وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}. أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي المعروف بأبي بكر بن أبي الهيثم أنّ الحاكم أبا الفضل محمد بن الحسين الحدادي ثنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد ثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبد الله قال: خط لنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خطاً ثم قال: "هذا سبيل الله، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله، وقال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه" ثم قرأ" "وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه" الآية. (٥)

وليس بعيداً عن ذلك الجمع شمائل بزنة (فَعائِل) بفتح العين وكسر الهمزة في الآية:

١- سورة الإسراء، الآية: ٣٢.

٢- التحرير والتنوير، ٢٦٣/٥.

٣- سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

٤- النكت والعيون، ١٨٩/٢.

٥- تفسير البغوي، ٢٠٥/٣.

﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾(١). والمقصود بالشمائل الجهات الأربع، جاء في تفسير البحر المديد: " فآتيهم من الجهات الأربع، وذلك عبارة عن تسلطه على بني آدم كيفما أمكنه".(٢)

ومنه أيضاً الجمع مساجد بزنة (مَفاعِل) بفتح الميم وكسر العين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾(٣) . جاء في تفسير التحرير والتنوير في شرح هذه الآية ما يلي: "{مَسَاجِدَ اللَّهِ} مواضع عبادته بالسجود والركوع: المراد المسجد الحرام وما يتبعه من المسعى، وعرفة، والمشعر الحرام، والجمرات، والمنحر من منى.

وعمر المساجد: العبادة فيها لأنها إنما وضعت للعبادة، فعمرها بمن يحل فيها من المتعبدين، ومن ذلك اشتقت العمرة، والمعنى: ما يحق للمشركين أن يعبدوا الله في مساجد الله. وإناطة هذا النفي بهم بوصفهم مشركين: إيماء إلى أن الشرك موجب لحرمانهم من عمارة مساجد الله".(٤)

ونحى تفسير الكشف والبيان ذات المنحى فقال: "واختلف القراء في قوله: (مساجد الله) قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وابن أبي رباح وحميد بن كثير وأبو عمرو: مسجد الله بغير ألف أرادوا المسجد الحرام، واختاره أبو حاتم لقوله تعالى: (فلا يقربوا المسجد الحرام) ، وقرأ الباقون (مساجد) بالألف على الجمع، واختاره أبو عبيد لأنّه أعم القراءتين.

قال الحسن: فإنّما قال (مساجد الله) لأنّه قبلة المساجد كلها وأمامها، وقال أبو حاتم أنّ عمران بن جدير قال لعكرمة: إنما يُقرأ: مساجد الله وإنّما هو مسجد واحد؟ فقال عكرمة: إنّ الصفا والمروة من شعائر الله، وقال الضحاك ومجاهد: حدّث العرب بالواحد إلى الجمع والجمع إلى الواحد، ألاترى الرجل على البرذون يقول ركبت البراذين؟ ويقال للرجل: إنّه لكثير الدر والذمار، وتقول العرب: عليه أخلاق نعل واسمال ثوب".(٥)

وقد ورد الجمع مساجد في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾(٦).

١- سورة الأعراف، الآية: ١٧.

٢- البحر المديد، ٤٦٩/٢.

٣- سورة التوبة، الآية: ١٨.

٤- التحرير والتنوير، ٤٤/١٠.

٥- الكشف والبيان، ١٨/٥.

٦- سورة الجن، الآية: ١٨.

جاء في تفسير البحر المديد في شرح هذه الآية قوله: "قول الحق جلّ جلاله: {وأنَّ المساجدَ لله} أي: ومن جملة ما أُوحي إليَّ: أنَّ المساجد، أي: البيوت المبنية للصلاة فيها هي لله، وقيل: معناه: ولأنّ المساجد لله {فلا تدعوا}، على أنَّ اللام متعلّقة بـ "تدعوا"، أي: فلا تدعوا {مع الله أحداً} في المساجد؛ لأنها خالصة لله ولعبادته، فلا تعبدوا فيها غيره تعالى، ولا تفعلوا فيها إلا ما هو عبادة. وقيل: المراد: المسجد الحرام، والجمع؛ لأن كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة، أو لأنه قبلة المساجد، وقيل: الأرض كلها؛ لأنها جُعلت للنبي (صلى الله عليه وسلم) مسجداً وطهوراً، وقيل: أعضاء السجود السبعة التي يسجد عليها العبد، وهي: القدمان، والركبتان، واليدان، والوجه، يقول: هذه الأعضاء أنعم الله بها عليك، فلا تسجد عليها لغيره، فتجحد نِعَمه، ولا تذلها لغير خالقها. فإن جعلت المساجد المواضع، فواحدها مسجِد بكسر الجيم، وإن جعلت الأعضاء، فبفتح الجيم".(١)

ومنه أيضاً الجمع زُلَف بزنة (فُعَل) بضم الفاء وفتح العين في قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾(٢) . والزلف مما يدل على القلة فقد جاء في البحر المحيط في تفسير هذه الآية: "الزُلفة قال الليث: طائفة من أول الليل، والجمع الزلف، وقال ثعلب: الزلف أول ساعات الليل، واحدها زلفة. وقال أبو عبيدة، والأخفش، وابن قتيبة، الزلف ساعات الليل وآناؤه، وكل ساعة زلفة".(٣) والمعروف أن ساعات الليل لا تتعدى عشر ساعات في الغالب، بل ذهبوا إلى أنها أول ساعات الليل كما مر بنا.

ويؤكد ذلك الشيخ الشعراوي في تفسيره فيقول: "يقتضي منا أن نفهم أن كلمة {زُلَفاً} هي جمع؛ زلفة، وهي مأخوذة من: أزلفه، إذا قرَّبه.

والجمع أقله ثلاثة؛ ونحن نعلم أن لنا في الليل صلاة المغرب، وصلاة العشاء، ولذلك نجد الإمام أبا حنيفة يعتبر الوتر واجباً، فقال: إن صلاة العشاء فرض، وصلاة الوتر واجب؛ وهناك فرق بين الفرض والواجب".(٤)

١- البحر المديد، ١٥٨/٨.

٢- سورة هود، الآية: ١١٤.

٣- البحر المحيط، ٢٥٠/٥.

٤- تفسير الشعراوي، ص ١٥٧٤.

ولا شك أن الجمع دراهم بزنة (مَفاعِل) بفتح الميم وكسر العين قد ورد في القرآن ليدل على القلة في قوله تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾(١). ودلالة القلة واضحة إذا نظرنا لكلمة معدودة، جاء في بحر العلوم في تفسير هذه الآية ما نصه: "قوله تعالى: وشروه بثمن، يعني باعوه بثمن، وبخس يعني ظلما وحراماً لم يحل بيعه ويقال "بثمن بخس" أي بدراهم رديئة ويقال البخس الخسيس "دراهم معدودة" أي يسير عددها. وقال مجاهد البخس القليل والمعدودة عشرون درهما وقال كان في ذلك الزمان ما كان فوق الأوقية وزنوه وزنا وما كان دون الأوقية عدوه عدا. وقال بعضهم باعوه بعشرة دراهم لأن اسم الدرهم يقع على ما بين الثلاثة إلى العشرة فأصاب كل واحد منهم درهما. وروي عن الضحاك أنه قال باعوه باثني عشر درهما وقال ابن مسعود بيع بعشرين درهما".(٢)

وأكد دلالة القلة الشيخ الخازن بقوله: "دراهم معدودة فيه إشارة إلى قلة تلك الدراهم لأنهم في ذلك الزمان ما كانوا يزنون أقل من أربعين درهماً إنما كانوا يأخذون ما دونها عدداً، فإذا بلغت أربعين درهماً وهي أوقية وزنوها واختلفوا في عدد تلك الدراهم. فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة: كانت عشرين درهماً فاقتمسوها درهمين درهمين فعلى هذا القول لم يأخذ أخوه من أمه وأبيه شيئاً منها، وقال مجاهد: كانت اثنين وعشرين درهماً فعلى هذا أخذ أخوه منها درهمين لأنهم كانوا أحد عشر أخاً وقال عكرمة كانت أربعين درهماً".(٣)

ومثله في ذلك الجمع مثاني بزنة (مَفاعِل) بفتح الميم وكسر العين في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾(٤). فقد ذكر المفسرون أنها سورة الفاتحة وآياتها معلوم أنها سبعة، وهو عدد يعبر عنه بجمع القلة. قال الجزائري: "سبعاً من المثاني: هي آيات سورة الفاتحة السبع".(٥)

ووافقه في ذلك ابن أبي زمنين بقوله: "ولقد آتيناك سبعا من المثاني تفسير قتادة هي

١- سورة يوسف، الآية: ٢٠.
٢- بحر العلوم، ١٨٥/٢.
٣- تفسير الخازن، ٢٧١/٣.
٤- سورة الحجر، الآية: ٨٧.
٥- ايسر التفاسير للجزائري، ٩٢/٣.

فاتحة الكتاب وهي سبع آيات وإنما سميت المثاني لأنهن يثنين في كل ركعة".(١)

وأكد ذلك الزمخشري بقوله: "(سَبْعاً) سبع آيات وهي الفاتحة. أو سبع سور وهي الطوال، واختلف في السابعة فقيل: الأنفال وبراءة، لأنهما في حكم سورة واحدة، ولذلك لم يفصل بينهما بآية التسمية. وقيل سورة يونس. وقيل: هي آل حم، أو سبع صحائف وهي الأسباع. و(الْمَثَانِي) من التثنية وهي التكرير؛ لأن الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلاة وغيرها، أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله، الواحدة مثناة أو مثنية صفة للآية. (٢)

ومن ذلك أيضاً الجمع طرائق بزنة (فَعائِل) بفتح الفاء وكسر الهمزة في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾(٣). ولا شك في أنها أفادت القلة بدليل أن العدد سبعة. جاء في تفسير التحرير والتنوير في شرح هذه الآية: "والطرائق: جمع طريقة وهي اسم للطريق تذكر وتؤنث. والمراد بها هنا طرائق سير الكواكب السبعة وهي أفلاكها، أي الخطوط الفرضية التي ضبط الناس بها سموت سير الكواكب".(٤)

ووافقه في ذلك صاحب التسهيل لعلوم التنزيل بقوله: "سبع طرائق يعني السموات، وسماها طرائق لأن بعضها طورق فوق بعض كمطارقة النعل، وقيل يعني الأفلاك لأنها طرق للكواكب. وما كنا عن الخلق غافلين يحتمل أن يريد بالخلق المخلوقين".(٥)

ونتناول أيضاً رأي ابن عادل في الجمع طرائق، فقد قال في تفسير الآية: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾(٦): "قوله: (كُنَّا طَرَآئِقَ)، فيه أوجه:

أحدها: أن التقدير: كنا ذوي طرائق، أي: ذوي مذاهب مختلفة.
الثاني: أن التقدير: كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائقِ المختلفةِ.

١- تفسير ابن أبي زمنين، ٣٣٨/١.
٢- الكشاف للزمخشري، ٥٤٩/٢.
٣- سورة المؤمنون، الآية: ١٧.
٤- التحرير والتنوير، ٢٣/١٨.
٥- التسهيل لعلوم التنزيل، ٢٣٢/٢.
٦- سورة الجن، الآية: ١١.

كقول الشاعر:

كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعلَبُ (١)

الثالث: أن التقدير: كانت طريقتنا طرائق قدداً، على حذف المضاف الذي هو الطرائقُ، وإقامة الضمير المضاف إليه مقامه، قاله الزمخشريُّ. فقد جعل في ثلاثة أوجه مضافاً محذوفاً.

وقال: إنَّه قدر في الاول: "ذَوِي". وفي الثاني: مثل. وفي الثالث: طرائق.

ورد عليه أبو حيَّان قوله: (كُنَّا طَرَآئِقَ)؛ كقوله :

كَمَا عَسَل الطَّرِيقَ الثَّعلبُ

بأن هذا لا يجوز إلا في ضرورة أو ندور، فلا يخرج القرآنُ عليه، يعني تعدى الفعل بنفسه إلى ظرف المكان المختص.

والقددُ: جمع قدّة، والمراد بها الطريقةُ، وأصلها السيرة، يقال: قِدَّة فلان حسنة، أي: سيرته، وهو من قدَّ السير، أي: قطعه على استواء، فاستعير للسيرة المعتدلة.

قال الشاعر :

القَابِضُ البَاسِطُ الهَادِي بطَاعتِه في فِتْنَةِ النَّاس إذْ أهْواؤهُم قِدَدُ (٢)

وقال لبيد في أخيه :

لَمْ تَبْلُغِ العَيْنُ كُلَّ نَهْمتهَا لَيْلَةَ تُمْسِي الجِيادُ كالقِددِ (٣)

والقِدُّ – بالكسر – سير يُقَدّ من جلد غير مدبوغ، ويقال: ما له قِدٌّ ولا قِحْفٌ، فالقِدّ: إناء من جلد، والقِحْفُ: إناء من خشب.

قال سعيد بن المسيِّب: معنى الآية "كنا مسلمين"، ويهود ونصارى ومجوساً".

وقال السدي: في الجن مثلكم قدرية، ومرجئة وخوارج، ورافضة، وشيعة، وسنية.

وقال قوم: إنا بعد استماع القرآنِ مختلفون منا المؤمنون ، ومنا الكافرون .

وقيل: أي: ومنا الصالحون ومنا المؤمنون لم يتناهوا في الصلاح.

قال القرطبيُّ رحمه الله: "والأول أحسن، لأنه كان في الجن من آمن بموسى، وعيسى، وقد أخبر الله عنهم أنهم قالوا:

١- البيت كاملاً: لدنٌ بهز الكف يعسل متنه ... فيه كما عسل الطريق الثعلب

وهو للشاعر ساعدة بن جؤية الهذلى، انظر ديوان الهذليين، ١٩٠/١، والكامل في اللغة والأدب، ٢٨٩/١.

٢- البيت للراعي النميري، انظر ديوانه، ٥٥/١، ومنتهى الطلب من الأشعار العرب، ٢٤١/١.

٣- انظر ديوان لبيد بن ربيعة، ٢٠/١ ، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ٦٨/١٧.

﴿ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾(١) ، وهذا يدل على إيمان قوم منهم في دعاء من دعاهم إلى الإيمان، وأيضاً لا فائدة في قولهم: نحن الآن منقسمون إلى مؤمن وإلى كافر، والطرائق: جمع طريقة، وهي مذهب الرجل، أي: كنا فرقاً، ويقال: القوم طرائق أي: على مذاهب شتَّى، والقِدَدُ: نحو من الطرائق وهو توكيد لها واحده: قدَّة، يقال: لكل طريقةٍ قِدَّةٌ".(٢)

ومثل ذلك الجمع حِجَج بزنة (فِعَل) بكسر الأول وفتح الثاني في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَ ﴾(٣). وكما قلنا في المثاني نقول في حجج أن الجمع واضح أنه يفيد القلة بدليل العدد ثمانية. يقول الجزائري في تفسير هذه الآية: "على أن تأجرني ثماني حجج: أي ثماني سنوات إذ الحجة عام والجمع حجج. فإن أتممت عشراً فمن عندك: أي جعلت الثمانية عشراً فرغبت عشراً فهذا من كرمك".(٤)

ومن ذلك أيضاً الجمع حُصُون بزنة (فُعُول) بضم الأول والثاني في قوله تعالى: ﴿مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ ﴾(٥) . جاء في تفسير التحرير والتنوير في تفسير هذه الاية ما يفيد القلة إذ قال: "وكان لبني النضير ستة حصون أسماؤها: الكُتيبة بضم الكاف وفتح المثناة الفوقية والوطيح بفتح الواو وكسر الطاء والسلالم بضم السين والنطاة بفتح النون وفتح الطاء بعدها ألف وبها تأنيث آخره والوخدة بفتح الواو وسكون الخاء المعجمة ودال مهملة وشق بفتح الشين المعجمة وتشديد القاف".(٦)

وقريباً من ذلك جاء الجمع معارج بزنة (مَفاعِل) بفتح الميم وكسر العين في قوله تعالى:

١- سورة الأحقاف، الآية: ٣٠.
٢- اللباب في علوم الكتاب، ٤٢٣/١٩ وما بعدها.
٣- سورة القصص، الآية: ٢٧.
٤- أيسر التفاسير للجزائري، ٦٦/٤.
٥- سورة الحشر، الآية: ٢.
٦- التحرير والتنوير، ٦٢/٢٨.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾(١). وقد ذكر المفسرون أنّ المعارج هي السماوات السبع. فقد قال صاحب البحر المديد: "{ذي المعارج} أي: ذي المصاعد، التي تصعد فيها الملائكة بالأوامر والنواهي، وهي السموات المترتبة بعضها فوق بعض، أو: ذي الفواضل العالية، أو معالي الدرجات، أو الدرجات التي يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح، أو: يرقى فيها المؤمنون في سلوكهم".(٢)

ويؤيد هذا الرأي ما قاله الإمام الرازي: "المعارج جمع معرج وهو المصعد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾(٣) . والمفسرون ذكروا فيه وجوهاً أحدها: قال ابن عباس في رواية الكلبي: {ذِي الْمَعَارِجِ}، أي ذي السموات، وسماها معارج لأن الملائكة يعرجون فيها وثانيها: قال قتادة: ذي الفواضل والنعم وذلك لأن لأياديه ووجوه إنعامه مراتب، وهي تصل إلى الناس على مراتب مختلفة وثالثها: أن المعارج هي الدرجات التي يعطيها أولياءه في الجنة، وعندي فيه وجه رابع: وهو أن هذه السموات كما أنها متفاوتة في الارتفاع والانخفاض والكبر والصغر، فكذا الأرواح الملكية مختلفة في القوة والضعف والكمال والنقص وكثرة المعارف الإلهية وقوتها وشدة القوة على تدبير هذا العالم وضعف تلك القوة، ولعل نور إنعام الله وأثر فيض رحمته لا يصل إلى هذا العالم إلا بواسطة تلك الأرواح، إما على سبيل العادة أولا كذلك على ما قال: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾(٤) ، وقوله: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾(٥) . فالمراد بقوله: {مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ} الإشارة إلى تلك الأرواح. المختلفة التي هي كالمصاعد لارتفاع مراتب الحاجات من هذا العالم إليها وكالمنازل لنزول أثر الرحمة من ذلك العالم إلى ما ههنا".(٦)

ونختم هذا المبحث بالجمع الترائب بزنة (فَعائِل) بفتح الفاء وكسر الهمزة وهي من صيغ منتهى الجموع في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾(٧) . ونقف فيه على ما جاء في

١- سورة المعارج، الآية: ٣.
٢- البحر المديد، ١٣٢/٨.
٣- سورة الزخرف، الآية: ٣٣.
٤- سورة الذاريات، الآية: ٤.
٥- سورة النازعات، الآية: ٥.
٦- تفسير الرازي، ٦٣٩/٣٠.
٧- سورة الطارق، الآية: ٧.

تفسير النكت والعيون إذ قال: "وفي الترائب ستة أقاويل:

أحدها: أنه الصدر، قاله ابن عياض، ومنه قول دريد بن الصمة:

فإنَّ تُدْبروا نأخذكُم في ظهوركم وإنْ تُقْبِلُوا نأخذكُم في الترائب (١)

الثاني: ما بين المنكبين إلى الصدر، قاله مجاهد.

الثالث: موضع القلادة، قاله ابن عباس، قال الشاعر:

والزعفران على ترائبها شَرِقٌ به اللّباتُ والنحْرُ (٢)

الرابع: أنها أربعة أضلاع من الجانب الأسفل، قاله ابن جبير، وحكى الزجاج أن الترائب أربعة أضلاع من يمنة الصدر وأربعة أضلاع من يسرة الصدر.

الخامس: أنها بين اليدين والرجلين والعينين، قاله الضحاك.

السادس: هي عصارة القلب، قاله معمر بن أبي حبيبة".(٣)

١- انظر الأصمعيات، ٤/١ .

٢- ينسب هذا البيت إلى أبي بكر بن المسور بن مخرمة الزهري وإلى الحارث بن خالد المخزومي وإلى بعض القرشيين من السبعة المعدودين، انظر الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ٣٣٥/٨.

٣- النكت والعيون، ٢٤٧/٦.

الفصل الخامس

اسم الجمع واسم الجنس الجمعي

في القرآن الكريم

المبحث الأول: اسم الجمع وما ورد منه في القرآن الكريم

اسم الجمع اصطلاح قديم استخدمه سيبويه (المتوفى سنة ١٨٠هـ) في كتابه واحتفظت به كتب النحو حتى اليوم. والمراد به الاسم الموضوع للدلالة على جمع من الناس أو غيرهم ولم يكن له واحد من لفظه. يقول سيبويه: "وأما ما كان اسما لجمع مؤنث لم يكن له واحد فتأنيثه كتأنيث الواحد نحو أبل وغنم لأنه ليس له واحد" (١) وعبر عنه بما يوضح معناه في قوله: "ما لم يكسر عليه واحد للجمع ولكنه شيء واحد يقع على الجميع" (٢)

وقد ورد المصطلح نفسه في الكتب المتأخرة فقد عرفه محمد عبد المنعم الشافعي بقوله: "اسم الجمع هو ما دل على معنى الجمع، ولم يكن له واحد من لفظه، مثل قوم ورهط، أو له واحد من لفظه ولكنه ليس من أوزان الجموع كصحب وركب، أو كان جمعاً أُجريت عليه أحكام المفرد كالتصغير والنسب، كما جعلوا (رِكاب) اسم جمع لركوبة، لأنهم نسبوا إلى لفظه والجموع لا ينسب إليها باقية على معناها". (٣)

وأضاف الأهدل: "وثَمَّ نوع رابع هو اسم الجمع وهو ما يدل على الآحاد المجتمعة غير المتعاطفة باعتبار الكمية وهو نوعان: الأول مالا واحد له من لفظه نحو: قوم، ونساء، ورهط، والثاني ماله واحد من لفظه نحو: صحب، وركب، وطير، في جمع صاحب، وراكب، وطائر".(٤) ويقول الرضى في اسم الجمع: "وبعضه يجوز تذكيره وتأنيثه كالركب، قال:

فعبتْ غشاشاً ثمَّ مرتْ كأنَّها مَعَ الصُّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أُحَاظَةَ مُجْفِلُ (٥)

فهو كاسم الجنس، نحو: مضى الركبُ، ومضت الركبُ، والركبُ مضى، ومضت ومضوا، والله أعلم". (٦)

١- كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، ٢٤٠/٣.
٢- المرجع نفسه، ٤٩٤/٣.
٣- شرح شذور الذهب، ٢٠٢/١.
٤- المذكرات النحوية، ٦/١ .
٥- البيت للشنفرى في ديوانه ص، ٥ ، ومنتهى الطلب من أشعار العرب، ٢٨٧/١.
٦- شرح الرضي على الكافية، ٣٤٥/٣.

وأمثلته في القرآن كثيرة فمنه الركب في قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ﴾ (١)

ورهط في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾ (٢)

والطير في قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ (٣)

اسم الجمع تجوز تثنيته وجمعه، يقول الرضى: "اسم الجمع، والمكسر، غير الجمع الأقصى على تأويل فرقتين، قال:

لنا ابلان، فيهما ما علمتم * فعن أيهما ما شئتم فتنكبوا (٤)

وقال: لأصبح الحي أوبادا ولم يجدوا * عند التفرق في الهيجا جمالين (٥)

ولا يجوز: لنا مساجدان". (٦)

بينما يرى الشيخ عبد الغني الدقر أن التثنية والجمع للآدمي فقط دون غيره، إذ قال: "كلُّ اسمِ جمْعٍ لآدَميّ فإنه يُذكَّر ويُؤَنَّث كـ "القَوْم" كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ﴾(٧) وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٖ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ (٨)، وأمَّا لِغَير الآدَمِيِّ فلازِمُ التَّأْنيث نحو "الإبِل" و"الخَيْل" و"الغَنَم" وكذا اسْمُ الجِنْس الجَمْعِي. (٩)

وورد هذا الاسم في القرآن الكريم مرةً بتذكير فعله، وأخرى بتأنيثه، ومواطنهما متقاربة العدد، فمثالُ تأنيث الفعل (ترضَى) في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾(١٠)

و(ودّتْ) في قوله تعالى: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ (١١)، وغير ذلك.

١- سورة الأنفال، الآية: ٤٢.

٢- سورة هود، الآية: ٩١.

٣- سورة ص، الآية: ١٩.

٤- والبيت منسوب لشاعر إسلامي اسمه شعبة بن نمير، وقال بعضهم انه بيت مفرد، وأورد آخرون معه بعض الأبيات، راجع شرح الرضى على الكافية، ٣٦٣/٣.

٥- البيت بدون نسبة في مجالس ثعلب، ٣٢/٤.

٦- شرح الرضى على الكافية، ٣٦٣/٣.

٧- سورة الأنعام، الآية: ٦٦.

٨- سورة الشعراء، الآية: ١٠٥.

٩- معجم القواعد العربية، ٧/٤.

١٠- سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

١١- سورة آل عمران، الآية: ٦٩.

أما مواطنُ التذكير، فنحو (نَبَذَ) في قوله تعالى: ﴿نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾(١)

و(ودَّ) في قوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾(٢) ، وغير ذلك .

وقد فصل فيه عباس حسن بقوله: "اسم الجمع ما يدل على أكثر من اثنين، وليس له مفرد من لفظه ومعناه معا، وليست صيغته على وزن خاص بالتكسير، أو غالب فيه. فيدخل في اسم الجمع ما له مفرد من معناه فقط، مثل: إبل، وقوم، وجماعة؛ فلهذه الكلمات وأشباهها مفرد من معناها فقط؛ فمفرد إبل هو: جمل أو ناقة، ومفرد قوم وجماعة هو: رجل أو امرأة... وليس لها مفرد من لفظها ومعناها معاً برغم دلالتها على أكثر من اثنين. ويدخل في اسم الجمع أيضا ما يدل بصيغته على الواحد والأكثر من غير أن تتغير تلك الصيغة، نحو: "فُلْك"، للسفينة الواحدة والأكثر".(٣)

وكذلك يدخل في اسم الجمع ماله مفرد من لفظه، ولكن إذا عطف على هذا المفرد مماثلان أو أكثر كان معنى المعطوفات مخالفا لمعنى اللفظ الدال على الكثرة، نحو: قريش، فإن مفرده قرشي. فإذا قيل قرشي، وقرشي، وقرشي كان معنى هذه المعطوفات، هو: جماعة منسوبة إلى قبيلة "قريش"، وهو معنى يختلف اختلافا واسعا عن معنى "قبيلة قريش"، فليس مدلول قبيلة قريش مساويا مدلول: جماعة منسوبة إلى قريش.

ويدخل في اسم الجمع أيضا ما نصوغه من لفظها ومعناها ولكنها ليست على أوزان جموع التكسير المعروفة فيما سبق؛ كراكب وركب، وصاحب وصحب. فقد قيل: إن صيغة "فَعْل" ليست من صيغ التكسير عند فريق من النحاة. أما عند غيره فهي من صيغ التكسير. (٤)

بالرغم من هذا فإن مثل راكب وركب، وصاحب وصحب أسماء جموع وليست جموع تكسير لسبب آخر؛ هو: أن كل صيغة تدل على معنى الجمع مع جواز أن تتساوى هي والواحد في الخبر، وفي النعت إذا احتاجت إلى خبر أو نعت ليست جمعاً، وإنما هي اسم جمع كركب وصحب، حيث تقول: الركب مسافر، وهذا ركب مسافر. كما تقول: الراكب مسافر، وهذا راكب مسافر. ومثل: الصحب قادم، وهذا صحب قادم؛ كما تقول: الصاحب قادم وهذا صاحب قادم.

١- سورة البقرة، الآية: ١٠٠.

٢- سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

٣- النحو الوافي، ٤/٦٨٠،٦٨١.

٤- راجع حاشية الصبان، ٤/٢١٧، وما بعدها.

ويجوز أن يعاملَ اسم الجمع معاملةَ المفردِ، باعتبار لفظه، ومعاملة الجمعِ، باعتبار معناهُ، فتقولُ "القومُ سارَ أو ساروا، وشَعْبٌ ذكيٌ أو أذكياءُ". وباعتبار أنه مفردٌ، يجوزُ جمعُهُ كما يُجمعُ المُفردُ مثلُ "أقوام وشعوب وقبائلَ وأرُهط وآبال". وتجوزُ تثنيتُهُ، مثلُ "قَومانِ وشَعبانِ وقبيلتانِ وطائفتان ورَهطان وإبلان. (١)

ومنه طائفتان في قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ (٢)

ومنه أيضاً شعوب وقبائل في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ (٣)

الفرق بين الجمع واسم الجمع أن للجمع صيغاً معروفة تخالف صيغ المفرد، بخلاف اسم الجمع، فليس له واحد من لفظه، وقد يكون له واحد من لفظه، لكنه ليس على وزن من أوزان الجموع المعروفة، ويعامل معاملة المفرد، فيصغر على لفظه، ويعود عليه الضمير مذكراً.

بل ذهب ابن السراج أكثر من ذلك فعد ما كان جمعاً على وزن فِعْلَة بكسر الفاء وسكون العين وفتح اللام من قبيل اسم الجمع، وأشار إلى ذلك في منظومته الكافية الشافية بقوله:

"وقيل إن (فِعْلَة) اسم جمع لأنه لم يطرد في الوضع

وعلى مذهب ابن السراج فإن فِتية وغِلمة وغِزلة من أسماء الجموع وهي جموع قلة عند غيره من النحويين".(٤)

وقد وضع سيبويه لاسم الجمع ستة أوزان هي:- (٥)

١-**فَعْل**: مثل: رَكْب، وسَفْر، وصَحْب، وطَيْر، في: راكب ومسافر وصاحب وطائر.

٢- **فَعْلَة**: مثل: كمأة، ورجلة، وجبأة، في: كمء وجبء وراجل.

٣- **فُعْلَة**: مثل: صُحبة، وظُؤرة، وفُرهة، وأُخوة، في: صاحب وظئر وفاره وأخ.

٤- **فَعَل**: مثل: أَدَم، عَمَد، وفَلَك، وحَلَق، في: أديم وعمود فَلْكة وحَلْقة. (٦)

١- انظر شرح الرضي على الكافية، ٣٠١/٣، وما بعدها، وجامع الدروس العربية، ٨/٤٠.

٢- سورة الحجرات، الآية: ٩.

٣- سورة الحجرات، الآية: ١٣.

٤- أبو بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج من أئمة النحو المشهورين توفي سنة ٣١٦هـ، انظر نزهة الألباء، ٢٤٩، ٢٥٠ وطبقات اللغويين والنحويين، ١١٣، ١١٤. راجع كتابه الأصول في النحو، ٢٩/٣، وما بعدها.

٥- انظر كتاب سيبويه، ٦٢٤/٣ وما بعدها.

٦- الحَلْقة كل شيء مستدير من الفضة أو الذهب أو الحديد وقد اختلفوا في تحريك عينها، انظر لسان العرب، ٥٨/١٠. والفَلْكة المستدير من الأرض في غلظ أو سهولة كالرحا، انظر تاج العروس، ٣٠٤/٢٧.

٥- **فاعِل:** مثل: جامل وباقر، في: جمل وبقرة.

٦- **فَعَلَة:** مثل: سراة في سريّ.

وقد زاد ابن مالك على أوزان سيبويه ثلاثة أوزان أخرى هي: **فَعالة** كصحابة، و**فَعْلاء** كطرفاء و**مفعولاء** كمعبوداء، بينما أغفل من أوزان سيبويه فاعِل مثل: جامل وباقر. (١)

ونستطيع أن نخلص إلى أن العلماء قداماهم ومحدثيهم قد فحصوا الكلمات الدالة على أكثر من اثنين فحصاً لغوياً في ضوء ما جمع من لغة العرب، وصنفوها من حيث السمات الفارقة، من جهة الوضع والوزن والتصريف والاستعمال في التراكيب فوضعوا لهذه الطائفة من الكلمات مصطلح اسم الجمع، وأصبح من أبرز سماته ما يلي:

١- **من جهة الوضع:** إنه اسم يوضع لمجموع الآحاد دالاً عليها دلالة المفرد على جملة أجزائه، فلا يقع على الواحد ولا الاثنين، لأنه اسم مفرد موضوع لمعنى الجمع فقط.

٢- **من جهة الوزن:** أنه لا يخضع للأوزان المتفق عليها في جمع التكسير أو الغالبة فيه.

٣- **من جهة التصريف:** أنه يصغر وينسب إليه على لفظه وبهذا يختلف عن الجمع إذ ينسب إلى مفرده.

٤- **من جهة الاستعمال في التراكيب:** أنه يجوز تذكير ضميره ويجوز أن يخبر عنه وأن ينعت بالمفرد.

وقد حظيت اللغة العربية بنصيب وافر من أسماء الجموع التي انتظمت في طائفتين:

١- مجال الآدميين. ٢- مجال غير الآدميين.

فالمجال الأول يتضمن ما يلي:

١- ألفاظ القرابة والصلات: مثل: أَهْل، وعَشِيرة، وحامَة، وعِتْرة، وآل، وأُسْرة، ورَهْط، وكَلالَة، وقَوْم، وشَعْب، وقَبِيلة، وفَصِيلة. (٢)

١- تسهيل الفوائد، ٢٨٠ وما بعدها.

٢- عِترة الرجل أقاربه من صلبه ومن طرفيه، حامة الرجل خاصة أهله. انظر لسان العرب، ٥٣٦/٤، وتاج العروس من جواهر القاموس، ٥٢١/١٢.

ومنه عَشِيرة في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (١)

ورَهْط في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ (٢)

ومنه أيضاً فَصِيلة في قوله تعالى: ﴿ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴾ (٣)

٢- ألفاظ لجماعات الفرسان: مثل: جَيش، وعَسْكَر، وخميس، ومَجْر، ومَقْنَب، وكوكبة، وكتيبة، وسرية، وفيلق، وجحفل، وكبكبة.

ومثاله كلمة مقنب في قول كعب بن زهير:

من سرّه كرمُ الحياةِ فلا يزلْ في مَقْنَبٍ منْ صالحي الأنْصارِ (٤)

٣- ألفاظ لجماعات عامة: مثل: ثُلّة، وثُبَة، وملأ، وفرقة، وسِرب، وشرذمة، ونفر، وقبيل، وعصبة، وفوج، وحزب، وجيل، ومعشر. (٥)

ومنه ثلة في قوله تعالى: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾(٦)

وشرذمة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾(٧)

وعصبة في قوله تعالى:﴿ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾(٨)

ومنه فوج في قوله تعالى:﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ (٩)

١- سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

٢- سورة هود، الآية: ٩١.

٣- سورة المعارج، الآية: ١٣.

٤- انظر الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ٩٥/١٧ ، ونهاية الأرب في فنون الأدب ٣٠٩/١٦ .

٥- انظر جواهر الألفاظ لابن قتيبة، ٥٩، ٦٠، وفقه اللغة للثعالبي، ١٤٣.

٦- سورة الواقعة، الآيتان: ٣٩ – ٤٠.

٧- سورة الشعراء، الآية: ٥٤.

٨- سورة يوسف، الآية: ١٤.

٩- سورة الملك، الآية: ٨.

أما المجال الثاني فيتضمن ما يلي:

١- **الحيوانات:** فمن جماعات الجِمال الإبل، والذَوْد وهي ما بين الثلاثة إلى العشرة، والصِرمة وهي ما بين العشرة إلى الأربعين، والهَجْمة وهي الأربعون، والعكْرة (١) وهي الستون، وعرْج وهي فوق الستين إلى المائة، وهُنَيدة وهي بين المائة والمائتين، والعكنان(٢) وهي المائتان، والخِطْر وهي الألف.

ومن جماعات الضأن والمعز الفِرْر وهي بين العشرة والأربعين من الضأن، والصُبّة وهي بين العشرة والأربعين من المعز، والأُمعوز إذا بلغت الثلاثين، والفَوْط إذا بلغت الضأن مائة، والضاجعة والكلعة (٣) إذا كثرت، والثَّلَّة إذا اجتمعت الضأن والمعز فكثرتا، والغنم، وحِيلة للمعز الكثيرة. (٤)

ومن الحيوانات الأخرى: الإجل والربرب لجماعة البقر الوحشية، والعانة جماعة الحمر الوحشية، والعود جماعة الظباء، والقطيع من الغنم، والرعيل والعرجلة (٥) من الخيل، والنعم وهي المال الراعية وأكثر ما يقع على الإبل.

٢- **الطيور**: ومنه سرب القطا أي جماعة من القطا، والحِنِط جماعة النعام.

٣- **الحشرات:** ومنه الرِّجل العارض جماعة الجراد، والدَّبْر جماعة الجراد وكذلك الصَّوْر.(٦)

١- الصرمة ما بين العشرة إلى الأربعين من الإبل، العكرة بفتح العين والكاف قيل ما بين الستين والمائة من الإبل،انظر المخصص لابن سيده، ١٩٩/٢.

٢- العكنان قيل مائتين وأكثر من الإبل مثل الكَوْر، المخصص لابن سيده، ٢٠٠/٢.

٣- الكلعة والضاجعة هي الغنم الكثيرة، انظر تهذيب اللغة، ٢٠٥/١.

٤- انظر الصحاح للجوهري، ٣٨٤/٤.

٥- العرجلة القطيع من الخيل، وقيل من الراجلة المشاة، لسان العرب، ٣٨٤/١١.

٦- انظر جواهر الألفاظ لابن قتيبة، ٥٩، ٦٠.

إعراب اسم الجنس:

اسم الجنس مما يعرب بالحركات الظاهرة، بالضمة رفعاً وبالفتحة نصباً وبالكسرة جراً، كما أنه مما ينون لأنه غير ممنوع من الصرف. والنماذج الدالة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم، فإذا نظرنا إلى كلمة فوج نجدها جاءت في مرفوعة بالضمة منونة في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ﴾(١) ومثلها في ذلك كلمة عصبة في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴾(٢)

كما نجد كلمة عشيرة نُصبَتْ بالفتحة في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ (٣)، وكلمة فصيلة جُرّت بالكسرة في قوله تعالى:﴿ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ﴾(٤)

١- سورة الملك، الآية: ٨.

٢- سورة يوسف، الآية: ١٤.

٣- سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

٤- سورة المعارج، الآية: ١٣.

المبحث الثاني

اسم الجنس الجمعي وما ورد منه في القرآن الكريم

اسم الجنس نوعان جمعي وإفرادي، فاسم الجنس الجمعي هو ما تضمّن معنى الجمع دالاً على الجنس. وله مفرد مميّز عنه بالتاء أو ياء النسب مثل: تفّاح، بطيخ. ومفردها: تفاحة، بطيخة. ومثل: عرب، ترك. ومفردها: عربيّ وتركيّ.

ويكثر ما يُميَّز عنه مفرده بالتاء في الأشياء المخلوقة، دون المصنوعة مثل: "نخل، نخلة، وبطيخ، بطيخة". وما دلّ على الجنس صالحاً للقليل منه والكثير مثل: ماء ولبن وعسل، فهو اسم الجنس الإفرادي.

يقول الرضى: "اسم الجنس، أي الذي يكون الفرق بينه وبين مفرده إما بالتاء نحو: تمرة وتمر، أو بالياء نحو: رومي وروم، وذلك لأنها لا تدل على آحاد إذ اللفظ لم يوضع للآحاد بل وضع لما فيه الماهية المعينة، سواء كان واحداً، أو مثنى، أو جمعاً، ولو سلمنا الدلالة عليها، فإنه لا يدل عليها بتغيير حروف مفرده، فان قيل: أليس آحاده أخذت وغيرت حروفها بحذف التاء أو الياء؟ قلت: ليس ذو التاء، ولا ذو الياء مفردين لاسم الجنس للأوجه الثلاثة المذكورة في اسم الجمع، وتزيد عليه، أن اسم الجنس يقع على القليل والكثير فيقع التمر، على التمرة، والتمرتين والتمرات، وكذا: الروم، فان أكلت تمرة أو تمرتين، وعاملت روميا أو روميين، جاز لك أن تقول: أكلت التمر، وعاملت الروم، ولو كانا جمعين، لم يجز ذلك، كما لا يقع رجال، على رجل، أو رجلين، بلى، قد يكون بعض الأجناس مما اشتهر في معنى الجمع، فلا يطلق على الواحد والاثنين، وذلك بحسب الاستعمال لا بالوضع، كلفظ الكلم".(١)

وقد وردت أمثلة اسم الجنس الجمعي كثيراً في القرآن الكريم بلفظها الجمعي وبمفردها المميز عنها بالتاء أو بياء النسب.

فمنه النخل في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ ﴾ (٢)

ومفرده نخلة في قوله تعالى: ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾(٣)

١- شرح الرضي على الكافية، ٣٦٦/٣.

٢- سورة الأنعام، الآية: ٩٩.

٣- سورة مريم، الآية: ٢٥

على أن ما يميز مفرده بياء النسب لم يرد في الغالب مفرداً وجمعاً في القرآن الكريم، فما ورد مفرده لم يرد جمعه، والعكس.

فمن ذلك أعجمي وعربي بصيغة الإفراد في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞ﴾ (١)

ويهود بصيغة الجمع وردت كثيراً في القرآن فمن ذلك قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ (٢)

ويميز بدر الدين المرادي بين مصطلحي اسم الجنس وعلم الجنس بقوله:"اسم الجنس هو الموضوع للحقيقة الذهنية من حيث هي هي "فأسد" موضوع للحقيقة من غير اعتبار قيد معها أصلا، وعلم الجنس "كأسامة" موضوع للحقيقة باعتبار حضورها الذهني الذي هو نوع شخصي لها مع قطع النظر عن إفرادها، ونظيره المعرف باللام الذي للحقيقة والماهية.

وبيان ذلك: أن الحقيقة الحاضرة في الذهن، وإن كان عامة بالنسبة إلى أفرادها، فهي باعتبار حضورها فيه أخص من مطلق الحقيقة، فإذا استحضر الواضع صورة "الأسد" ليضع لها صورة فتلك الصورة الكائنة في ذهنه جزئية بالنسبة إلى "مطلق صورة الأسد".

فإن هذه الصورة واقعة لهذا الشخص في زمان ومثلها يقع في زمان آخر "أو في ذهن آخر". والجميع يشترك في مطلق صورة الأسد، فإن وضع لها من حيث خصوصها فهو علم الجنس أو من حيث عمومها فهو اسم الجنس. (٣)

ويؤيد هذا المذهب ما ذهب إليه مصطفى الغلاييني حيث قال: "اسمُ الجنسِ هو الذي لا يختصُّ بواحد دون آخرَ من أفراد جنسه كرجل وامرأة ودار وكتاب وحصان. ومنه الضمائرُ، وأسماءُ الإشارة والأسماءُ الموصولة، وأسماءُ الشرط، وأسماءُ الاستفهام. فهي أسماءُ أجناس، لأنها لا تختصُّ بفرد دون آخر. ويُقابلهُ العَلَمُ، فهو يختصُّ بواحد دون غيره من أفراد جنسه. (٤)

وممن وافق هذا المذهب الشيخ عبد الغني الدقر فقد عرف اسم الجنس الجمعي كما يلي: "اسمُ الجِنْس: اسمٌ وُضِعَ للمَاهِيَّةِ بلا قَيْدٍ أصْلاً من حُضُورٍ وغيرِه، وإنْ لَزِمَهُ الحُضُورُ الذّهْني فلِتَعذُّر الوَضْعِ للمَجْهول ولكنه لم يُقصَد فيه.

١- سورة فصلت، الآية: ٤٤.

٢- سورة المائدة، الآية: ٨٢

٣- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ١/٤٠١ – ٤٠٢.

٤- جامع الدروس العربية، ١/٢٠.

والفَرْقُ بَيْن اسمِ الجِنْس وعَلَمِ الجنس أنَّ عَلَم الجِنْس للمَاهِيَّةِ بقيد الحُضُور، لا بِقَيْد الصِّدق على كثيرين. تقول: أُسَامَة أقْوى من ثُعَالَة، فأسَامَة: عَلَمٌ على الأسد والمعنى: ماهية الأسد أقوى من ماهية الثعلب واسمُ الجنس بالعكس. هذا نوعُ الأُسود، وثعالة علم على نوعه من الثعالب واسم الجِنْس بعكس ذلك.

وعَلَم الشخْص: للماهِيَّة المشخَّصة ذِهْناً وخَارِجاً، فالتَّشخُّص الذِّهني يَجْمع عَلَمَ الجِنْس وعَلَمَ الشَّخص، ويُخْرِجُ اسْمَ الجِنْس، والتشخُّص الخَارِجي، يُفَرِّق بَيْن العَلَمين.

وكعَلَم الجِنس: المُعرّف بلام الحقيقة (لام الحقيقة كقولك "الفَرَس خيرٌ من البرْذَون" والمعنى حقيقة الفرَس أو ماهيَّتُها خيرٌ من حقيقَة البِرْذُون أو ماهيته). وكعَلَم الشخص المعرَّفِ بلام العَهْد، إلاَّ أنَّ العلمَ يَدُلُّ على التعيُّن بجوهرِه وذا اللام بقرينتها. (١)

ويورد الرضي اختلاف الآراء بين الأخفش وسيبويه والفراء في اسم الجمع واسم الجنس: "وعند الأخفش: جميع أسماء الجموع التي لها آحاد من تركيبها، كجامل وباقر، وركب: جمع، خلافاً لسيبويه، وعند الفراء: كل ماله واحد من تركيبه سواء كان اسم جمع كباقر وركب، أو اسم جنس كتمر، وروم فهو جمع، وإلا فلا، وأما اسم الجمع واسم الجنس اللذان ليس لهما واحد من لفظهما فليسا بجمع اتفاقاً، نحو إبل، وتراب، وإنما لم يجيء لمثل تراب، وخل، مفرد بالتاء، إذ ليس له فرد مميز عن غيره، كالتفاح، والتمر، والجوز، والفرق بين اسم الجمع واسم الجنس مع اشتراكهما في أنهما ليسا على أوزان جموع التكسير، لا الخاصة بجمع القلة، كأفعلة وأفعال، ولا المشهورة فيه كفعلة نحو: نسوة، أن اسم الجمع لا يقع على الواحد والاثنين، بخلاف اسم الجنس، وأن الفرق بين واحد اسم الجنس وبينه فيما له واحد متميز، إما بالياء، أو التاء بخلاف اسم الجمع، فان قيل: فقد خرج بقولك: مقصودة بحروف مفرده بعض الجموع أيضا، أعني جمع الواحد المقدر نحو عباديد وعبابيد بمعنى الفرق، ونسوة في جمع امرأة، فينبغي أيضا، أن يكون من أسماء الجموع، كابل وغنم، قلت: إن أسماء الجموع، هي المفيدة لمعنى الجمع مخالفة لأوزان الجموع الخاصة بالجمع والمشهورة فيه، ونحو عباديد، وعبابيد، وزن خاص بالجمع، ونحو: نسوة مشهور فيه، فوزنها أوجب أن تكون من الجموع، فيقدر لها واحد، وإن لم يستعمل، كعباد، وعبدود، ونساء كغلام وغلمة فكأن له مفردا غير تغييرا ما". (٢)

١- معجم القواعد العربية، ٣٧/٢، ٣٨.

٢- شرح الرضي على الكافية، ٣٦٦/٣.

ولكن العلماء قد أجمعوا على أن اسم الجنس الجمعي هو ما يميز عنه مفرده بالتاء المربوطة أو بياء النسب. واسم الجنس نوعان كما أسلفنا، أوردهما حسين آل علي في شرحه لألفية ابن مالك: (١)

١- **اسم جنس جمعي:** هو ما يُفْرَقُ بينه وبين مفرده بالتاء ، أو الياء ، نحو: بَقَر وبقرة ، وشجر وشجرة ؛ وتُرك وتركي ، وعَرَب ، وعربي .

٢- **اسم الجنس الإفرادي:** هوما يَصْدُق على القليل والكثير من جنس واحد، وبلفظ واحد، نحو: ماء، وذَهَب، وزيت، وعَسَل.

كما أوردهما أيضاً بتفصيل ابن عقيل: "اسم الجنس على نوعين: أحدهما يقال له اسم جنس جمعي، والثاني يقال له اسم جنس إفرادي، فأما اسم الجنس الجمعي فهو " ما يدل على أكثر من اثنين، ويفرق بينه وبين واحده بالتاء "، والتاء غالبا تكون في المفرد كبقرة وبقر وشجرة وشجر، ومنه كلم وكلمة، وربما كانت زيادة التاء في الدال على الجمع مثل كمء للواحد وكمأة للكثير، وهو نادر.

وقد يكون الفرق بين الواحد والكثير بالياء، كزنج وزنجي، وروم ورومي، فأما اسم الجنس الافرادي فهو " ما يصدق على الكثير والقليل واللفظ واحد " كماء وذهب وخل وزيت". (٢)

ويلاحظ أن بعض جموع التكسير جاءت مفرداتها مميزة عنها بالتاء المربوطة، وهذا قد يسبب بعض الخلط بينها وبين اسم الجنس الجمعي، فمثلاً كلمات مثل: قُرى ومُدى ودُمى ونَوى مفرداتها تميز عنها بالتاء وهي على الترتيب: قَرية ومُدية ودُمية ونَواة، وللتمييز بين مثل هذه الجموع واسم الجنس الجمعي وضع النحاة قيوداً تميز اسم الجنس الجمعي يقول ابن عقيل: " فإن قلتَ: فإنّي أجدُ كثيراً من جموع التكسير يفرق بينها وبين مفردها بالتاء كما يفرق بين اسم الجنس الجمعي وواحده، نحو قُرى وواحده قَرية، ومُدى وواحده مُدية، فبماذا أفرق بين اسم الجنس الجمعي وما كان على هذا الوجه من الجموع ؟.

فالجواب على ذلك أن تعلم أن بين النوعين اختلافا من وجهين، الوجه الاول: أن الجمع لابد أن يكون على زنة معينة من زنات الجموع المحفوظة المعروفة، فأما اسم الجنس الجمعي فلا يلزم فيه ذلك، أفلا ترى أن بقرا وشجرا وثمرا لا يوافق زنة من زنات الجمع؟

١- شرح ألفية ابن مالك، ٤/١.

٢- شرح ابن عقيل، ١٥/١.

والوجه الثاني: أن الاستعمال العربي جرى على أن الضمير وما أشبهه يرجع إلى اسم الجنس الجمعي مذكرا كقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ﴾(١)، وقوله جل شأنه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾(٢)، فأما الجمع فإن الاستعمال العربي جرى على أن يعود الضمير إليه مؤنثا، كما تجد في قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ (٣)، وقوله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ (٤) ، وكقول الشاعر:

في غُرَفِ الجنَّةِ العُلْيَا التي وَجَبَتْ ... لَهُمْ هُنَاكَ بِسَعْيٍ كَانَ مَشْكورِ (٥)". (٦)

إعراب اسم الجنس الجمعي:

اسم الجنس الجمعي كاسم الجنس مما يعرب بالحركات الظاهرة، بالضمة رفعاً وبالفتحة نصباً وبالكسرة جراً، كما أنه مما ينون لأنه غير ممنوع من الصرف. والنماذج الدالة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم، فإذا نظرنا إلى الكلمات (عنب، وقضب، وزيتون، ونخل) نجدها جاءت منصوبة بالفتحتين في قوله تعالى: ﴿ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (٧)، وجاءت كلمة الكلم مرفوعة بالضمة في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ (٨)، كما جاءت كلمة النخل مجرورة بالكسرة في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ (٩).

١- سورة البقرة، الآية: ٧٠.
٢- سورة فاطر، الآية: ١٠.
٣- سورة الزمر، الآية: ٢٠.
٤- سورة العنكبوت، الآية: ٥٨.
٥- البيت للشاعر الفرزدق في ديوانه، ٧٨/٢.
٦- شرح ابن عقيل، ١٥/١.
٧- سورة عبس، الآيتان: ٢٨ – ٢٩.
٨- سورة فاطر، الآية: ١٠.
٩- سورة الأنعام، الآية: ٩٩.

المبحث الثالث

معاني ودلالات اسم الجمع

وأسم الجنس الجمعي في القرآن الكريم

أولاً: دلالات اسم الجمع.

هذا المبحث يعد تكملة للمعاني والدلالات التي أسلفنا ذكرها في الفصول الأربعة الأولى من هذا البحث، فاسم الجمع واسم الجنس الجمعي من الأسماء التي تحمل دلالة الجمع من حيث أنها تدل على ثلاثة فأكثر. وبما أن هذين النوعين لا يدخلان في باب الدلالة على الكثرة والقلة بالدرجة التي رأيناها في أنواع الجموع السابقة فإننا سنتعرض هنا لدلالات هذه الأسماء الخاصة بكل اسم كما سنقف على الدلالات العامة التي قد نجدها في بعض الأسماء.

ونبدأ بالشعوب والقبائل وما تفرع منها لنرى لماذا اختلفت هذه المسميات الكثيرة، ونقف على قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (١) . فنجد تفسير البحر المديد قد فصل في هذه التقسيمات ومعانيها إذ يقول: "الشعوب: رؤوس القبائل، مثل ربيعة ومضر، والأوس والخزرج، واحدها: شَعب – بفتح الشين – سُمُّوا بذلك لتشعُّبهم كتشعُّب أغصان الشجرة، والقبائل: دون الشعوب، واحدها: قبيلة، كبَكر من ربيعة، وتميم من مضر. ودون القبائل: العمائر، جمع عَمارة بفتح العين، وهم كشيبان من بكر، ودارم من تميم، ودون العمائر: البطون، واحدها: بطن، وهي كبني غالب ولؤي من قريش، ودون البطون: الأفخاذ، واحدها: فَخْذ، كهاشم وأمية من بني لؤي، ثم الفصائل والعشائر، واحدها: فصيلة وعشيرة، فالشعب تجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعَمارة تجمع البطون، والبطن يجمع الأفخاذ، والفخذ يجمع الفصائل. وقيل: الشعوب من العجم، والقبائل من العرب، والأسباط من بني إسرائيل. {لِتَعارفوا} أي: إنما جعلناكم كذلك ليعرف بعضُكم نسبَ بعض، فلا يتعدّى إلى غير آبائه، لا لتتفاخروا بالأجداد والأنساب".(٢)

وزاد الأمر تفصيلاً صاحب تفسير التحرير والتنوير بقوله: " والشعوب جمع شعب بفتح

١- سورة الحجرات، الآية: ١٣.

٢- البحر المديد، ٢٥١/٧.

الشين وهو مجمع القبائل التي ترجع إلى جد واحد من أمة مخصوصة وقد يسمى جذما، فالأمة العربية تنقسم إلى شعوب كثيرة فمضر شعب، وربيعة شعب، وأنمار شعب، وإياد شعب، وتجمعها الأمة العربية المستعربة، وهي عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام، وحمير وسبأ، والأزد شعوب من أمة قحطان. وكنانة وقيس وتميم قبائل من شعب مضر. ومذحج، وكندة قبيلتان من شعب سبأ. والأوس والخزرج قبيلتان من شعب الأزد.

وتحت القبيلة العمارة مثل قريش من كنانة، وتحت العمارة البطن مثل قصي من قريش، وتحت البطن الفخذ مثل هاشم وأمية من قصي، وتحت الفخذ الفصيلة مثل أبي طالب والعباس وأبي سفيان. واقتصر على ذكر الشعوب والقبائل لأن ما تحتها داخل بطريق لحن الخطاب.
وجعلت علة جعل الله إياه شعوبا وقبائل. وحكمته من هذا الجعل أن يتعارف الناس، أي يعرف بعضهم بعضا. والتعارف يحصل طبقة بعد طبقة متدرجا إلى الأعلى، فالعائلة الواحدة متعارفون، والعشيرة متعارفون من عائلات إذ لا يخلون عن انتساب ومصاهرة، وهكذا تتعارف العشائر مع البطون والبطون مع العمائر، والعمائر مع القبائل، والقبائل مع الشعوب لأن كل درجة تأتلف من مجموع الدرجات التي دونها.

فكان هذا التقسيم الذي ألهمهم الله إياه نظاما محكما لربط أواصرهم دون مشقة ولا تعذر فإن تسهيل حصول العمل بين عدد واسع الانتشار يكون بتجزئة تحصيله بين العدد القليل ثم ببث عمله بين طوائف من ذلك العدد القليل ثم بينه وبين جماعات أكثر. وهكذا حتى يعم أمة أو يعم الناس كلهم وما انتشرت الحضارات المماثلة بين البشر إلا بهذا الناموس الحكيم".(١)

ومن أهم أسماء الجموع وأكثرها شمولاً كلمة الناس، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) وقد فصل ابن عادل في اللباب في معاني كلمة الناس أيما تفصيل إذ يقول: "والنَّاس اسم جمع لا واحد له من لَفْظِهَ، ويرادفه "أَنَاسِيّ" جمع إنسان أو إنسي، وهو حقيقة في الآدميين، ويطلق على الجِنّ مجازاً. واختلف النحويون في اشتقاقه؛ فمذهب سيبويه والفراء أن أصله همزة ونون وسين، والأصل: أناس اشتقاقاً من الأُنس،

١- التحرير والتنوير، ٢٦، ٢١٦.

٢- سورة البقرة، الآية: ٨.

قال:

وَمَا سُمِّيَ الإِنْسَانُ إِلاَّ لأُنْسِهِ وَلاَ القَلْبُ إِلاَّ أَنَّهُ يَتَقَلَّبُ (١)

لأنه أنس ب "حواء". وقيل: بل أنس بربه ثم حذفت الهمزة تخفيفاً؛ يدلّ على ذلك قوله:

إِنَّ الْمَنَايَا يَطَّلِعْنَ عَلَى الأُنَاسِ الآمِنِينَا (٢)

وقال آخر:

وَكُلُّ أُنَاسٍ قَارَبُوا قَيْدَ فَحْلِهِمْ وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيْدَهُ فَهُوَ سَارِبُ (٣)

وقال آخر :

وَكُلُّ أُنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الأَنَامِلُ (٤)

ويرى الكسائي أنه من "نون وواو وسين" والأصل: "نوس" فقلبت "الواو" "ألفاً" لتحركها، وانفتاح ما قبلها، والنَّوسُ: الحركة.

وذهب بعضهم إلى أنه من "نون وسين وياء"، والأصل "نسي"، ثم قلبت "اللام" إلى موضع العين، فصار: "نيس" ثم قلبت الياء ألفاً لما تقدم في "نوس"، قال: سموا بذلك لنسيانهم؛ ومنه الإنسان لنسيانه؛ قال:

لا تَنْسَيَنْ تِلْكَ الْعُهُودَ فَإِنَّمَا سُمِّيتَ إِنْسَاناً لإِنَّكَ نَاسٍ (٥)

فوزنه على القول الأول: "عَال"، وعلى الثاني: "فَعَلٌ"، وعلى الثالث: "قَلَعٌ "بالقَلْبِ". و "يقول": فعل مضارع، وفاعله ضمير عائد على مَنْ".(٦)

وكذلك من أسماء الجموع كلمة حزب، وردت في قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (٧)

١- البيت مجهول قائله، انظر زهر الأكم في الأمثال والحكم، ١٢٣/١ ، ونهاية الأرب في فنون الأدب، ١٠/٢.

٢- البيت مجهول قائله، انظر شرح المشكل في شعر المتنبي ١٦/١، ونهاية الأرب في فنون الأدب، ١٠/٢.

٣- البيت لأخنس بن شهاب، انظر أمالي القالي، ٢٤٥/٢ ، وسمط اللآلئ، ٢٤٨/١.

٤- البيت للبيد بن ربيعة العامري في ديوانه، ص ٧٣ ، ومجمع الأمثال، ٣١/١.

٥- البيت لأبي تمام في ديوانه، ٥٢٣/١ ، والبصائر والذخائر، ٩٥/٥.

٦- للباب في علوم الكتاب، ٣٢٨/١ وما بعدها.

٧- سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

والحزب يدل على جماعة ولكن تختلف عن الشعب والقبيلة وغيرها مما سبق في أن كلمة حزب لا تدل على صلة القربى، قال القاسم بن جزى الكلبي في تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل:"أولئك حزب الله هذه في مقابلة قوله أولئك حزب الشيطان والحزب هم الجماعة المتحزبون لمن أضيفوا إليه".(١)

وأكد هذا المعنى ابن عطية الأندلسي بقوله: "والحزب الصاغية والمنتمون إلى صاحب الحزب والمعاونون فيما يحزب".(٢)

وليس بعيداً عن ذلك ما قاله السمرقندي الحنفي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴾ (٣)

إذ يقول: "أولئك الأحزاب، يعني الكفار سموا أحزابا لأنهم تحزبوا على أنبيائهم أي تجمعوا".(٤)

ومنها أيضاً كلمة العير التي وردت في قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ (٥). والعير في هذه الآية المراد بها القافلة. قال الزمخشري: "والعير: الإبل التي عليها الأحمال، لأنها تعير: أي تذهب وتجيء. وقيل: هي قافلة الحمير، ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير".(٦)

ومن أسماء الجموع التي تدل على العدد الكثير كلمة أمّة التي سلك بها القرآن مسالك شتى فدلت في القرآن على المفرد وعلى الجمع، وغيرها من المعاني. وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم. في مواضع متعددة وبمعان متعددة. يقول ابن عادل في معاني كلمة أمّة: " قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (٧). والأمة هنا الجماعة، وتكون واحداً إذا كان يقتدى به في الخير، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (٨).

١- التسهيل لعلوم التنزيل، ١٥١/٣.
٢- المحرر الوجيز، ٢٤٣/٢.
٣- سورة ص، الآية: ١٣.
٤- بحر العلوم، ١٥٣/٣.
٥- سورة يوسف، الآية: ٨٢.
٦- الكشاف للزمخشري، ٤٦٢/٢.
٧- سورة البقرة، الآية: ١٢٨.
٨- سورة النحل، الآية: ١٢٠.

وقد يطلق لفظ الأمّة على غير هذا المعنى، كقوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ (١) (إنا وجدنا آباءنا على أمة) أي دين وملة. ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (٢)

وقد تكون بمعنى الحِيْن والزمان ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴾ (٣). أي: بعد حين وزمان.

ويقال هذا أمة زيدٍ أي أُمُّ زيدٍ، والأمة أيضاً: القامة، يقال: فلان حسن الأُمَّة، أي: حسن القامة؛ قال الشاعر:

وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ الأَكْرَمِينَ حِسَانُ الْوُجُوهِ طِوَالُ الأُمَمْ (٤)

وقيل: الأمة الشَّجَّة التي تبلغ أم الدماغ، يقال: رجل مأموم وأميم نقله القرطبي". (٥)

وقريب من ذلك كلمة ثُلّة في قوله تعالى: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾(٦)

ونقف هما على قول أحمد بن محمد الفاسي في تفسير هذه الآية: "يقول الحق جلّ جلاله: {ثُلّةٌ} أي: هم ثلة، أي: جماعة كثيرة {من الأولين} والثُلة: الأمة الكثيرة من الناس، {وقليل من الآخِرين} ممن يتأخر من هذه الأمة، والمعنى: أن السابقين في أول الأمة المحمدية كثير، وفي آخرها قليل، وذلك أنَّ صدر هذه الأمة كَثُر فيها خير، وظهرت فيها أنوار وأسرار، وخرج منها جهابذة من العلماء والأولياء، بخلاف آخرها، السابقون فيها قليلون بالنسبة إلى عامة أهل اليمين، ويُؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم: "خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"، وصرّح في حديث آخر أنهم جميعاً من أمته، فقال: "الفرقتان من أمتي"، فسابق أول الأمة ثلة، وسابق سائرها إلى يوم القيامة قليل".(٧)

١- سورة الزخرف، الآية: ٢٢.

٢- سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

٣- سورة يوسف، الآية: ٤٥ .

٤- البيت للأعشى، انظر اللآلئ في شرح أمالي القالي، ٩٤٩/٢ ، وسمط اللآلئ، ٢٧١/١.

٥- اللباب، ٤٨٥/٢.

٦- سورة الواقعة، الآية: ١٣ – ١٤.

٧- البحر المديد، ٤٣٣/٧.

ومنها أيضاً كلمة رَجِل بفتح الراء وكسر الجيم في قوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (١). وهي اسم جمع للراجل خلاف الراكب، هذا ما قاله الزمخشري: "والرَّجل بفتح الراء وسكون اللام اسم جمع للراجل. ونظيره: الرَّكب والصَّحب. وقرىء: (ورَجِلِك) بفتح الراء وكسر اللام، على أن فَعِلاً بمعنى فاعل، نحو: تَعِبٌ وتاعِب. ومعناه: وجمعك الرَّجُل، وتضم جيمه أيضاً فيكون مثل حَدَثٌ وحَدُث، ونَدَسٌ ونَدُس، وأخوات لهما". (٢)

ومن أسماء الجموع التي تدل كذلك على جماعة من البشر كلمة عُصْبة، وقد وردت في أكثر من موضع في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ (٣). واتفقت الآراء على أن العصبة تدل على ما زاد على العشرة من الناس، يقول ابن عادل: "والعُصْبَة: ما زاد على العشرة، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما؛ وعنه: مابين العشرة إلى الأربعين.

وقيل: الثلاثة نفر، فإذا زادت على ذلك إلى تسعة؛ فهو رهطٌ، فإذا بلغُوا العشرة فصاعداً، فعُصْبَة.

وقيل: مابين الواحد إلى العشرة. وقيل: من عشرة إلى خمسة عشر. وقيل: ستة. وقيل: سَبْعَة. والمادَّة تدلُّ على الإحاطة من العصابة؛ لإحاطتها بالرَّأس".(٤)

وقد أورد فيها علي بن محمد البصري عدة آراء إذ قال: "ونحن عصبة، وفي العصبة أربعة أقاويل:

أحدها: أنها ستة أو سبعة ، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: أنها من عشرة إلى خمسة عشر ، قاله مجاهد.

الثالث: من عشرة إلى أربعين، قاله قتادة.

الرابع: الجماعة، قاله عبد الرحمن بن زيد".(٥)

وقد تبعه سيد طنطاوي بقوله: "والعصبة كلمة تطلق على ما بين العشرة إلى الأربعين

١- سورة الإسراء، الآية: ٦٤.

٢- الكشاف للزمخشري، ٦٣٣/٢.

٣- سورة يوسف، الآية: ٨.

٤- اللباب في علوم الكتاب، ٢٣/١١.

٥- النكت والعيون، ١٠/٣.

من الرجال، وهى مأخوذة من العصب بمعنى الشد، لأن كلا من أفرادها يشد الآخر ويقويه ويعضده، أو لأن الأمور تعصب بهم. أى تشتد وتقوى".(١)

ويلاحظ مما سبق وما سيأتي أن أسماء الجموع قد تعددت في لغة القرآن لتعدد دلالاتها، ومن ذلك كلمة زُمْرَة بضم الأول وسكون الثاني وفتح الثالث، وردت في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ . (٢) وقوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ (٣). قال محمد الأمين الشنقيطي في تفسير الآيتين السابقتين: "الزُمَرُ: الأفواج المتفرقة، واحده: زُمْرَة، وقد عبر تعالى عنها هنا بالزُمَر، وعبر عنها في الملك بالأفواج في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٌ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ﴾ (٤) ، وعبر عنها في الأعراف بالأمم في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَا ﴾(٥). وقال في فصلت: ﴿وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴾(٦) . وقال تعالى: ﴿هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴾ (٧) ".(٨)

ومن ذلك أيضاً الرّهْطُ، وردت في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴾ (٩) . وقد جمع ابن عادل الآراء التي وردت في تفسيرها بقوله: "تسعة رهط، يعني: مدينة ثمود، والأكثر أن يتميز، والعدد مجرور ب "من"، كقوله: ﴿أَرۡبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيۡرِ ﴾(١٠) وفي المسألة مذاهب:

أحدها: أنه لا يجوز إلا في قليل.

الثاني: أنه يجوز ولكن لا ينقاس.

١- الوسيط لسيد طنطاوي، ٢٢٧٩/١.
٢- سورة الزمر، الآية: ٧١.
٣- سورة الزمر، الآية: ٧٣.
٤- سورة الملك، الآية: ٨.
٥- سورة الأعراف، الآية: ٣٨ .
٦- سورة فصلت، الآية: ٢٥.
٧- سورة ص، الآية: ٥٩.
٨- أضواء البيان، ٣٩٦/٦.
٩- سورة النمل، الآية: ٤٨.
١٠- سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

الثالث: التفصيل بين أن تكون للقلة كرهط ونفر، فيجوز، أو للكثرة فقط، أو لها وللقلة فلا يجوز نحو: تسعة قوم. ونصب سيبويه على امتناع ثلاث غنم.

قال الزمخشري: وإنما جاز تمييز التسعة بالرهط، لأنه في معنى الجمع، كأنه قيل: تسعة أنفس. قال أبو حيان: وتقدير غيره تسعة رجال هو الأولى؛ لأنه من حيث أضاف إلى أنفس كان ينبغي أن يقول: تِسع أنفس – على تأنيث النفس – إذا الفصيح فيها التأنيث، ألا تراهم عدوا من الشذوذ قول الشاعر:

ثَلاَثَةُ أَنْفُسٍ وثَلاثُ ذَوْدٍ (١)

قال شهاب الدين: وإنما أراد تفسير المعنى. وقال ابن الخطيب: والأقرب أن يكون المراد تسعة جمع؛ إذ الظاهر من الرهط الجماعة لا الواحد، ثم يحتمل أنهم كانوا قبائل ويحتمل أنهم دخلوا تحت العدد، لاختلاف وصفهم وأحوالهم، لا لاختلاف النسب.

قوله: "يُفْسِدُونَ" يجوز أن يكون نعتاً للمعدود أو العدد، فيكون في موضع جر أو رفع.

قوله: "ولا يصلِحُون" قيل: مؤكد للأول، وقيل: ليس مؤكداً؛ لأن بعض المفسدين قد يصلح في وقت ما، فأخبر عن هؤلاء بانتفاء توهم ذلك، وهم الذي اتفقوا على عقر الناقة، وهم غواة قوم صالح، ورأسهم: قُدَار بن سالف، وهو عاقر الناقة". (٢)

ومن أسماء الجموع التي دلت أيضاً على مجموعة من البشر كلمة شِرْذِمَة بكسر الأول وسكون الثاني وكسر الثالث، وهي من أسماء الجموع التي تدل على القلة مع حقارة الشأن. وردت في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴾ (٣). قال أحمد بن محمد الفاسي في تفسير هذه الآية: "{إنّ هؤلاء}، يريد بني إسرائيل {لَشِرْذِمَةٌ}؛ طائفة قليلة {قليلون}، ذكرهم بالاسم الدالّ على القلة، ثم جعلهم قليلاً بالوصف، ثم جمع القليل، فيدل على ان كل حزب منهم قليل. أو: أراد بالقلة: الذلة، لا قلة العدد، أي: إنهم؛ لذلتهم، لا يُبالي بهم، ولا يتوقع غلبتهم. قال ابن عرفة: شرذمة: تقليل لهم باعتبار الكيفية، وقليلون: باعتبار الكمية، وإنما استقلّ قوم موسى – وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفاً – لكثرة مَن معه، فعن الضحّاك: كانوا سبعةَ آلافِ ألفٍ، ورُوي أنه أرسل في أثرهم ألفَ ألفٍ وخمسمائةَ ألفِ ملِك مُسوّر، مع كل ملِك ألفٌ، وخرج فرعون في

١- هذا صدر البيت وعجزه: لقد جار الزمان على عيالي، ورد بدون نسبة في مجالس ثعلب، ٥٤/١.

٢- اللباب في علوم الكتاب، ١٧٧/١٥.

٣- سورة الشعراء، الآية: ٥٤.

جمع عظيم، وكانت مقدمته سبعمائة ألف رجل على حصان، وعلى رأسه بيضة. وعن ابن عباس رضي الله عنه: أنه خرج فرعون في ألفِ ألفِ حصانٍ، سوى الإناث".(١)

ومن ذلك أيضاً كلمة شِيْعَة بكسر الشين وسكون الياء وفتح العين، وردت في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾(٢). قال صاحب أضواء البيان في تفسير هذه الآية: "من كل شِيعَةٍ، أي من: كل أمة أهلِ دينٍ واحدٍ. وأصل الشِيْعَة فِعْلَة كفِرْقَة، وهي الطّائفة التي شاعت غيرها أي تبعته في هدًى أو ضلال؛ تقولُ العربُ: شَاعَه شِياعاً: إذا تبعه". (٣)

بينما يرى الجزائري أنها التي تتبع في الباطل فقط، يقول: "من كل شيعة: أي طائفة تعاونت على الباطل وتشيع بعضها لبعض فيه".(٤)

ووافق هذا الرأي قول الرازي: "والمراد بالشِيْعَة وهي فِعْلَة كفِرْقَة وفِئَة الطائفة التي شاعت أي تبعت غاوياً من الغواة قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾(٥)". (٦)

بينما يرى الشربيني أنها التي تتبع في الحق أو الضلال، يقول"﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾(٧). أي : ممن شايعه في الإيمان وأصول الشريعة {لإبراهيم} ولا يبعد اتفاق شرعهما في الفروع أو غالباً، وقال الكلبي: الضمير يعود على محمد صلى الله عليه وسلم أي: وإن من شيعة محمد (صلى الله عليه وسلم) لإبراهيم (عليه الصلاة السلام) والشيعة قد تطلق على المتقدم، كقول القائل:

١- البحر المديد، ١٦٢/٥.
٢- سورة مريم، الآية: ٦٩.
٣- أضواء البيان، ٤٧٦/٣.
٤- ايسر التفاسير للجزائري، ٣٢٣/٣.
٥- سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.
٦- تفسير الرازي، ٣٠٠١/١.
٧- سورة الصافات، الآية: ٨٣ .

ومالي إلا آل أحمد شيعة وما لي إلا مذهب الحق مذهب (١)

فجعل آل أحمد وهم متقدمون عليه وهو تابع لهم شيعة له قاله الفراء، والمعروف أن الشيعة تكون في المتأخر قالوا: كان بين نوح وإبراهيم نبيان هود وصالح". (٢)

ومنه أيضاً كلمة طائفة، نجدها في قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ (٣). والطائفة جماعة من الناس كالفرقة، ولكن هناك فرق بينهما إذا دققنا في المعنى، ولمعرفة هذا الفرق إليك ما قاله ابن عادل في تفسير هذه الآية: "قوله: وَإِنْ طَائِفَتَانِ (من المؤمنين) إشارة إلى نُدْرَةُ وقُوع الاقتتال بين طوائف المسلمين. فإن قيل: نحن نرى أكثر الاقتتال في طوائفهم؟

فالجواب: أنّ قوله تعالى: إنْ إشارة إلى أنه لا ينبغي أن لا يقع إلا نادراً، غاية ما في الباب أن الأمر على خلاف ما ينبغي كذلك: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ (٤) إشارة إلى أنَّ مجيء الفاسق بالنبأ ينبغي أن لا يقع إلا قليلاً مع أن مجيء الفاسق كثيرٌ، وذلك لأن قول الفاسق صار عند أول الأمر أشدَّ قبولاً من قول الصادق الصالح، وقال: "وَإِنْ طَائِفَتَانِ" ولم يقل: "فِرْقَتَان" تحقيقاً للمعنى الذي ذكرناه وهو التقليل، لأن الطائفة دون الفرقة، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ ﴾(٥)" (٦)

ولم يذهب أبو حيان الأندلسي بعيداً عن ذلك حيث قال: "الاشتقاق على ما يكون يطوف بالشيء وأقل ما يتصور ذلك فيه ثلاثة وهي صفة غالبة لأنها الجماعة الحافة بالشيء. وعن ابن عباس وابن زيد في تفسيرها أربعة إلى أربعين. وعن الحسن: عشرة. وعن قتادة والزهري: ثلاثة فصاعداً. وعن عكرمة وعطاء: رجلان فصاعداً وهو مشهور قول مالك. وعن مجاهد: الواحد فما فوقه واستعمال الضمير الذي للجمع عائداً على الطائفة في كلام العرب دليل على

١- البيت للكميت بن زيد الأسدي، انظر الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ٢٩/١٧ ، وجواهر الأدب، ٣٣٣/١.

٢- تفسير السراج المنير، ٤٦٤/٣.

٣- سورة الحجرات، الآية: ٩.

٤- سورة الحجرات، الآية: ٦.

٥- سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

٦- اللباب في علوم الكتاب، ٥٢٩/١٧.

أنه يراد بها الجمع وذلك كثير في القرآن".(١)

ومن أسماء الجموع التي تحمل دلالة القربى والرحم كلمة العشيرة، وردت في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ (٢). يقول صاحب المحرر الوجيز في تفسير هذه الآية: "وأمره بنذارة عشيرته تخصيصاً لهم إذ العشيرة مظنة المقاربة والطواعية وإذ يمكنه معهم من الإغلاظ عليهمما لا يحتمله غيرهم فإن البرَّ بهم في مثل هذا الحمل عليهم والإنسان غير متهم على عشيرته وكان هذا التخصيص مع الأمر العام بنذارة العالم. وروي عن ابن جريج أنّ المؤمنين من غير عشيرته في ذلك الوقت نالهم من هذا التخصيص وخروجهم منه فنزلت: "واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين". ولما أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بهذه النذارة عظم موقع الأمر عليه وصعب ولكنه تلقاه بالجلد وصنع أشياء مختلفة كلها بحسب الأمر فمن ذلك أنه أمر عليا رضي الله عنه بأن يصنع طعاما وجمع عليه بني جده عبد المطلب وأراد نذارتهم ودعوتهم في ذلك الجمع وظهر منه (عليه الصلاة والسلام) بركة في الطعام، قال علي: وهم يومئذ أربعون رجلا ينقصون رجلا أو يزيدونه، فرماه أبو لهب بالسحر فوجم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وافترق جمعهم من غير شيء ثم جمعهم كذلك ثانية وأنذرهم ووعظهم فتضاحكوا ولم يجيبوا ومن ذلك أنه نادى عمه العباس وصفية عمته وفاطمة ابنته وقال لهم لا أغني عنكم من الله شيئا إني لكم نذير بين يدي عذاب شديد في حديث مشهور". (٣)

ويؤيد هذا رأي ابن عادل حيث قال: "العَشِيرةُ هي الأهلُ الأدنون. وقيل: هم أهلُ الرَّجُلِ الذين يتكثَّر بهم، أي: يصيرون له بمنزلةِ العدد الكامل، وذلك أنَّ العشيرة هي العددُ الكاملُ، فصارت العشيرةُ اسماً لأقارب الرَّجُلِ الذين يتكثَّر بهم، سواءً بلغوا العشرة أم فوقها. وقيل: هي الجماعةُ المجتمعة بنسبٍ، أو وداد، لعقد العشرة". (٤)

ومن أسماء الجموع الفِئَة بكسر الفاء وفتح الهمزة، وهي أيضاً من أسماء الجموع التي تدل على جماعة من الناس، نجدها في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (٥) . يقول ابن عاشور التونسي في تفسير هذه الآية: "والفئة الجماعة من الناس مشتقة من الفيء وهو الرجوع، لأن

١- تفسير البحر المحيط، ٣٩٥/٦.

٢- سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

٣- المحرر الوجيز، ٢٩٣/٤.

٤- اللباب في علوم الكتاب، ٥٤/١٠.

٥- سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

بعضهم يرجع إلى بعض، ومنه سميت مؤخرة الجيش فئة، لأن الجيش يفيء إليها". (١)

وقد وافق هذا الرأي أبو إسحق النيسابوري بقوله: "فئة جماعة وهي جمع لا واحد له من لفظه، وجمعها فئات وفئون في الرفع، وفئين في النصب والخفض. قال الزجّاج: إنّما قيل للفرقة فئة من فأوت رأسه بالعصا وفائته إذا شققته كأنّها قطعة". (٢)

ومن ذلك أيضاً القرن، وهي من أسماء الزمان ولكنها صارت تستخدم بمعنى الجماعة التي عاشت في زمان بعينه، انظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴾(٣). يقول محمد الأمين الشنقيطي في تفسير هذه الآية: "والمعنى: أهلكنا قرونا كثيرة، أي أمماً كانت قبلهم وهم أكثر نصيباً في الدنيا منهم. وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم لأنهم يتقدمونهم. قيل: سموا قرناً لاقترانهم في الوجود". (٤)

ووافق هذا الرأي ابن عاشور التونسي بقوله: "والقرن: الأمة والجيل. ويطلق على الزمان الذي تعيش فيه الأمة. وشاع تقديره بمائة سنة". (٥)

ومن ذلك أيضاً كلمة المَلأ بفتح الأول والثاني وسكون الثالث، وهي أيضاً من أسماء الجموع التي دلت على جماعة من الناس ولكن دلالتها فيها شيء من التشريف، انظر إلى قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ (٦). يقول الجزائري في تفسير هذه الآية: "{الْمَلَأِ}: أشراف الناس من أهل الحل والعقد بينهم إذا نظر المرء إليهم ملأوا عينه رواء وقلبه هيبة". (٧)

ويؤيد هذا القول ما قاله شهاب الدين المصري حيث يقول: "الملأ من بني إسرائيل يعني أشرافهم ووجوههم، ومنه قوله أولئك الملأ من قريش واشتقاقه من ملأت الشيء وفلان مليء إذا كان مكثرا فمعنى الملأ الذين يملأون العين والقلب وما أشبه هذا. وقيل مليئون بما يعصب بهم

١- التحرير والتنوير، ٤٧٦/٢.
٢- الكشف والبيان، ٢١٧/٢.
٣- سورة مريم، الآية: ٧٤.
٤- أضواء البيان، ٤٨٤/٣.
٥- التحرير والتنوير، ٩٠/١٦.
٦- سورة النمل، الآية: ٣٨.
٧- أيسر التفاسير للجزائري، ٢٣٣/١.

من عظائم الأمور". (١)

ومن ذلك أيضاً النفر بفتح الأول والثاني، وهي من أسماء الجموع التي تدل على القلة، وقد وردت في القرآن مرتبطة بالجن في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ (٢) . وقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ (٣). يقول الزمخشري في معنى هاتين الآيتين: "صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً، أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك. وقرىء: (صرّفنا) بالتشديد؛ لأنهم جماعة. والنَفَر: دون العشرة. ويجمع أنفاراً. وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه: (لو كان ههنا أحد من أنفارنا) (٤)" (٥)

وأكد الجزائري ما ذهب إليه الزمخشري حيث قال: "نفر من الجن :أي عدد من الجن ما بين الثلاثة والعشرة". (٦)

ونختم هذا المبحث بكلمة الرّكاب بكسر الراء، والتي وردت في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٧). وهي تختلف عن أسماء الجموع السابقة في أنها تدل على مجموعة من الدواب، ويرى المفسرون أنها للإبل خاصة. يقول الشربيني في تفسير هذه الآية: "والركاب الإبل غلب ذلك عليها من بين المركوبات، واحدها راكبة ولا واحد لها من لفظها.

وقال الرازي: العرب لا يطلقون لفظ الراكب إلا على راكب البعير، ويسمون راكب الفرس فارساً، والمعنى: لم تقطعوا إليها شقة ولا لقيتم بها حرباً ولا مشقة، فإنها كانت من المدينة على ميلين،

١- التبيان تفسير القرآن، ١٣٢/١.
٢- سورة الأحقاف، الآية: ٢٩.
٣- سورة الجن، الآية: ١.
٤- الحديث في نثر الدر، ٥٧/٢ ، ونهاية الأرب في فنون الأدب، ٥/١٨.
٥- الكشاف للزمخشري، ٣١٤/٤.
٦- أيسر التفاسير للجزائري، ٤٤٦/٥.
٧- سورة الحشر، الآية: ٦.

قاله الفرّاء فمشوا إليها مشياً، ولم يركبوا إليها خيلاً ولا إبلاً إلا النبي (صلى الله عليه وسلم) ركب جملاً، وقيل: حماراً مخطوماً بليف فافتتحها صلحاً".(٨)

ويؤيد هذا الرأي قول محمد ابن عجيبة الفأسي حيث يقول: "ركاباً، وهو ما يركب من الإبل خاصة، كما أنَّ الراكب عندهم راكبها لا غير، وأمّا راكب الفرس فإنما يُسمونه فارساً، ولا واحد لها من لفظها، وإنما الواحد منها: راحلة".(٩)

١- تفسير السراج المنير، ٢٥٥/٤.

٢- البحر المديد، ٦/٨.

ثانياً: دلالات اسم الجنس الجمعي.

كما فصلنا في دلالات اسم الجنس نتعرض هنا لدلالات اسم الجنس الجمعي الخاصة بكل اسم كما سنقف على الدلالات العامة التي قد نجدها في بعض الأسماء.

ونبدأ بالغَمَام ومفرده غَمَامة بفتح الغين، والسَّلْوَى بفتح السين وسكون اللام وفتح الواو، ومفردها سَلْوَاة، وقد وردت الكلمتان في قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(١). يقول شهاب الدين المصري في الغمام: "الغَمامُ سحابٌ أبيض سمي بذلك لأنه يغم السماء أي يسترها، وقيل هو اسم جنس يميز بينه وبين مفرده بالتاء يقال غَمامةٌ وغَمامٌ".(٢)

وعن السَّلْوَى نأخذ قول ابن عاشور التونسي حيث يقول: "وأما السَّلْوَى فهي اسمُ جنسٍ جمعي واحدته سَلْوَاة وقيل: لا واحد له وقيل: واحده وجمعه سواء، وهو طائر بري لذيذ اللحم سهل الصيد كانت تسوقه لهم ريح الجنوب كل مساء فيمسكونه قبضاً، ويسمى هذا الطائر أيضاً السُمَانَى بضم السين وفتح الميم مخففة بعدها ألف فنون مقصور كحُبَارَى، وهو أيضاً اسم يقع للواحد والجمع، وقيل: هو الجمع وأما المفرد فهو سماناة". (٣)

جاء في قاموس العين: "والسَّلْوى طيرٌ أمثال السُّمانَى الواحدةُ سلواة". (٤) قال الشاعر:

وإنّي لَتَعْروني لذكراكِ هزّة ... كما انتفض السَّلواة بلّله القَطْرُ (٥)

ومن أسماء الجنس الجمعيّة كلمة الأَعْراب بفتح الهمزة وسكون العين، ومفردها أَعْرابيٌّ، وردت في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ (٦). يقول سيد طنطاوي في تفسير هذه الآية: "والأعراب: اسم جنس لبدو العرب، واحده أعرابيٌّ، وهم الذين يسكنون البادية. والمراد بهم هنا جماعة منهم لا كلُّهم، لأن منهم:

١- سورة الأعراف، الآية: ١٦٠.

٢- التبيان تفسير غريب القرآن، ٨٧/١. وانظر في معنى الغمام، لسان العرب، ٤٤١/١٢

٣- التحرير والتنوير، ٣٧٩/١.

٤- معجم العين، ٢٩٨/٧.

٥- البيت منسوب لأبي صخر الهذلي، ويروى (كما انتفض العصفور) انظر نفح الطيب، ٤٥٤/٢، والمطرب من أشعار أهل المغرب، ١٦/١.

٦- سورة الحجرات، الآية: ١٤.

﴿ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ﴾ (١). قال الآلوسى: قال مجاهد: نزلت هذه الآيات فى بني أسد، وهم قبيلة كانت تسكن بجوار المدينة، أظهروا الإسلام، وقلوبهم دغلة، إنما يحبون المغانم وعرض الدنيا. ويروى أنهم قدموا المدينة فى سنة مجدبة، فأظهروا الشهادتين، وكانوا يقولون لرسول الله (صلى الله عليه وسلم): جئناك بالأثقال والعيال، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان. يمنون بذلك على النبي (صلى الله عليه وسلم)". (٢)

ويقول القرطبي في ذلك: "والعرب المستعربة هم الذين ليسوا بخلص، وكذلك المتعربة والعربية هي هذه اللغة. ويعرب بن قحطان أول من تكلم بالعربية وهو أبو اليمن كلهم. والعَرَب والعُرْب واحدٌ مثل العَجَم والعُجْم. والعُرَيْب تصغير العَرَب قال الشاعر:

ومكن الضباب طعام العُرَيب ولا تشتهيه نفوس العجم (٣)

إنما صغرهم تعظيما كما قال:

أنا جُذَيلُها المحكك وعُذَيقُها المرجبُ (٤)

وحكى القشيري: وجمع العربيّ العَرَب وجمع الأعرابيّ أَعْرابٌ وأعاريبٌ. والأعرابيّ إذا قيل له يا عربيّ فرح والعربيّ إذا قيل له يا أعرابيّ غضب. والمهاجرون والأنصار عَربٌ لا أعراب. وسميت العرب عرباً لأن ولد إسماعيل نشئوا من عربة وهي من تهامة فنسبوا إليها".(٥)

ومن ذلك أيضاً البَقَر بفتح أوله وثانيه، ورد مفرده بَقَرة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (٦). يقول ابن عادل في معناها: "والبَقَرَة واحدةُ البَقَرِ، تقعُ على الذّكر والأنثى نحو: حَمَامة، والصِّفة تميز الذّكر من الأنثى، تقول: بقرة ذكر، وبقرة أنثى. وقيل: بقرة اسم للأنثى خاصّة من هذا الجنس مقابل الثور، نحو: نَاقَة وجَمَل، وأَتَان وحِمَار. وسمي هذا الجنس بذلك، لأنه يَبْقُر

١- سورة التوبة، الآية: ٩٩.

٢- الوسيط لسيد طنطاوي، ٣٩٤٦/١.

٣- البيت لأبي الهندي، انظر أدب الكاتب، ١٦٨/١ ، وعيون الأخبار، ٣٥٠/١.

٤- قاله الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري يوم السقيفة عند أبي بكر رضي الله عنه، انظر الأمثال لابن سلام، ١٦/١ ، ونهاية الأرب في فنون الأدب، ١٢٨/٨.

٥- تفسير القرطبي، ٢٣٣/٨.

٦- سورة البقرة، الآية: ٦٧.

الأرض، أي: يشقّها بالحرث، ومنه: بَقَرَ بطنه، والباقر أبو جعفر، لشقِّه العلم، والجمع "بَقَر وَبَاقِر وَبَيْقُور وَبَقِير". و"البَقِيرة": ثوب يشقّ فتلقيه المرأة في عنقها من غير كُمَّين".(١)

ومنه أيضاً النَّحْلُ بفتح أوله وسكون ثانيه، ومفرده نَحْلَة، ورد في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ (٢). قال ابن عاشور التونسي في معناها: "و{النَّحْل}: اسم جنس جمعي، واحده نحلة، وهو ذبابٌ له جرم بقدر ضعفي جرم الذباب المتعارف، وأربعة أجنحة، ولون بطنه أسمر إلى الحمرة، وفي خرطومه شوكة دقيقة كالشوكة التي في ثمرة التين البربري "المسمى بالهندي" مختفية تحت خرطومه يلسع بها ما يخافه من الحيوان، فتسم الموضع سما غير قوي، ولكن الذبابة إذا انفصلت شوكتها تموت. وهو ثلاثة أصناف ذكر وأنثى وخنثى، فالذكور هي التي تحرس بيوتها ولذلك تكون محومة بالطيران والدوي أمام البيت وهي تلقح الإناث لقاحا به تلد الإناث إناثا.

والإناث هي المسماة اليعاسيب، وهي أضخم جرما من الذكور. ولا تكون التي تلد في البيوت إلا أنثى واحدة، وهي قد تلد بدون لقاح ذكر؛ ولكنها في هذه الحالة لا تلد إلا ذكورا فليس في أفراخها فائدة لإنتاج الوالدات.

وأما الخنثى فهي التي تفرز العسل، وهي العواسل، وهي أصغر جرما من الذكور وهي معظم سكان بيت النحل". (٣)

وقريب من النّحل النّمْل وهو بنفس الضبط، واحدته نَمْلة، وردت في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٤). يقول ابن عاشور التونسي في معناها: " و{النَّمْلِ}: اسم جنس لحشرات صغيرة ذات ستة أرجل تسكن في شقوق من الأرض. وهي أصناف متفاوتة في الحجم، والواحد منه نملة بتاء الوحدة، فكلمة نملة لا تدل إلا على فرد واحد من هذا النوع دون دلالة على تذكير ولا تأنيث فقوله: {نَمْلَةٌ} مفاده: قال واحد من هذا النوع.

واقتران فعله بتاء التأنيث جرى على مراعاة صورة لفظه لشبه هائه بهاء التأنيث وإنما هي علامة الواحدة والعرب لا يقولون: مشى شاة، إذا كان الماشي فحلاً من الغنم وإنما يقولون:

١- اللباب في علوم الكتاب، ١٥٤/٢.

٢- سورة النحل، الآية: ٦٨.

٣- التحرير والتنوير، ١٦٥/١٣.

٤- سورة النمل، الآية: ١٨. انظر معجم مقاييس اللغة، ٤٨٢/٥.

مشت شاة، وطارت حمامة، فلو كان ذلك الفرد ذكراً وكان مما يفرق بين ذكره وأنثاه في أغراض الناس وأرادوا بيان كونه ذكرا قالوا: طارت حمامة ذكر ولا يقولون طار حمامة، لأن ذلك لا يفيد التفرقة. ألا ترى أنه لا يصلح أن يكون علامة على كون الفاعل أنثى، فاقترن فعل {قَالَتِ} هنا بعلامة التأنيث لمراعاة اللفظ فقط، على أنه لا يتعلق غرض بالتمييز بين أنثى النمل وذكره بل يتعلق به غرض القرآن لأن القصد وقوع هذا الحادث وبيان علم سليمان لا فيما دون ذلك من السفاسف".(١)

ومنه أيضاً كلمة الرِّيْع بكسر الراء وسكون الياء، ومفردها رِيْعة، وردت في قوله تعالى: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴾ (٢). قال أبو زهرة في تفسير هذه الآية: "الاستفهام إنكاريٌّ لإنكار الواقع، والريع، اسم جنس جمعى لريعة، وهو الذى يفرق بينه وبين مفرده بالتاء المربوطة، أو ياء النسبة، والريع ما ارتفع من الأرض، وقيل: أبراج الحمام، لأنها تبنى على مرتفع وتكون مرتفعة".(٣)

ومن اسم الجنس الجمعي كلمة البُدْن بضم الباء وسكون الدال، ومفردها بُدْنة، وردت في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ﴾(٤). قال صاحب البحر المحيط في معناها: "البُدْنُ: جمع بُدْنة كثَمَر جمع ثَمَرة قاله الزّجاج، سميت بذلك لأنها تَبدُنُ أي تسمن. وقال الليث: البُدْنة بالهاء تقع على الناقة والبقرة والبعير مما يجوز في الهدي والأضاحي، ولا يقع على الشاة وسميت بُدْنة لعظمها. وقيل: تختص بالإبل. وقيل: البُدْن مفرد اسم جنس يراد به العظيم السمين من الإبل والبقر، ويقال للسمين من الرجال".(٥)

ومنه أيضاً النَّخْلُ، بفتح النون وسكون الخاء، واحدته نَخْلة، وردت في قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴾ (٦). وقد ذكر كثيراً في القرآن لكثرة فوائده، يقول سيد طنطاوي في تفسير الآية السابقة: "والنخل: اسم جنس يذكر ويؤنث ويجمع. وخص بالذكر مع

١- التحرير والتنوير، ٢٣٨/١٩.
٢- سورة الشعراء، الآية: ١٢٨.
٣- زهرة التفاسير، ٥٣٨٣، راجع في معنى الريع تاج العروس، ٢١، ١٣٧.
٤- سورة الحج، الآية: ٣٦.
٥- البحر المحيط، ٢٥٢/٦. انظر تهذيب اللغة ٢٠١/٦.
٦- سورة ق، الآية: ١٠.

أنه من جملة ما اشتملت عليه الجنات، لمزيد فضله وكثرة منافعه".(١)

ومن أسماء الجنس الجمعية كلمةُ السَّحَابِ بفتح السين، واحدته سَحَابَةٌ، وردت في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٢). والسحاب معلوم، فهو ما يحمل المطر، ولكن لم سمي سحاباً؟ قال ابن عادل في ذلك: "والسَّحَابُ اسمُ جنسٍ، واحدته "سَحَابَةٌ" سُمِّي بذلك؛ لانسحابه في الهواء؛ كما قيل له "حَباً" لأنَّه يحبو، ذكره أبو عليٍّ.

قال القرطبيُّ: ويقال: سَحَبْتُ ذَيْلِي سَحْباً، وتَسَحَّبَ فُلاَنٌ على فُلاَنٍ؛ والسَّحْبُ شدة الأكل والشُّرب؛ وباعتباره اسم جنس، وصفه بوصف الواحد المُذكّر في قوله: "المُسَخَّرِ" كقوله: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ (٣). ولما اعتبر معناه تارةً أخرى، وصفه بما يوصف به الجمع في قوله: "سَحَاباً ثِقَالاً" ويجوز أن يوصف به المؤنَّثة الواحدة؛ كقوله: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ (٤) فكلُّ اسم جنسٍ فيه لغتان: التذكير باعتبار اللّفظ، والتأنيث باعتبار المعنى. والتَّسخير: التذليل، وجعل الشَّيء داخلاً تحت الطَّوْع، وقال الرَّاغب: هو القهر على الفعل، وهو أبلغ من الإكراه". (٥)

ومن ذلك أيضاً كلمة الزُبُر بضم الأول والثاني، واحدته زُبُرَة، وردت في قوله تعالى: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (٦). جاء في زهرة التفاسير في معنى هذه الكلمة: "الزُبُر جمع زُبُرَة (٧) وهو اسم جنس جمعيّ، وهو الذى يفرق فيه بين المفرد والجمع بالتاء أو بياء النسب، كروم وروميّ، والزُبرة قطعة من الحديد، وقد شبهت الجماعات المختلفة فى نزاعها بزُبَر الحديد، من حيث أنّ كلّ واحدة شديدة فى التمسك بما عندها كأنها صلب الحديد، لا تترك رأيها، كما لا تتفرق زبر الحديد. أي اختلفوا متقطعين متنابزين غير مجتمعين فى أمرهم، بحيث لا متسع للالتقاء فيما بينهم، يتحزبون فى رأيهم: (كل حزب بما لديهم فرحون)

١- الوسيط لسيد طنطاوي، ٣٩٥٣/١.
٢- سورة البقرة، الآية: ١٦٤.
٣- سورة القمر، الآية: ٢٠.
٤- سورة الحاقة، الآية: ٧.
٥- اللباب في علوم الكتاب، ١٣٢/٣.
٦- سورة المؤمنون، الآية: ٥٣.
٧- الزُبُر بضمتين جمع زُبْرة بضمة فسكون وهي قطع الحديد، الصحاح للجوهري، ٢٢٩/٣.

أى كل جماعة متحزبة متعصبة لما عندها، فرحة به، وتحسب أنه الحق الذى لا ريب فيه، وهو الضلال المبين، وإنّ التحزب لفكرة يدفع إلى التعصب لها، والتعصب يعمى ويصم، وتقديم الجار والمجرور – بما لديهم – لبيان أهميته عندهم". (١)

ومنه أيضاً كلمة البَيْض بفتح الباء وسكون الياء، واحدته بيضة، وردت في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ (٢). قال الألوسي في تفسير هذه الآية: "البَيْضُ معروفٌ وهو اسم جنس الواحدة بَيْضَةٌ، ويجمع على بيوض كما في قول الشاعر:

بتيهاء قفرٌ والمطيّ كأنّها قَطا الحزنِ قد كانتْ فِرَاخاً بُيُوضُها (٣)

والمراد تشبيههن بالبيض الذي كَنّه الريش في العش أو في غيره، فلم تمسه الأيدي ولم يصبه الغبار في الصفاء. وشُوّب البياض بقليل صفرة مع لمعان كما في الدر. والأكثرون على تخصيصه ببيض النعام في الأداحي لكونه أحسن منظرا من سائر البيض، وأبعد عن مس الأيدي، ووصول ما يغير لونه إليه. والعرب تشبه النساء بالبيض ويقولون لهن بيضات الخدور ومنه قول امريء القيس:

وبَيضَةُ خِدْرٍ لا يُرامُ خِباؤُها تمتّعتُ مِنْ لَهوٍ بِها غيرِ مُعجَلِ (٤)

والبياض المشوب بقليل صفرة في النساء مرغوب جداً، قيل وكذا البياض المشوب بقليل حمرة في الرجال. وأما البياض الصرف فغير محمود. ولذا ورد في الحلية الشريفة أبيض ليس بالأمهق.

وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس وهو وغيره عن ابن جبير وابن أبي حاتم وابن جرير عن السدي أنّ البيض المكنون ما تحت القشر الصلب بينه وبين اللباب الأصفر والمراد تشبيههن بذلك بعد الطبخ في النعومة والطراوة. فالبيضة إذا طبخت وقشرت ظهر ما تحت القشرة على أتم نعومة وأكمل طراوة. ومن هنا تسمع العامة يقولون في مدح المرأة: كأنها بيضة مقشرة ورجح ذلك الطبري بأن الوصف بمكنون يقتضيه دون المشهور لأن الخارج قشر البيضة ليس بمكنون، وفيه أن المتبادر من البيض مجموع القشر وما فيه، والمراد تشبيههن بالبيض في تناسب الأجزاء، والبيضة أشد تناسب أجزاء، والتناسب ممدوح. ومن هنا قال بعض الأدباء متغزلاً: تناسب الأعضاء فيه فلا ترى بهنّ اختلافاً بل أتين على قدر وأنت تعلم بعد فرض

١- زهرة التفاسير، ٥٠٨٤.

٢- سورة الصافات، الآية: ٤٩.

٣- البيت بدون نسبة في ديوان الحماسة، ١٦/١ ، والمعاني الكبير ٧٥/١.

٤- انظر ديوان امرئ القيس ص، ٣ ، وأشعار الشعراء الستة الجاهليين، ٢٤/١.

تسليم أن تناسب الأجزاء في البيضة معروف بينهم أنّ الوصف بالمكنون مما لا يظهر له دخل في التشبيه. واستشكل التشبيه على ما تقدم بآية عروس القرآن كأنهن الياقوت والمرجان فإنها ظاهرة في أن ألوانهن حمرة وأين هذا من التشبيه بالبيض المكنون على ما سمعت قبل فيتعين أن يراد التشبيه من حيث النعومة والطراوة كما روي ثانياً. أو من حيث تناسب الأجزاء كما قيل أخيراً. وأجيب بأنه يجوز أن يكون المشبهات بالبيض المكنون غير المشبهات بالياقوت والمرجان، وكون البياض المشوب بالصفرة أحسن الألوان في النساء غير مسلم بل هو حسن ومثله في الحسن البياض المشوب بحمرة على أنّ الأحسنية تختلف باختلاف طباع الرائين. والجنة فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

وقيل يجوز أن يكون تشبيههن بالبيض المكنون بالنظر إلى بياض أبدانهن المشوب بصفرة ما عدا وجوههن، وتشبيههن بالياقوت والمرجان بالنظر إلى بياض وجوههن المشوب بحمرة وقيل تشبيههن بهذا ليس من جهة أن بياضهن مشوب بحمرة، بل تشبيههن بالياقوت من حيث الصفاء وبالمرجان من حيث الإملاس وجمال المنظر. وإذا أريد بالمرجان الدرر الصغار كما ذهب إليه جمع دون الخرز الأحمر المعروف يجوز أن يكون التشبيه من حيث البياض المشوب بصفرة فلا إشكال أصلاً".(١)

ومنه أيضاً كلمة المَوْج، بفتح الميم وسكون الواو، واحدتها مَوْجة، وردت في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (٢). قال أبو الفضل في تفسير هذه الآية: "وإذا غشيهم موج، أي علاهم وغطاهم من الغِشاء بمعنى الغِطاء من فوق وهو المناسب هنا وقيل: أي أتاهم من الغَشَيان بمعنى الإتيان. وضمير غشيهم إن اتّحد بضمير المخاطبين قبله ففي الكلام التِفاتٌ من الخطاب إلى الغيبة، وإلّا فلا التفات. والموج ما يعلو من غوارب الماء، وهو أسم جنس واحده مَوْجَة، وتنكيره للتعظيم والتكثير. ولذا أفرد مع جمع المشبه به في قوله تعالى: كالظلل وهو جمع ظُلّة كغرفة وغرف وقربة وقرب. والمراد بها ما أظلّ من سحاب أو جبل أو غيرهما".(٣)

من ذلك أيضاً الرُّطَبُ، بضم الراء وفتح الطاء، واحدته رُطَبة، وردت في قوله تعالى:

١- روح المعاني، ٨٩/٢٣.

٢- سورة لقمان، الآية: ٣٢.

٣- روح المعاني، ١٠٥/٢١.

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾ (١). جاء في تفسير السراج المنير في معنى الرطب وتفسير هذه الآية: "والرُّطَبُ اسمُ جنسٍ بخلاف تُخَم فإنّه جمعٌ لتُخْمة والفرق: أنهم التزموا تذكيره فقالوا: هو الرّطَبُ وتأنيث ذلك فقالوا: هي التُّخَمُ فذكّروا الرطب باعتبار الجنس وأنّثوا التخم باعتبار الجمعية، وهو فرق لطيف. والرُّطَب ما قطع قبل يبسه وجفافه وخُصَّ الرطب بالذكر قال الربيع بن خيثم: ما للنفساء عندي خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وهذه الأفعال الخارقة للعادة كرامات لمريم أو إرهاص لعيسى، وفي ذلك تنبيه على أنّ من قدر أن يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر أن يحبلها من غير فحل وتطييب لنفسها فلذلك قال: {فكلي} أي: من الرطب {واشربي} من السري أو كلي من الرطب واشربي من عصيره، {وقرّي عيناً} أي: وطيبي نفسك وارفضي عنها ما أحزنها، وقدّم الأكل على الشرب لأن حاجة النفساء إلى الرطب أشدّ من احتياجها إلى شرب الماء لكثرة ما سال منها من الدم".(٢)

وذهب ابن عادل هذا المذهب نفسه فقال: "والرُّطبُ: اسم جنسٍ لرُطَبة؛ بخلاف "تُخَم" فإنَّه جمعٌ لتخمة، والفرقُ: أنهم لزمُوا تذكيرهُ، فقالوا: هو الرطبُ، وتأنيث ذاك، فقالوا: هي التُّخَمُ، فذكَّرُوا "الرُّطَب" باعتبار الجنس، وأنَّثُوا "التُّخَمَ" باعتبار الجمعيَّة، وهو فرقٌ لطيفٌ، ويجمعُ على "أرطابِ" شذوذاً كربع وأرباع، والرُّطب: ما قطع قبل يبسه وجفافه، وخصَّ الرُّطب بالرُّطبِ من التَّمر، وأرطبَ النَّخْلُ؛ نحو: أثْمَرَ وأجْنَى. والمعنى جمعنا لك بين الشُّرب والأكل .

قال عمروُ بنُ ميمُون: ليس شيءٌ خيرٌ من الثَّمر والرُّطب، ثم تلا هذه الآية.
وقال بعضُ العلماءِ: أكْلُ الرُّطبِ والثَّمرةِ للمرأةِ الَّتي ضربها الطَّلق يُسَهِّل عليها الولادة.
قال الرَّبيعُ بنُ خيثمٍ: ما للنُّفساءِ عندي خيرٌ من الرُّطب، ولا للمرضِ خيرٌ من العسل.

قالت المعتزلةُ: هذه الأفعال الخارقةُ للعادةِ كانت معجزة لزكريَّا وغيره من الأنبياء؛ وهذا باطلٌ؛ لأنَّ زكريَّا – صلوات الله عليه وسلامه – ما كان له علمٌ بحالها ومكانها، فكيف بتلك المعجزات؟ بل الحقُّ أنها كانت كراماتٍ لمريم، أو إرهاصاً لعيسى – صلوات الله عليهما –، لأنَّ النَّخلة لم تكُن مثمرةً ، إذْ ذاك؛ لأن ميلادهُ كان في زمان الشتاء، وليس ذاك وقت ثَمر".(٣)

١- سورة مريم، الآية: ٢٥.
٢- السراج المنير، ٤٦٣/٢.
٣- اللباب في علوم الكتاب، ١٣، ٤٨.

ومن أسماء الجنس الجمعيّة البَنانُ (١) بفتح الباء، ومفرده بَنانَةٌ، ورد في قوله تعالى: ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾(٢). قال ابن عادل في تفسيره اللباب في علوم الكتاب في معنى البنان: "والبَنَانُ قيل: الأصابعُ، وهو اسمُ جنسٍ، الواحد: بنانةٌ؛ قال عنترةُ:

وأنَّ الموتَ طوْعُ يَدِي إذا مَا وصَلْتُ بنانَهَا بالهِنْدُوَانِي (٣)

وقال أبو الهيثم: "البنانُ: المفاصِلُ، وكل مفصل بنانة.

وقيل: البنانُ الأصابع من اليدين والرِّجلين، وجميع المفاصل من جميع الأعضاء، وأنشد لعنترة:

وقَدْ كانَ فِي الهَيْجَاءِ يَحْمِي دِمَاءَهَا ويَضْرِبُ عِنْدَ الكَرْبِ كُلَّ بنانِ (٤)"(٥)

ومن بديع ذلك كلمة الكَلِم بفتح الكاف وكسر اللام، واحدتها كَلِمة، وردت في قوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ (٦). جاء في تفسير روح المعاني في معناها وتفسير هذه الآية: "والكَلِمُ اسمُ جنسٍ جمعي واحده كلمة، والمراد بالكلم الطيّب على ما في الكشاف والبحر عن ابن عباس **(لا إله إلا الله)** ومعنى كونه طيّبا على ما قيل أنّ العقل السليم يسيطيبه ويستلذه لما فيه من الدلالة على التوحيد الذي هو مدار النجاة، والوسيلة إلى النعيم المقيم، أو يستلذه الشرع أو الملائكة عليهم السلام وقيل: إنه حسن يقبله العقل ولا يرده، وإطلاق الكلم على ذلك إن كان واحده الكلمة بالمعنى الحقيقي ظاهر لتضمنه عدة كلمات، لكن في وصفه بالطيّب بالنظر إلى غير الاسم الجليل خفاء، ولعل ذلك باعتبار خصوصية التركيب وإنّ كان واحده هنا الكلمة بالمعنى المجازي كما في قوله تعالى: (وتمّت كلمة ربك) و(كلا إنّها كلمةٌ هو قائلها) وقوله (عليه الصلاة و السلام): أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد. وقولهم لا إله إلا الله كلمة التوحيد إلى ما لا يحصى كثرة، فإطلاق الكلم على ذلك لتعدده بتعدد القائل: وكأن القرينة على إرادة المعنى المجازي للكلمة الصادق على الكلام الوصف بالطيب بناء على أن ما يستطيب ويستلذ هو الكلام دون الكلمة العرية عن إفادة حكم تنبسط منه النفس أو تنقبض أو

١- البنان أطراف الأصابع من اليدين والرجلين، انظر تهذيب اللغة، ٣٣٧/١٥.

٢- سورة الأنفال، الآية: ١٢.

٣- انظر ديوان عنترة بن شداد، ص، ١١٠، وأشعار الشعراء الستة الجاهليين، ١٦٨/١.

٤- انظر ديوان عنترة بن شداد، ص، ١٠٧، وأشعار الشعراء الستة الجاهليين، ١٧٠/١.

٥- اللباب، ٤٧٢/٩.

٦- سورة فاطر، الآية: ١٠.

يقال: إن كثرة إطلاق الكلمة على الكلام وشيوعه فيما بينهم حتى قال بعضهم كما نقل الحمصي في حواشي التصريح عن بعض شراح الآجرومية أنه حقيقية لغوية تغني عن القرينة. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات عن الحبر أنّه فسر الكلم الطيب بذكر الله تعالى، وقيل: هو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. وهو ظاهر أثر أخرجه ابن مردويه والديلمي عن أبي هريرة.

وقيل: هو سبحان الله وبحمده والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله، وهو ظاهر أثر أخرجه جماعة عن ابن مسعود وأخرجه ابن أبي حاتم عن شهر بن حوشب أنه القرآن وقيل: هو الثناء بالخير على صالحي المؤمنين وقيل: هو الدعاء الذي لا ظلم فيه وقال الإمام وبه أقتدي: المختار أنه كل كلام هو ذكر الله تعالى أو هو لله سبحانه كالنصيحة والعلم".(١)

ومن الأسماء ما اختلف العلماء في حقيقة كونه اسم جنس أم غير ذلك، فمن ذلك الرَفْرَفُ بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه، نجد هذه الكلمة في قوله تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ (٢). يقول ابن عادل في الرَّفْرَف: "الرَّفْرَفُ: جمع رَفْرَفَةٍ فهو اسم جنس. وقيل: بل هو اسم جمع. نقله مكي، وهو ما تدلى من الأسِرّة من عالي الثياب وقال الجوهري: "والرّفْرَف": ثيابٌ خضرٌ تتخذ منها المحابس، الواحدة: رَفرفة. واشتقاقه: من رَفَّ الطائرُ إذا ارتفع في الهواء، ورفرف بجناحيه إذا نشرهما للطَّيران، ورفرف السحاب هبوبه. ويدلّ على كونه جمعاً وصفه بالجمع. (٣)

وقال الراغب: رفيفُ الشجر: انتشارُ أغصانه، ورفيفُ الطائر نشر جناحيه، رَفَّ يَرِفُّ – بالكسر – ورفَّ فرخه يرُفُّه – بالضم – يفقده، ثم استعير للفقدِ، ومنه: "ما له حاف ولا رافّ"، أي: من يحفه ويتفقده، والرفرف: المنتشر من الأوراق.

وقوله: (عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ) ضرب من الثياب مشبه بالرياض. وقيل: الرفرف طرف الفُسْطاط والخباء الواقع على الأرض دون الأطناب والأوتاد. وذكر الحسن: أنه البُسُط.

وقال ابن جبير، وابن عباس أيضاً: رياض الجنة من رفّ النبت إذا نعم وحسن".(٤)

١- روح المعاني، ١٧٤/٢٢.

٢- سورة الرحمن، الآية: ٧٦.

٣- الصحاح للجوهري، ٥٣/٥.

٤- اللباب في علوم الكتاب، ٣٦١/١٨.

ومنه أيضاً الحَرَجُ، بفتح أوله وثانيه، نجدها في قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾(١)

وهذه من الكلمات التي تشكل على القارئ لأنها تختلط بمعنى الحَرَج الذي يقتضي العُذر، ولكنها في هذه الآية لها معنى في غاية الروعة، يقول فيه الإمام محمد أبو زهرة: "الإضلال من غير محمل من جانب من أراد الله تعالى إضلاله، إنما يكون بعمل من جانبه قد كتبه الله تعالى عليه، بأن تهوى نفسه فى طريق الضلالة بالميل إليها، والرغبة فيها، والحرص على طريق يدفعه إليه الغرور ونسيان الآخرة، وأن يعتقد أنه لا حياة إلا الدنيا وما فيها.

وإنه إذا سار على هذا النحو أراد الله تعالى له الضلال، والكل بما كتبه الله تعالى عليه، وإنه إذا أراد الله ضلاله على هذا النحو الذى بيناه، جعل صدره ضيقا حرجاً، أى أن قلبه لا يتسع لغير ما ختم عليه. فالله تعالى يضيق صدره، وفي هذا أيضا مجاز، لأنه تشبيه للأمر المعنوى، وهو الإعراض عن الحق، وابتعاده عنه بالضيق الحسي، فاستعارة الضيق إلى الصدر من ترشيح الاستعا رة وتقويتها.

وقوله تعالى: حَرَجاً قرئ بالفتح، على أنه اسم جنس جمعي لحَرَجَة، وهى الأشجار الملتفة التى لا تسمح أن ترعى فيها راعية، والحَرَجَة هى الشجرة التى تكون مختفية بين الأشجار لا يصل إليها. وقرئ (حَرِجاً) بكسر الراء بمعنى الضيق، وهى تاكيد للضيق أى ضيقا شديدا لا يمكن أن تدخله الهداية، وعلى تفسير الحَرَج بالفتح على أنه اسم جنس جمعي للحَرَجَة قيل إنّ الإمام عمر رضى الله عنه هو صاحب هذا التفسير. فقد روى أنه سأل رجلاً من الأعراب من أهل البادية عن الحَرَجَة. فقال هى الشجرة تكون بين الأشجار لا تصل إليها راعية، ولا وحشية ولا شىء، فقال عمر رضى الله عنه، وكذلك قلب المنافق لا يصل إليه خير.

وعلى هذا التفسير، يكون فى الكلام تشبيه، أو استعارة، وهو تشبيه قلب الكافر فى أنه لا ينتفع به، ولا يصل إليه بالحرج، وهو الشجر الملتف الذى لا ترى الأرض من تحته، ولا تصل إليه راعية ولا وحشية ولا شىء، لأنه لا ينتفع به فى شىء". (٢)

ومما اختلف فيه أيضاً كلمة طَبَق بفتح الأول والثاني، وردت في قوله تعالى: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾(٣) .

١- سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

٢- زهرة التفاسير، ٢٦٦٢.

٣- سورة الانشقاق، الآية: ١٩.

قال أبو حيان الأندلسي في بحره المحيط في تفسير هذه الآية: "وطَبَقَ الشيءَ مطابقةً لأنّ كلّ حال مطابقة للأخرى في الشدة. ويجوز أن تكون اسم جنس، واحده طَبَقَة، وهي المرتبة من قولهم: هم على طَبَقَات. و{عَن طَبَقٍ} في موضع الصفة لقوله: {طَبَقًا}، أو في موضع الحال من الضمير في {لَتَرْكَبُنَّ}. وعن مكحول: كل عشرين عاماً تجدون أمراً لم تكونوا عليه". (١)

ومنه أيضاً كلمة الهَدْي بفتح الهاء وسكون الدال، وردت في قوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾ (٢). قال الإمام محمد أبو زهرة في تفسير هذه الآية: "الهَدْيُ: اسم جنس جمعي، وهو الذى يفرق بينه وبين مفرده بالتاء أو الياء المشددة، والمفرد هَدْيَة، والمراد ما يُذبح من نحو الشاة والبقر والإبل، أى ما يذبح من النعم؟ والمطلوب أيسره، ولذلك قال سبحانه: (فما استيسر من الهدي) والأيسر هو الشاة ونحوها".(٣)

ومن اسم الجنس ما يصدق على الواحد وعلى الكثير مثل كلمة بَشَر بفتح الأول والثاني، انظر إليها في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ (٤). قال ابن عاشور التونسي في تفسير هذه الآية: "والبَشَرُ: اسمُ جنسٍ للإنسان يصدق على الواحد كما في قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} ويقال على الجمع كما هنا. وتقدم في قوله: ﴿ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ (٥) في سورة يوسف وفي سورة مريم عند قوله: ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ (٦). وتنكير {بشر} للنوعية لأن محط الإنكار على كونهم يهدونهم، وهو نوع البشرية".(٧)

١- البحر المحيط، ٨، ٤٤٣ .
٢- سورة البقرة، الآية: ١٩٦.
٣- زهرة التفاسير، ٦٠٥.
٤- سورة الكهف، الآية: ١١٠.
٥- سورة يوسف، الآية: ٣١.
٦- سورة مريم، الآية: ١٧.
٧- التحرير والتنوير، ٢٤١/٢٨.

ونختم هذا المبحث وهذا الفصل خير ختام بكلمة القُرآن وهي من الكلمات التي عدها بعض العلماء من اسم الجنس الجمعي، انظر إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾(١). قال أبو حيان الأندلسي في تفسير هذه الآية: "وانتصب قرآناً، قيل: على البدل من الضمير، وقيل على الحال الموطئة. وسمي القرآن قرآناً لأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير، وعربياً منسوب إلى العرب. والعرب جمع عربي، كروم ورومي، وعُربة ناحية دار إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام".(٢)

١- سورة يوسف، الآية: ٢.

٢- تفسير البحر المحيط، ٥/٢٣١.

الخـــــاتمـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين، سيدنا محمد ابن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين، وعلى صحابته الأطهار الميامين، وعلى من سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، وبعد:

فإن القرآن الكريم هو حبل الله المتين وعروته الوثقى، الذي من تمسك به اهتدى ومن ابتعد عنه ضل وشقي. وقد اهتم العلماء بالقرآن الكريم والدراسة فيه باعتباره منبع العلوم وسر الحياة ومفتاح المعرفة في كافة مناحي الحياة.

وقد جاء هذا البحث خطوة في طريق السباحة في بحر القرآن العميق المليء بالجواهر والدرر الثمينة المكنونة لمن يبحث عنها ويكتشفها. وقد اختار الباحث هذا البحث خلال رحلة غوصه في بحار القرآن الكريم وهو يجمع بين علمي الصرف والدلالة مع شيئ من النحو بقدر ما يتطلبه المقام أحياناً. وكان الغرض من كل ذلك معرفة الأسرار الدلالية وراء استخدام القرآن الكريم للصيغ اللغوية المختلفة والأبنية المتعددة، بالتركيز على صيغ الجموع المختلفة.

وقد تناول الفصل الأول من هذا البحث جمع المذكر السالم فبحث صياغته النحوية وشروطها، ثم اتبع ذلك بالحديث عن ما ألحقه النحاة بجمع المذكر السالم مع ذكر بعض النماذج الإعرابية للنوعين، ثم ختم الفصل الأول بحديث مستفيض حول دلالات جمع المذكر السالم في القرآن الكريم باختيار نماذج أيات من القرآن تفسر الدلالات المعنوية لهذا الجمع وذلك بجمع واستقصاء آراء العلماء والمفسرين حول هذه الدلالات.

وخصص الفصل الثاني من هذا البحث للحديث عن الجمع بالألف والتاء ومنه جمع المؤنث السالم وما ورد منه في القرآن الكريم، وما جمع بألف وتاء من غير جمع المؤنث السالم، أي ما كان جمعه بالألف والتاء ولكن لا يصح أن يطلق عليه جمع مؤنث سالم لأنه خالف شروط هذا النوع من الجموع، ثم ختم الفصل الثاني بالحديث المفصل عن دلالات هذا النوع من الجمع في القرآن الكريم باختيار نماذج آيات كما حدث في الفصل الأول.

أما الفصلين الرابع والخامس فقد تناولا جمع التكسير بنوعيه؛ جمع القلة وجمع الكثرة، فخصص الفصل الثالث لجموع القلة وما ورد منها في القرآن الكريم مع ذكر بعض النماذج الإعرابية لها ثم جاء الحديث عن دلالات جموع القلة في القرآن الكريم، وفي ختام الفصل الثالث تناول الباحث ما جاء في القرآن الكريم من جموع القلة وقد أريد به الكثرة.

وخصص الفصل الرابع لجموع الكثرة بكل صيغها وأوزانها التي ذكرها النحاة، إضافة إلى صيغ منتهى الجموع التي هي من قبيل جموع الكثرة، وفصل البحث الحديث عن معاني ودلالات جموع الكثرة في القرآن الكريم، وختم هذا الفصل بالحديث عما ورد من جموع الكثرة في القرآن وقد أريد به القلة في مقابل ما جاء في ختام الفصل الثالث.

أما الفصل الخامس فقد جمع من الجموع ما لا يندرج تحت هذه الأنواع الأربعة مثل اسم الجمع واسم الجنس الجمعي، فقد عرف الباحث كل نوع من هذين النوعين مع ذكر شروط كل منهما، وختم الفصل الخامس والأخير بالحديث عن معاني ودلالات اسم الجمع واسم الجنس الجمعي في القرآن الكريم.

وبعد هذه الرحلة الطويل الممتعة والشائقة في ظلال القرآن خرج البحث بنتائج عديدة جداً لعل الباحث يوجز أهمها فيما يلي:

أهم النتائج:

أولاً: للصرف أثر كبير في الدلالة فأي تغيير في بنية الكلمة الصرفية بالزيادة أو النقصان يتبعه تغيير في دلالتها.

ثانياً: بعض الألفاظ في القرآن لم يرد إلا بصيغة الجمع وعند الاحتياج إلى مفرده يستخدم مرادفه كما أن القرآن قد يؤثر الإفراد على الجمع أو الجمع على الإفراد كل ذلك لدلالات خاصة وإشارات معينة.

ثالثاً: استخدام صيغة الجمع السالم بنوعيه المذكر والمؤنث تفيد دلالة ثبوت الصفة في الموصوف في مقابل الفعل الماضي أو المضارع من المصدر نفسه، فالفعل يدل على تجدد الصفة أو زوالها سريعاً على حين الاسم يدل على دوام ثبوتها، وهذا ما لمسه الباحث في استخدام القرآن لصيغ الجمع السالم بدلاً عن صيغ الأفعال في بعض الحالات.

رابعاً: تكون دلالة الجمع السالم القلة إذا كان الاسم يجمع بصيغة من صيغ الكثرة، وبخاصة إن لم تكن للاسم صيغة جمع قلة. هذا إلى جانب معان ودلالات أخرى كثيرة.

خامساً: تدور أكثر دلالات جمع القلة حول معان كالعدد الذي لا يتجاوز العشرة، أو التحقير والتهوين وما إلى ذلك، وقد تأتي صيغة جمع القلة في القرآن ويقصد بها الكثرة لمعنى خاص.

سادساً: تدور أكثر دلالات جموع الكثرة حول العدد الكثير الذي يتجاوز العشرة والتعظيم والمبالغة والتعدد والعموم، وقد تأتي صيغة جمع الكثرة في القرآن الكريم ويقصد بها القلة لمعنى خاص كذلك.

سابعاً: تختلف دلالات اسم الجمع واسم الجنس الجمعي باختلاف صيغها.

بعض التوصيات:

- الاهتمام بدراسة الأبنية العربية المختلفة ودلالاتها من خلال القرآن الكريم لإيضاح الفروق اللغوية وأسرار التعبير القرآني.
- تسليط الضوء أكثر على العلاقة بين اسم الجمع واسم الجنس الجمعي وعلاقتهما بأنواع الجموع المختلفة سالمها ومكسرها، قلتها وكثرتها والفروق بين كل منها إذ إن بعضهم يخلط بين بعض هذه الأنواع، فهناك من يعد بعض أبنية أسماء الجموع جموع تكسير والعكس.
- الاهتمام أكثر بالبحث في مجال علم الدلالة وربطه بعلوم النحو والصرف والبلاغة وغيرها من علوم العربية لإظهار مدى التكامل بين علوم اللغة العربية المختلفة.
-

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب العربية:

١- الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، ١٩٩٦م.

٢- الإحكام في أصول الأحكام، سيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد الآمدي، تحقيق الشيخ/ عبد الرزاق عفيفي، راجعه جماعة من العلماء، دار الحديث، القاهرة، مصر.

٣- أدب الكاتب، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروري الدينوري، المكتبة التجارية، مصر، الطبعة الرابعة ، ١٩٦٣.

٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥- إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

٦- أشعار الشعراء الستة الجاهليين، اختيارات من الشعر الجاهلي، اختيار العلامة يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري، تحقيق: د. محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت ١٩٩٢م .

٧- الأصمعيات اختيار الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع، تحقيق: احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة السابعة، ١٩٩٣م.

٨- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، تحقيق: د.عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٨.

٩- أضواء البيان في تفسير القرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م..

١٠- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق د.زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.
١١- الأغاني، أبي الفرج الأصفهاني، تحقيق : سمير جابر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية.
١٢- الأمالي في لغة العرب، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٧٨م.
١٣- الأمثال، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: الدكتور عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
١٤- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، تحقيق إبراهيم عطوه عوض، المكتبة العلمية، لاهور، باكستان.
١٥- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، جمال الدين عبد الله الأنصاري، دراسة وتحقيق:يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٧٩م.
١٦- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبوبكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
١٧- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.
١٨- البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: د.زكريا عبد المجيد النوقي ود. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.
١٩- البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفأسي أبو العباس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢ م .
٢٠- البصائر والذخائر، أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، تحقيق : د. وداد القاضي، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ٩٩٩ م.

٢١- البيان والتبيين، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق : المحامي فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٦٨م.
٢٢- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٢٣- التبيان تفسير القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، تحقيق : د.فتحي أنور الدابولي، دار الصحابة للتراث بطنطا، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.
٢٤- التحرير والتنوير من التفسير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة : الأولى، ٢٠٠٠م
٢٥- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٦- التحفة السنية شرح المقدمة الآجرومية، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٣٢هـ – ٢٠٠٧م.
٢٧- التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي، دار صادر، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ
٢٨- تزيين الأسواق بأخبار العشاق، داود بن عمر الأنطاكي الضرير، تحقيق : د. محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣.
٢٩- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ابن مالك، تحقيق محمد كامل بركات، المكتبة الميرية بمكة المكرمة، ١٩٦٧م.
٣٠- التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ
٣١- التشريع الجنائي الإسلامي، مقارناً بالقانون الوضعي،عبد القادر عودة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
٣٢- التصريف الملوكي، أبو الفتح عثمان ابن جني، حققه وعلق عليه: عرفان مطرجي، دار الكتب الثقافية.

٣٣- التطبيق الصرفي، د. عبده الراجحي مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ، ١٩٩٩م.
٣٤- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
٣٥- التعليقات والنوادر، عن أبي علي هارون بن يحيى الهجري، دراسة ومختارت، ترتيب: حمد الجاسر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.
٣٦- تفسير ابن عرفة المالكى، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، تحقيق: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٨٦ م.
٣٧- تفسير البيضاوي، البيضاوي، دار الفكر، بيروت.
٣٨- تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشِّدِي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م.
٣٩- تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي تحقيق :أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
٤٠- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: محمود حسن، دار الفكر، الطبعة الجديدة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٤١- التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الطبعة الأولى.
٤٢- التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي التونسي، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٤٣- التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكري، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: أحمد ناجي القيسي وآخرين، راجعه: مصطفى جواد، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ.

٤٤- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
٤٥- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي، شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان ، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.
٤٦- تيسير التحرير، محمد أمين المعروف بأمير بادشاه ، دار الفكر، القاهرة، مصر.
٤٧- تيسير التفسير، إبراهيم القطان، مراجعة وضبط عمران أحمد أبو حجلة، مطابع الجمعية العلمية الملكية، عمان، الأردن، ١٩٨٢م.
٤٨- جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت الطبعة الثامنة والعشرون، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م
٤٩- الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، صهيب عبد الجبار، المكتبة الشاملة الالكترونية، مكتب الدعوة وتوعية الجاليات بحي الروضة، جدة، السعودية، الإصدار رقم ٣,٥١.
٥٠- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب، تحقيق: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، ١٣٧٥هـ.
٥١- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.
٥٢- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى النهرواني، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م
٥٣- جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، د. أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
٥٤- جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، حققه وضبطه وشرحه: علي محمد البجادي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
٥٥- جمهرة الأمثال، أبي هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨م.

٥٦- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م
٥٧- جموع التكسير والتصحيح، عبد المنعم سيد عبد العال، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٩٧٦م.
٥٨- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، اشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت.
٥٩- جواهر الألفاظ، أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب الغدادي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٥م.
٦٠- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
٦١- حاشية الصبان، محمد بن علي الصبان الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م.
٦٢- خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري، تحقيق : عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
٦٣- الخواطر، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، القاهرة.
٦٤- دليل السالك إلى الفية ابن مالك، عبد الله بن صالح الفوزان، دار المسلم للنشر والتوزيع.
٦٥- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، تحقيق محمود الرضواني، مطبوعات إدارة البحوث والدراسات الثقافية بوزارة الثقافة اقطرية، الدوحة، ٢٠١٠م.
٦٦- ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٦٧- ديوان امرئ القيس، امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.
٦٨- ديوان الحطيئة، تحقيق عيسى سابا، مكتبة صادر، بيروت، لبنان.

٦٩- ديوان الحماسة، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، برواية أبي منصور الجواليقي، شرح وتقديم أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

٧٠- ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٦.

٧١- ديوان جميل بثينة، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٢.

٧٢- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرح وتقديم الأستاذ: عبدأ. مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ – ١٩٨٤م.

٧٣- ديوان الراعي النميري، جمع وتحقيق راينهرت فايبرت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، لبنان.

٧٤- ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح وتقديم علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٧٥- ديوان أبي سعد المخزومي، عيسى بن خالد بن الوليد من ولد الحارث بن هشام المخزومي.

٧٦- ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، تحقيق د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٧٧- ديوان عروة بن حزام، تحقيق أنطوان محسن القوال، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

٧٨- ديوان عنترة بن شداد، شرح الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٧٩- ديوان الفرزدق، شرح على فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٨٠- ديوان كعب بن زهير، شرح ودراسة مفيد قميحة، دار الشواف للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٠- ١٩٨٩م.

٨١- ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع وتحقيق محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٨٢- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، لَبِيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري، اعتنى به: حمدو طمّاس، دار المعرفة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م

٨٣- ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.
٨٤- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب ، ليبيا الطبعة الأولى، ١٩٨١م.
٨٥- روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار إحياء التراث العربى.
٨٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٨٧- زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني، تحقيق: د. يوسف على طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
٨٨- زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن بن مسعود بن محمد أبو علي نور الدين اليوسي، تحقيق: د محمد حجي ود محمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
٨٩- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي.
٩٠- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، ١٢٨٥ هـ..
٩١- سر صناعة الإعراب، أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: د.حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
٩٢- سمط اللآلئ في شرح أمالي القالي، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، صححه ونقحه وحقق ما فيه: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٩٣- سنن أبي داؤود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.

٩٤- سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني، تحقيق وضبط: شعيب الارنؤوط، وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
٩٥- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٩٦- شذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد الحملاوي، تحقيق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد، الرياض.
٩٧- شرح الآجرومية، حسن حفظي، المكتبة الشاملة الالكترونية، مكتب الدعوة وتوعية الجاليات بحي الروضة، جدة، السعودية، الإصدار رقم ٣,٥١.
٩٨- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المسمى منهج السالك ألى ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٥٥م.
٩٩- شرح أدب الكاتب، الجواليقي، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن أبو منصور ابن الجواليقى، قَدَّمَ له: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٠٠- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، الطبعة : العشرون ١٩٨٠ م.
١٠١- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، ابن الناظم أبو عبد الله بدر الدين محمد بن الإمام جمال الدين محمد بن مالك، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٠٢- شرح المشكل في شعر المتنبي، علي بن إسماعيل بن سيده، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.
١٠٣- شرح المعلقات التسع، منسوب لأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ هـ) ولا تصح نسبته ففي الكتاب نقول متأخرة عن زمن أبي عمرو وليس الأسلوب أسلوبه، تحقيق

وشرح: عبد المجيد همو، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

١٠٤- شرح المفصل للزمخشري، موفق الدين بن يعيش النحوي، تحقيق د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٠٥- شرح ديوان المتنبي، الإمام الواحدي، طبع في مدينة برلين، ١٨٦١م.

١٠٦- شرح ديوان علقمة الفحل، الأعلم الشنتمري، تحقيق حنا نصر الحتى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٠٧- شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، أبو زكريا محي الدين بن يحيى النووي الدمشقي، اعتنى به د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.

١٠٨- شرح شافية ابن الحاجب، الاستراباذي، تحقيق محمد نور الحسن وآخرون، مطبعة حجازي، بيروت، ١٩٧٥م.

١٠٩- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري القاهري الشافعي، تحقيق: نواف بن جزاء الحارثي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٤م

١١٠- شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام، بركات يوسف هبود، دار الفكر، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م.

١١١- الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ

١١٢- الصداقة والصديق، أبو حيان التوحيدي علي بن محمد بن العباس، تحقيق: الدكتور إبراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م

١١٣- الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، يناير ١٩٩٠م.

١١٤- صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة

الجعفي البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة : الأولى ١٤٢٢هـ.

١١٥- صفوة التفاسير، الشيخ محمد علي الصابوني، دار الصابوني.

١١٦- طبقات الشعراء عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.

١١٧- طبقات اللغويين والنحويين، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية.

١١٨- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ.

١١٩- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، دار عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢.

١٢٠- علم الدلالة العربي بين النظرية والتطبيق، فايز الداية، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر، ١٩٨٥م.

١٢١- علم الدلالة في التراث العربي، أصوله ومباحثه، منقور عبد الجليل، دار اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ٢٠٠١م.

١٢٢- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

١٢٣- عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، محمد السيد جبريل، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

١٢٤- العواصم من القواصم في تحقيق موقف الصحابة بعد وفاة النبي، محمد بن عبد الله بن محمد المعافري المالكي، تحقيق: د. محمد جميل غازي دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

١٢٥- عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨ هـ..
١٢٦- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ
١٢٧- فتح الباري لابن حجر العسقلاني، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي، الدمام السعودية، الطبعة الثانية، – ١٤٢٢هـ.
١٢٨- فتح رب البرية بشرح نظم الآجرومية، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م.
١٢٩- فرحة الأديب في الرد على ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه، أبو محمد الأعرابي الملقب بالأسود الغندجاني، تحقيق: د. محمد علي سلطاني، دار النبراس، الطبعة الأولى.
١٣٠- فقه اللغة وسرُّ العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
١٣١- فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٤م.
١٣٢- فنون التقعيد وعلوم الألسنية، ريمون طحان، الشركة العالمية للكتاب، الطبعة الولى، ١٩٨٣م.
١٣٣- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م
١٣٤- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

١٣٥- الكامل في النحو والصرف والإعراب، أحمد قبش، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.
١٣٦- الكتاب، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل . بيروت.
١٣٧- كتاب العين، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
١٣٨- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٣٩- الكشف والبيان، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
١٤٠- اللآلئ في شرح أمالي القالي، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٤١- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م.
١٤٢- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
١٤٣- لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
١٤٤- اللسانيات واللغة العربية، عبد القاهر الفاسي الفهري، دار عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.
١٤٥- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٩٠م.

١٤٦- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبي الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م.

١٤٧- مجالس ثعلب، أحمد بن يحيى ثعلب، شرح وتحقيق، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٦٠م.

١٤٨- المجتبى من مشكل إعراب القرآن، د. أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة عام النشر: ١٤٢٦ هـ

١٤٩- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.

١٥٠- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى – ١٤١٨ هـ..

١٥١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

١٥٢- المحيط في اللغة، الصاحب الكافي، أبو القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس ابن أحمد بن إدريس الطالقاني، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤ م.

١٥٣- مختارات شعراء العرب، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري، ضبط وشرح: محمود حسن زناتي، مطبعة الاعتماد، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٤٤ هـ – ١٩٢٥ م.

١٥٤- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

١٥٥- مدخل إلى علم الدلالة، سالم شاكر، ترجمة محمد جباتين، ، دار اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ٢٠٠٣م.

١٥٦- المذكرات النحوية، شَرْح الأَلفيَّهْ، د. عبدالرَّحمن بن شُمَيْلَة الأَهدل، المدرِّس بمعهد الحرم المكِّي الشَّريف، على ألفيَّة الإمام / أبي عبد الله محمَّد بن عبد الله جمال الدّين بن مالك الطَّائي الْجَيَّاني، المتوفى سنة ٦٧٢ هجرية.

١٥٧- المستصفى من علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

١٥٨- مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م.

١٥٩- مسند الشافعي، محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦٠- مسند ابن أبي شيبة، أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٧م.

١٦١- المصون في الأدب، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل العسكري تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة حكومة الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤ م.

١٦٢- المطرب من أشعار أهل المغرب، أبو الخطاب عمر بن حسن الأندلسي الشهير بابن دحية الكلبي، تحقيق: الأستاذ إبراهيم الأبياري، وآخرين، دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

١٦٣- معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرين، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

١٦٤- معاني الأبنية في العربية، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار، الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.

١٦٥- المعاني الكبير في أبيات المعاني، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: المستشرق د. سالم الكرنكوي وعبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م.

١٦٦- معجم الأوزان الصرفية، د. إميل بديع يعقوب، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٦٧- معجم القواعد العربية في النحو والتصريف، الشيخ: عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، سوريا. الطبعة الأولى، ١٤٩٦هـ - ١٩٨٦م.

١٦٨- معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار قتيبة، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

١٦٩- المفتاح في الصرف، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الجرجاني، تحقيق وتقديم الدكتور علي توفيق الحَمَد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

١٧٠- المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة.

١٧١- مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، الطبعة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٧٢- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق: أحمد جاد، دار الغد الجديد، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٧٣- ملاك التاويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٧٤- مناهل العرفان لعلوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب، القاهرة.

١٧٥- منتهى الطلب من أشعار العرب، جمعه: محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون، تحقيق: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
١٧٦- المنصف، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، دار إحياء التراث القديم، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
١٧٧- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م
١٧٨- نثر الدر، أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ م.
١٧٩- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري أبو البركات كمال الدين الأنباري، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
١٨٠- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة.
١٨١- نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور، الإمام: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى، دار الكتب العلمية . بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢ م .
١٨٢- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٦٨م.
١٨٣- نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس البسيلي التونسي، مما اختصره من تقييده الكبير عن شيخه الإمام ابن عرفة، تقديم وتحقيق: الأستاذ / محمد الطبراني، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
١٨٤- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٨٥- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ م.

١٨٦- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

ثالثاً: المجلات والدوريات:

١- مدخل إلى علم الدلالة الألسني، موريس أبو ناضر، مجلة الفكر المعاصر، العدد ١٩/١٨، السنة ١٩٨٢، ص٣٢.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
- البسملة	أ
- آية قرآنية	ب
- الإهداء	ج
- شكر وعرفان	د
- مستخلص البحث	هـ
- Abstract	و
- المقدمة	ح
- موضوع البحث	ي
- مشكلة البحث	ي
- أهمية البحث	ي
- أهداف البحث	ك
- حدود البحث	ك
- أسئلة البحث	ك
- منهج البحث	ل
- الدراسات السابقة	ل
- هيكل البحث	ص
التمهيد	
- تعريف القرآن	٢
- تعريف الجمع	٣
- تعريف الصرف	٤
- لفظ الدلالة في القرآن الكريم	٧
- لفظ الدلالة في المعاجم العربية	٩
- الدلالة في تعريفات علماء العرب القدامى	١١
- الدلالة عند المحدثين	١٤
- أهمية الدلالة	١٧

- أهمية الصرف في الدلالة	١٨
- الإفراد والجمع في لغة القرآن الكريم	١٨
الفصل الأول: جمع المذكر السالم وما ورد على صيغته في القرآن الكريم	
- المبحث الأول: شروط ما يجمع جمع مذكر سالم	٢٦
- طريقة الجمع	٣٣
- نون جمع المذكر السالم	٣٤
- المبحث الثاني: الملحق بجمع المذكر السالم	٣٦
- المبحث الثالث: إعراب جمع المذكر السالم ودلالاته	٤٠
الفصل الثاني: ما جمع بألف وتاء في القرآن الكريم	
- المبحث الأول: جمع المؤنث السالم	٦٠
- شروط جمعه	٦١
- كيفية الجمع أو طريقته	٦٢
- إعراب جمع المؤنث السالم	٦٦
- القياس في الجمع بالألف والتاء	٦٨
- المبحث الثاني: ماجمع بألف وتاء من غير جمع المؤنث السالم	٦٩
- المبحث الثالث: إعراب ودلالات جمع المؤنث السالم	٧١
الفصل الثالث: جموع القلة في القرآن الكريم	
- المبحث الأول: أوزان جموع القلة	١٠٠
- أولاً: تعريف جمع التكسير	١٠٠
- ثانياً: جمع القلة	١٠٢
- شروط جمع التكسير	١٠٩
- إعراب جمع القلة	١٠٩
- المبحث الثاني معاني ودلالات جموع القلة	١١٤
- المبحث الثالث: ما ورد من جموع القلة في القرآن وأريد به الكثرة	١٣١
الفصل الرابع: جموع الكثرة في القرآن الكريم	
- المبحث الأول: أوزان جموع الكثرة والقياسي منها والسماعي	١٤٢

- صيغ منتهى الجموع	١٥٥
- إعراب جمع الكثرة	١٦٤
- البحث الثاني: دلالات جموع الكثرة	١٦٧
- المبحث الثالث: ما ورد في القرآن من جموع الكثرة وأريد به القلة	١٩٣
الفصل الخامس: اسم الجمع واسم الجنس الجمعي في القرآن الكريم	
- المبحث الأول: اسم الجمع وما ورد منه في القرآن الكريم	٢٠٨
- إعراب اسم الجنس:	٢١٥
- المبحث الثاني: اسم الجنس الجمعي وما ورد منه في القرآن الكريم	٢١٦
- إعراب اسم الجنس الجمعي	٢٢٠
- المبحث الثالث: معاني ودلالات اسم الجمع وأسم الجنس الجمعي في القرآن الكريم	٢٢١
- أولاً: دلالات اسم الجمع	٢٢١
- ثانياً: دلالات اسم الجنس الجمعي.	٢٣٥
- الخاتمة	٢٤٨
- أهم النتائج	٢٤٩
- التوصيات	٢٥٠
الفهارس العامة	
- فهرس الآيات القرآنية	٢٥٢
- فهرس الأحاديث النبوية	٢٦٩
- فهرس الأشعار	٢٧٠
- المصادر والمراجع	٢٧٤
- فهرس الموضوعات	٢٩٢